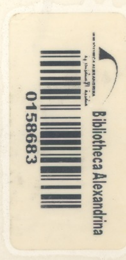
إمــرة الأمــراء

فى العصر العباسى (٣٢٤ - ٣٣٤ هـ)

دكتور

السيد عبد الفتاح بلاط

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م



دار التوفيق النموذجية للطباعة

الأزهر - ٣ حيضان الموصلى

ت : ٥١١٥٣٠٤

إمـــرة الأمـــراء

في العصر العباسي (٣٢٤ - ٣٣٤ هـ)

دكتور

السيد عبد الفتاح بلاط

١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

دار التوفيق للطباعة

الأزهر - ٣ حيضان الموصلي

ت ٥١١٥٣٠٤

الإهداء

إلى روح زوجتى الطاهرة « أم سارة وأحمد » أدخلها الله تعالى جنات الفردوس الأعلى ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾.



« مقدمة »

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ·

وبعد :

فإن العصر العباسى الثانى زاخر بالموضوعات الشائكة التى تستحق الوقوف عندها ودراستها وكشف بعض جوانبها ، ومن هذه الموضوعات التى استوقفتني « إمرة الأمراء » (سنة ٣٢٤ - سنة ٣٣٤ هـ) هذا النظام الذى استحدث فى خلافة الراضى بالله لإنقاذ الخلافة والوزارة مما حل بهما من عوامل الضعف ، بل لا أبالغ إن قلت لإنقاذ الدولة العباسية - فى هذا الوقت - على وجه العموم ·

لذا أقدمت على تناول هذا الموضوع مبينا : عوامل ظهوره المتعددة مثل زيادة نفوذ الأتراك ، وضعف الوزارة ، والعامل الإقتصادى ، والعسكرى ، وغيرها ··· ثم بينت كيف أنشىء هذا النظام ، ومهام من يتولاه ، ثم ألقيت الضوء على ولاته وأهم أعمالهم ، بدءاً بمحمد بن رائق (٣٢٤ هـ) وانتهاءاً بمعز الدولة (سنة ٣٣٤ هـ) ، وفى خلال هذا بينت حال الخلافة والوزارة ·وحاضرة الدولة وبعض أطرافها فى ظل هذا النظام الجديد ، وكذلك أوضحت هل حقق هذا النظام الغرض الذى أنشىء من أجله ؟ والله أسأل أن يتقبل هذا العمل ، وينفع به ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم ·

فى القاهرة | رمضان ١٤١٦ هـ
يناير ١٩٩٦ م

والله الموفق

دكتور السيد عبد الفتاح بلاط

« تمهيد »

طبيعة العصر العباسى الثانى

اعتاد المؤرخون تقسيم العصر العباسى الثانى - (سنة ٢٣٢ - سنة ٦٥٦ هـ) - إلى مراحل متميزة ، لكل مرحلة خصائصها : أولها عصر نفوذ الأتراك ، ويستمر اثنين وتسعين سنة سنة ٢٣٢ - سنة ٣٢٤ هـ) ، وعصر إمرة الأمراء ويستمر عشر سنوات (سنة ٣٢٤ - سنة ٣٣٤ هـ) ، وعصر بنى بوية (سنة ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ) ، والعصر السجلوقى (سنة ٤٤٧ - سنة ٦٥٦ هـ)(١) .

ويعنينا من هذه الفترات السابقة « عصر إمرة الأمراء » - موضوع الكتاب - ، ويفضل فى هذا المقام إعطاء فكرة سريعة عن طبيعة العصر العباسى الثانى ، لأنها تساعد كثيرا على دراسة نظام الإمرة .

استمر العباسى الأول مائة عام (سنة ١٣٢ - ٢٣٢ هـ) ، تميزت فيه الدولة العباسية بالقوة ، وتمركز السلطة فى يد الخلفاء العظام الذين حفل بهم هذا العصر ، وكانوا جميعا ذوى شخصيات قوية ، كما كانوا ساسة مهرة ، وأظهروا كفاءة تامة فى كبح جماح العناصر المتطلعة إلى القوة والنفوذ من الموالى وغيرهم ، واستطاعوا أن يقيموا نوعا من التوازن بين الأحزاب المختلفة التى ظهرت بقيام الدولة(٢) .

---

(١) د / نادية صقر : مطلع العصر العباسى الثانى - دار الشروق - جدة ط (١) سنة ١٩٨٣ م - ص ٤٧ .

(٢) د / حسن محمود ، د/ أحمد الشريف : العالم الإسلامى فى العصر العباسى - دار الفكر العربى ط (١) سنة ١٩٦٦ م ص ٢٨١ .

وكانت حكومة بغداد حكومة مركزية [1]، والخليفة يحكم دولته حكما مطلقا ، على اعتبار أنه سلطان الله فى أرضه . وكانت الدولة على الرغم من اتساعها يرجع الولاة إلى الخليفة فى كل صغيرة وكبيرة ، ولم يكن هناك من سلطة أو قوة فى الدولة تعلو على سلطان الخليفة ، وحينما حاول البرامكة الإنفراد بالسلطة لم يجد الخليفة الرشيد صعوبة فى التخلص منهم [2] .

لكن هذه الظاهرة العامة فى العصر العباسى الأول ما لبثت أن تغيرت فى العصر العباسى الثانى لتبدوا مكانها ظاهرة أخرى تخالفها ، وأول ما يطالعنا فى هذه الظاهرة الجديدة هو انتقال الدولة العباسية من المركزية إلى اللامركزية فى نظام الحكم ، وقيام دول وإمارات مستقلة استقلالاً كاملاً أو جزئيا مع الإعتراف بسلطان الخليفة . ثم ظهور شعوب جديدة على العالم الإسلامى ووصولها إلى مركز الصدارة وتسلطها على الحكم ، ثم وقوع الخلفاء أنفسهم تحت نفوذها ، الأمر الذى أضعف من شخصيات الخلفاء ، وأذهب عنهم نظرة الإحترام التى كان يتمتع بها خلفاء العصر العباسى الأول [2] .

كما كثر فى العصر العباسى الثانى فقدان الثقة والشك سواء بين الخليفة ووزيره ، أو بين الوزير والقادة ، أو بين القادة والجند . . .

وهكذا [3] فضعفت قيمة العهود ، وبذلك يحدث النفور بين الحكام والمحكومين ، ويتسلل ذلك إلى الخليفة والخلافة ، مما يجر إلى الحروب وكثرة الفتن [4] .

---

(١) باستثناء الأندلس ، وجزء من الشمال الأفريقى . (الأغالبة والأدارسة) .

(٢) د / حسن محمود ، د / الشريف : العالم الإسلامى ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٣) د / صبيحى الصالح : النظم الإسلامية - دار العلم للملايين - بيروت ط (٢) سنة ١٩٦٨ م - ص ٧١ .

(٤) د / محمد مصطفى زيادة : تاريخ الدولة العباسية - دار الطباعة الحديثة - مصر سنة ١٩٣٤ م -ص ١٧٢ .

ولما كان الحال هكذا كثرت الجاسوسية ، فالخليفة يضع العيون والإرصاد على قواده ووزرائه يضعون عليه العيون ، فربما كان خادم الرجل وجاريته عينا عليه . وقد يقيم الخليفة الجواسيس والرقباء على أولاده وإخوته ، وخصوصا فى أواخر الدولة ، لأن التجسس يكثر إذا مالت الدولة إلى السقوط وتدانت إلى الهرم ، وكان للوزراء عيون على الخلفاء ، وللخلفاء عيون على العمال[١] .

وترتب على ما سبق أن أصبح من سمات هذا العصر - العباسى الثانى - القتل للقواد والوزراء وحتى الخلفاء ، فقد قتل من التسعة والخمسين خليفة ثمانية وثلاثون ، وعذبوا بالجوع والسجن والسمل وغير ذلك من أنواع العذاب[٢] ، ولقد خرج الخليفة القاهر من السجن مفقؤ العينين ، عليه ثياب بالية يسأل الناس على أبواب المساجد[٣] .

ناهيك عما زخر به العصر العباسى الثانى من حركات سياسية ودينية كان لها أثر بعيد فى تاريخ هذا العصر . فقد قام الشيعة بحركات ثورية كان من أثرها انتزاع بعض الأجزاء من الدولة ، وانتشار المبادىء الشيعية - وخاصة مبادىء الإسماعيلية بين القرامطة فى سواد الكوفة والبحرين - ، وظهر كذلك كثير من الخوارج والزنج ، وعلى الرغم من أن الدولة العباسية استطاعت القضاء على هذه الحركات ، إلا أنها شغلتها وكلفتها كثيراً من الأموال والرجال[٤] .

---

(١) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى - مؤسسة دار الهلال سنة ١٩٦٨ م ١٧١/٤ .

(٢) سيديو : خلاصة تاريخ العرب - مطبعة محمد أفندى - مصر ط (١) سنة ١٣٠٩ هـ . ص ١٢١ .

(٣) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل) : البداية والنهاية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م ١٧٨/١١ .

(٤) د/ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى - النهضة العربية - مصر ط (٨) سنة ١٩٨٣ م ١٩٢/٣ .

وبالرغم من كل هذا فلم يخـل العصر العباسى الثانى من الإيجابيات ، فقد اتسم هذا العصر - على سبيل المثال لا الحصر - ببداية التحضر الإسلامى فى جميع المجالات وخاصة فى مجال الثقافة والفن اللتين ظهر أثرهما واضحا فى مدينة سامرا التى قام ببنائها الخليفة المعتصم (سنة ٢٢١ هـ / سنة ٨٣٥ هـ) .

فقد ظهرت الشخصية العربية المستقلة بعد انصهار الحضارتين الساسانية والبيزنطية فى بوتقة الخلافة العباسية [١] .

ونخلص من هذا التمهيد إلى أن الدولة العباسية فى عصرها الثانى - بوضعها السابق - اختلفت فى كثير من الجوانب عما كانت عليه فى العصر الأول ، والخطير أن هذا الإختلاف كان إلى الأسوأ لا إلى الأصلح ، مما حتم على خلفاء هذا العصر العمل على تلاشى هذه السلبيات لخطورتها على الخلاف والدولة فى آن واحد .

* * *

(١) د/ أحمد رمضان : حضارة الدولة العباسية - الجهاز المركزى للكتب الجامعية - مصر - سنة ١٩٧٨ م - ص ٦١ .

الفصل الأول

« عوامل ظهور إمرة الأمراء »

الفصل الأول

« عوامل ظهور إمرة الأمراء »

إمرة الأمراء :

إسم وظيفة من لفظة « أمير » ، وقد نشأ هذا الإسم كلقب فخرى ، ثم صار أسم وظيفة ، وأخيراً انتهى بأمر رجع كلقب فخرى كما بدأ [1] وابتدأ ظهور هذا المنصب رسميا [2] فى عهد الخليفة الراض (سنة ٣٢٤ هـ / سنة ٩٣٥ م) ، وكان أول من تلقب به « محمد بن رائق » [3] .

---

(١) د/حسن الباشا : الفنون الإسلامية - النهضة العربية - مصر سنة ١٩٦٥ م - ١٨٨/١ .

(٢) قيل ظهر نظام إمرة الأمراء فى بلاد فارس قديما . (د/ أحمد رمضان : حضارة الدولة العباسية ص ٧١) ، وقيل ظهر فى الدولة العباسية أيام المقتدر بالله (سنة ٢٩٥ - سنة ٣٢٠ هـ / سنة ٩٠٧ - سنة ٩٣٢ م) ، فقد ذكر أن المقتدر منح هذا اللقب لمولاه مؤنس الخادم ، ولقبه بالمظفر ، وترك له تصريف كل أموره . (مسكوية (أحمد بن محمد) : تجارب الأمم - دار الكتاب الإسلامى - القاهرة - بدون - ١ / ٧٦ ، الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد) سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسلة - بيروت سنة ١٩٨٢ م - ط (٢) - ١٥ / ٥٦ ، ٥٧ ، على ظريف : مختصر تاريخ بغداد - مطبعة الفرات - بغداد - سنة ١٩٢٦ م - ص ٣٢) . ومن شدة تمكن مؤنس الخادم عزل الخليفة المقتدر - سنة ٣١٩ هـ) ، حين بلغه أنه يعتزم تقليب « هارون غريب) بأمير الأمراء ، ثم تراءى له بعد ذلك أن يعيده إلى الخلافة ، ثم تخلص منه بسمله . (ابن كثير : البداية - دار الغد العربى - ط (١) سنة ١٩٩١ م -١١/٢٠٣ ، السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) : تاريخ الخلفاء المكتبة التجارية - مصر ط (٤) سنة ١٩٦٩ م ص ٣٨٢ ، د / حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية - دار النهضة العربية - مصر سنة ١٩٧٥ م - ص ٧٥ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ١ / ٣٥١ . ابن كثير : البداية ١١ / ٢٣٨ .

وهذا المنصب ظهر بهذه التسمية - أمير الأمراء - لعدد من الوزراء قبل هذا التاريخ - (سنة ٣٢٤ هـ) ، لكن ذلك لم يكن نظاما مقرراً ، بل كان استثناءاً عارضا يلجأ إليه الخلفاء مؤقتا ثم يعودون إلى النظام الطبيعى ، وهو نظام الفصل بين السلطتين المدنية والحربية[١] .

ولكن تطور الأمر وأصبح هذا المنصب عبارة عن نقل كل سلطات الخليفة فى هذا الوقت إلى قائد تتوفر فيه صفات الرياسة العسكرية ، ويجمع إلى جانب صفته العسكرية الإختصاصات المدنية[٢] .

وبمعنى آخر أصبح هذا اللقب يطلق على ان يستأثر بالسلطان ، ويستبد بالدولة فى مقر الخلافة[٣] . وبهذا انفرد الأمراء بالسلطة دون الخليفة ، وأمسى منصبه شكليا فقط ، تنحصر أهميته فى الخلافة عن رسول الله ﷺ ، أما إدارة أمور الدولة فكانت فى يد أمراء الأمراء[٤] .

وظهر المنصب تدريجيا ، فبعد أن كان الخليفة يتولى بنفسه حقيقة السلطان ، ويعاونه جماعة من الناس لهم صفة العمال . فقط لا يزيدون على ذلك شيئا ، ويتخذ كتابا ، ثم يسمى هؤلاء الكتاب وزراء ، وكانوا مجرد منفذين لأوامر الخليفة ، تعاظم سلطان هؤلاء الوزراء شيئا فشيئا حتى أصبحوا متصرفين فى حقيقة السلطان الذى كان بيد الخلفاء ؛ وتسمى وزارتهم وزارة تفويض ، ثم تغلبت النظم العسكرية على النظم المدنية ، وأصبحت شخصية القائد أكبر شخصية في الدولة ، وطغت على شخصية

---

(١) د / حسن محمود ، د / الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٦٧ .

(٢) د / حسن محمود ، د / الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٦٧ .

(٣) د / حسن الباشا : الألقاب الإسلامية - دار النهضة العربية سنة ١٩٧٨ م - ص ٦١ .

(٤) د / أحمد رمضان : حضارة الدولة العباسية ص ٧١ .

الوزير ، حتى أصبحت السلطة الحقيقية فى أيدى أمراء الأمراء العسكريين وقد دعت الظروف فى الدولة العباسية إلى هذا التطور[1] .

ومن خلال إلقاء الضوء على الفترة السابقة على عصر الإمراة ، وهى الفترة المعروفة تاريخيا (بعصر نفوذ الأتراك) ، نستطيع أن نلمس هذا التطور ، ونضع أيدينا على أسباب (ظهور النظام إمرة الأمراء) .

والحقيقة أن الأسباب متعددة وتتفاوت فى أهميتها . فما هى هذه الأسباب ؟

أولاً : زيادة نفوذ الأتراك :

يعزى كثير من المؤرخين ما حل بالعصر العباسى الثانى من إضطرابات إلى هؤلاء الأتراك ، لذا يحسن أن نتناول حياتهم بشىء من التفصيل خلال هذا العصر ، يكاد يجمع المؤرخون القدامى على أن أصل الأتراك يرجع إلى ترك بن يافث بن نوح عليه السلام[2] وهم أمة قديمة جداً مؤلفة من قبائل وبطون وأفخاذ ، وكانت مواطنهم الأصلية على جبال الألطاى فى أواسط آسيا بين الهند والصين وسيبريا[3] فى شبه منحرف تحده من الجنوب جبال الهملايا ، ومن الجنوب الغربى هضبة البامير ، ومن الغرب جبال الطاى - « ألتاى » - ، ومن الشرق جبال خنجان ، والأراضى المحصورة بين هذه الحدود حوالى ستة ملايين كيلومترا مربعا بما فيها الجبال والمنخفضات والهضاب ، وعلى ذلك فموطنهم يشمل بلاد ما وراء النهر[4] .

---

(١) د / حسن محمود د / الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(٢) د/ عبد العزيز اللميلم : نفوذ الأتراك فى الخلافة العباسية - مكتبة كلية الشريعة الأحساء - بدون ١٦٢/١ .

(٣) جرجى زيدان : تاريخ التمدن ١٧٦/٤ .

(٤) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١٦٧/١ .

وأهم قبائلهم المشهورة عند العرب هى الغز ، والقرغز ، والخزر ، والخرلوخ ، والبجناكية[1] وهم أهل بداوة وخيام ، وقيل اجتمع منهم حوالى أربعمائة ألف وقاتلوا أهل الصين والفرس والرومان خمسين سنة ، وظفروا فى معظم معاركهم[2] .

وساعدهم على ذلك ما عرف عنهم من الشجاعة والصبر[3] ، وقوة أبدانهم ، وخشونة طبعهم ، وشدة شكميتهم ، التى اكتسبوها من حياة الرعى والصيد بين هضابهم وجبالهم العالية ، لذا برعوا فى أساليب القتال والغزو[4] فقد نشأوا على الفروسية وركوب الخيل والمبارزة بالسيف[5] ، وتميزوا بالرمى ودقته ، بجانب أن فيهم طاعة لرؤسائهم[6] . والحقيقة أن هؤلاء الترك لم يكونوا مثقفين أبدا ، بل كانوا شبه أميين ، وكانت مقدرتهم الفكرية ضعيفة،ولم يكونوا متحضرين كما كان العرب والفرس ، وإنما جل شأنهم السلاح والمقدرة الحربية[7] .

أما عن ديانتهم فقد دانوا بأكثر من دين ، وغيروا عقيدتهم أكثر من مرة فى مختلف العصور ، فمنهم الشامانيون الذين يعتقدون بوجود إله للسماء وإله للأرض ، كما عرفوا البوذية التى تسربت إليهم من الهند ، والزراد شتية والمانوية عن طريق الفرس ، والمسيحية النسطورية التى حملها إليهم المبشرون[8] ، ثم الإسلام الذى وصل بلادهم منذ فتح خرسان فى

---

(١) نفس المرجع السابق ١/ ١٦٤.

(٢) جرجى زيدان : تاريخ التمدن ٤/ ١٧٦ .

(٣) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/ ١٧٤ .

(٤) د/ الفقى : الدولة العباسية - مكتبة نهضة الشرق سنة ١٩٨٥ م ص ٢١٧ .

(٥) د/ نادية صقر : مطلع العصر العباسى الثانى ص ٥٥ .

(٦) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/ ١٧٦ .

(٧) د/ يوسف العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية - دار الفكر - دمشق (١) سنة ١٩٨١ م ص ١٠١.

(٨) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/ ١٦٩ .

عهد الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه- سنة ٣٠هـ/سنة ٦٥٠م[١] . ثم توغل العرب شرقا فى بلاد ما وراء النهر وعملوا على نشر الإسلام فيها بعد فتحها فى خلافة الوليد بن عبد الملك على يد القائد قتيبة بن مسلم الباهلى[٢] ثم زاد انتشار الإسلام على نطاق واسع بين الأتراك فى عهد الخليفتين الأمويين عمر بن عبد العزيز . (٩٩ - ١٠١ هـ) ، وهشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ)[٣] وبعد تأسيس الدولة العباسية(١٣٢ هـ/ سنة ٧٤٩ م) - تواجد الأتراك فيها على شكل أفراد وجماعات فى البلاط والحرس والإدارة ، وكان استقدامهم يتم بعدة طرق منها الحرب ، فقد وقع قسم كبير منهم ومن سكان الأقاليم الشرقية أسرى فى أيدى العرب الفاتحين ، والهجرة فقد استمرت هجرة سكان الشرق إلى داخل حدود الدولة الإسلامية واندمجوا تدريجيا فى إطار المجتمع العربى الإسلامى ، والتبشير حيث دخل العديد من سكان الأقاليم الشرقية من ترك وغيرهم فى الإسلام وقبلوا مبادئه السامية ، والشراء فقد كان تجار خراسان وما وراء النهر يجلبون الرقيق ويبيعونه فى داخل حدود الدولة العباسية ، على أن الرقيق فى الجيش كان قليلا جداً ، ذلك لأن معظمه يستخدم فى الخدمة الخاصة فى القصور والدور[٤] .

وأيضا عن طريق الضريبة ، فقد كان الأتراك يرسلون إلى الخليفة

---

(١) البلاذرى (أحمد بن يحيى) : فتوح البلدان - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٣ م . ص ٣٩٤ ، د/ محمد الخطيب : دراسة تحليلية فى تاريخ الدويلات الإسلامية - مطبعة الجبلاوى سنة ١٩٨٥ م - ٢١٦/١ .

(٢) الخضرى : محاضرات - دار المعرفة بيروت - ١٧٢/٢ - ١٧٥ ، د/ حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام -٣٠٦/١ - ٣١٠ .

(٣) د/ نادية صقر : مطلع العصر العباسى ص ٥٣ .

(٤) د/ فاروق عمر : التاريخ الإسلامى وفكر القرن العشرين - مؤسسة المطبوعات العربية - بيروت - ط (١) سنة ١٩٨٠ م ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة فى العصر العباسى - مكتبة الشباب - مصر سنة ١٩٨٣ م ص ٨٨ .

كجزء من الضريبة السنوية المفروضة على خراسان وبلاد ما وراء النهر من قبل حكومة بغداد[1]، إلا أن هؤلاء لم يكن عددهم كبيرا ولا منتظما[2] وكذلك كانوا يأتون كهدايا يرسلها ولاة الأطراف الشرقية من الدولة الإسلامية[3].

وأخذ الخلفاء العباسيون فى العناية بهؤلاء الأتراك، والعمل على زيادة جلبهم بأعداد وفيرة، خاصة الخليفة المعتصم[4] الذى توسع فى هذه السياسة حتى أصبح معظم جنده منهم، وهذه الأسباب :

---

(١) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/٢١٣ .

(٢) د/ فاروق عمر : التاريخ الإسلامى ص ٢٥٢ .

(٣) د/ نادية صقر : مطلع العصر العباسى ص ٥٣ .

(٤) قيل إن وجود الأتراك فى البلاط والحرس العباسى كان منذ عهد الخليفة المنصور - (سنة ١٣٦ - سنة ١٥٨ هـ) - وكان وصولهم إليه عن طريق الضريبة السنوية على طبرستان، وكان المنصور يشرف بنفسه على تربيتهم وتدريبهم على فنون القتال . وفى عهد الخليفة المهدى لعب الأتراك دوراً مهما فى القضاء على الخوارج، والحركات الفارسية الهدامة التى قامت فى عهده . (د/ فاروق عمر : التاريخ الإسلامى ص ٢٥٣، د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/ ٢٠٤ - ٢٠٦) . واستكثر الرشيد من الأتراك فى بلاطه وجيشه وكان منهم مسرور الخادم الذى قتل جعفر بن يحيى البرمكى . (ابن الأثير على بن أحمد بن أبى الكروم : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م ٦/١٧٧، ١٧٨، د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/٢٠٧) .

بينما يرى البعض الآخر أن الأتراك فى الدولة العباسية كانوا منذ عهد الخليفة المأمون الذى احتك بهم وخبرهم منذ كان مقيما فى خرسان، (البلاذرى : فتوح البلدان - ص ٤١٨ - ٤٢٠)، فاستقدمهم ليحدث نوعا من التوازن بين الفرس الذين تفاقم نفوذهم على أيدى الفضل والحسن أولاد سهل لاعتقادهم أن النصر الذى تحقق للمأمون كان بفضل جهودهم، وبين العرب الذين اشتد قلقهم بعد فشل جهودهم التى حاولوا بها استعادة مكانتهم . (د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ٨٣، د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية - كلية دار العلوم - القاهرة - ط (١) سنة ١٩٧٠ م ص٩ - ١١) . وبينما كانت محاولات المأمون لترغيب الأتراك فى الإســــلام لهدف سياسى فى المقام الأول . (د/ حسن محمود، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٢٨٥) .

منها أن أمه تركية - تسمى ماردة، وكانت من السُّغد - الصغد -[1] ، فنشأ محبا للأتراك ، وكان فى طبــاعة كثير من طباعهم من القوة والشجاعة ، والإعتداد بقوة الجسم[2] وغير ذلك .

ويرى بعض المؤرخين المحدثين أن فى هذا الرأى كثير من المبالغة ، إذا لا يعقل أن يتخذ البعض من انتماء أمه للأتراك ذريعة تدفعه إلى تقريب أخواله - إن صح التعبير - وإبعاد أصله وأرومته ، لأن ذلك فى منطق البشر غير معقول ولا مقبول هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فليس المعتصم هو أول من فكر فى استقدام الأتراك فى الدولة العباسية بل سبقه إلى ذلك المنصور - والمهدى والرشيد والمأمون - وفوق هذا كان لدى المعتصم قبل أن يلى الخلافة ما يزيد على أربعة الآف تركى ، اذا فالمعتصم لم يقدم على ذلك إلا بعد روية وإعمال فكر ، وبعد أن تأكد لديه فعالية ما أقدم عليه من استعمالهم فى الجيش[3] وهذا رأى له وجاهته فإن قوة الأتراك البدنية ، وشجاعتهم الفائقة ، وجرأتهم على القتال ، كانت الأسباب الرئيسية التى دفعت المعتصم لاستقدامهم على نطاق واسع .

ومنها أن المعتصم فقد الثقة فى العرب والفرس معا ، فالعرب لا يتحمسون للقتال لهم تحمس الفرس[4] ، بجانب عدم التوافق بين المعتصم وأهل بغداد ، فقد كان المعتصم شديدا غليظ الطباع يحترف الفروسية ، ولم يجد لدى المجتمع البغدادى المتحضر هذه الإستجابة ، فحياة الإستقرار

---

(١) ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م ٢٩٦/١٠ ، ٢٩٧ ، الخضرى : محاضرات - المكتبة التجارية - مصر سنة ١٩٧٧ م ٢٢٩/٢ .

(٢) جرجى زيدان تاريخ التمدن ١٠٥/٢ ، د/ أحمد أمين : ظهر الإسلام - النهضة المصرية -ط (٤) سنة ١٩٦٦ م ٤/١ -، د/ العين : تاريخ عصر الخلافة ص ١٠٠

(٣) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ٢٤٣/١ ، ٢٤٤ .

(٤) د/ أحمد أمين : ظهر الإسلام ٤/١ ، د/ زيادة : تاريخ الدولة العباسية - ص ٧٧ ، فازيليف : العرب والروم - ترجمة د/ محمد عبد الهادي شعيرة - دار الفكر العربى سنة ١٩٣٤ م - ص ١٢ .

والإزدهار - النسبى - عودت الناس - فى بغداد - حياة الترف والدعة والتحضر ، فلم يعد أهل العراق يهتمون بأمور الحرب والقتال كما كانوا من قبل ، مما أدى إلى تباعد نفسى وخلقى بينهم وبين المعتصم [١] بالإضافة إلى ظهور ثورات بين الجند العربى ضد المعتصم ، وميل بعضهم إلى العلويين ، مما جعله غير واثق فى العنصر العربى ، وحمله على عدم الطمأنينة إليهم وإساءة الظن بهم [٢] .

وكذلك بدأ المعتصم يفقد ثقته فى العنصر الفارسى ، لأن كثيرا من الجند لما مات المأمـــون كان هواهم مع ابنه العباس - لأن أم المأمون فارسية [٣] وأيضا لإحلال نزعة العداء - بعد الوئام التام - بين الخلفاء العباسيين والفرس ، وخاصة بعد التنكيل يبعض رؤسائهم وسادتهم ، كما حدث لأبى مسلم الخراسانى [٤] والبرامكة وبنى سهل [٥] وكذلك لاعتناق

(١) د/ فاروق عمر : التاريخ الإسلامى ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ .

(٢) على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٢٥ .

(٣) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) : مروج الذهب - دار الأندلس - بيروت - ٤١٦/٣ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٤٣٩/٦ ، د/ أحمد أمين : ظهر الإسلام ٤/١ . (ويقال لها - مراحل الباذغيسية) (ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م - ٢٧٤/١٠) .

(٤) عبد الرحمن بن مسلم ، صاحب الدور الرئيسى فى قيام الدولة العباسية ، ويقال له : أمير آل بيت رســول الله - ﷺ - ، ولد بأصبهان - (سنة ١٠٠ هـ) ونشأ بالكوفة ، ويكنى بأبى مسلم ، قتله أبو جعفر المنصور فى شعبان (سنة ١٣٧ هـ)بالمدائن ، وتألف أصحابه بالأموال والرغبة تارة والرهبة تارة أخرى فسكتوا ، ولكن ثار بعضهم بعد ذلك - كسنباذ - للمطالبة بالثأر له ، وكان عقل ورأى وتدبير وحزم ، وكان فتاكا ، مقداما ، داهية ، حازما ، راوية للشعر ، قليل الطمع ، فصيحا بالعربية والفارسية (الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤٨/٦ - ٧٣ ، ابن كثير : البداية - دار الفكر مصر سنة ١٩٣٣ م - ١٠ / ٦٧ - ٧٣ ، الزركلى (خير الدين) : الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت ط (٥) سنة ١٩٨٠ م - ٣٣٧/٣ ، ٣٣٨) .

(٥) د/ حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٤٩ ، ٥٠ .

معظم الفرس تعاليم الشيعة ، وتكرار محاولات تحويل الخلافة من البيت العباسى إلى البيت العلوى[١] ، ولا يستبعد أن يكون وراء سبب فقدان المعتصم ثقته فى الفرس ظهور كثير من من الحركات الهدامة فى بلادهم ، كالمانوية والمقنعية والراوندية ، والتى كانت تطالب بالقضاء على العرب وإعادة مجد الإمبراطورية الفارسية القديمة .

وهكذا بدأ المعتصم - ومن جاء بعده من الخلفاء العباسيين - يتخلون عن سياسة الإعتماد على العرب والفرس معا ، وأمام هذا لم يكن أمام المعتصم سوى الإلتجاء إلى العنصر التركى[٢] ، خاصة وقد كانوا فى حالة بداوة تمكنه من تشكيلهم حسبما يريد ، سواء فى القيادات العسكرية ، أو الأعمال الإدارية ، أو ما تحتاجه الدولة[٣] وبالفعل أخذ المعتصم يكثر جداً من جلب الأتراك حتى وصل عددهم فى عهده عشرون ألفا[٤] ، وقيل أكثر من سبعين ألفا[٥] وقد حرص على تعليمهم قواعد اللغة العربية ، وتعاليم الإسلام الحنيف والتأدب بآدابه ، بالإضافة إلى التربية العسكرية التى استقدموا من أجلها ، حتى إذا أصبح الواحد منهم ذا كفاية تؤهله لتولى المناصب القيادية فى الجيش والدولة سمح لهم بالإرتقاء فى مدارج الرقى[٦] . بل وقد حرص المعتصم أيضا على أن تبقى دماؤهم متميزة

---

(١) د/ نادية صقر : مطلع العصر العباسى الثانى ص ٥٤ .

(٢) د/ حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٥٠ .

(٣) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/١٩٨ .

(٤) ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م - ٢٩٦/١٠ .

(٥) على بن ظافر (جمال الدين أبو المحاسن) : أخبار الدول المنقطعة - تحقيق محمد بن مسفر الزهرانى - مكتبة دار المدينة المنورة سنة ١٩٨٨ م ص ١٧٤ .

(٦) د/ نادية صقر : مطلع العصر العباسى الثانى ص ٥٨ ، د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/ ٢٦٠ .

ليحفظ لهم مميزاتهم العرقية ، فجلب لهم نساء من جنسهم زوجهم لهم ومنعوا أن يتزوجوا من غيرهن [1] .

وكثر الأتراك فى عهد المعتصم حتى ضاقت بهم بغداد وتأذى الناس بسببهم ، فلم يكن هؤلاء على قدر من الحضارة مما يمكنهم من معايشة أهالى بغداد من الفرس والعرب ، فاستهتروا بأرواح الناس وعبثوا بالأمن، فتراكضوا فى طرق بغداد وشوارعها ويصدمون الرجل والمرأة ، ويطأون الصبى [2] ، بالإضافة إلى ما تعرض له السكان من أذى نتيجة تعلم هؤلاء الأتراك فنون القتال والفروسية فى أنحاء بغداد [3] .

وأدرك الخليفة المعتصم خطورة هذا الأمر ، وأصبح من غير المعقول أن يثير العناصر المدنية فى بغداد على نفسه وضد النظام الذى يمثله بأن ينحاز إلى جانب جنوده الأتراك ، كما أنه لم يكن من المعقول أيضا أن يقف بجانب مواطنى بغداد ضد رجاله العسكريين ، الذين يعدهم ليعتمد عليهم فى الشدائد والملمات [4] لذا فكر المعتصم وهداه تفكيره إلى بناء مدينة جديدة لأتراكه ، وهى سامرا [5] ، وبهذا أبعد جنده عن الناس كافة، وتحصن هو من الفرس ومن آل على [6] .

---

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣١٤ .

(٢) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت ٣/٤٦٦ ، ابن طباطبا (محمد بن على) الفخرى فى الآداب السلطانية - مطبعة الموسوعات - مصر سنة ١٣١٧ هـ - ص ٢١١ ، د/ نادية صقر : مطلع العصر العباسى الثانى ص ٥٦ .

(٣) د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ٧٧ .

(٤) د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ١٢ .

(٥) سَامَرًا : بين بغداد وتكريت ،على دجلة من شرقيها تحت تكريت. (ابن عبد الحق وصفى الدين بن عبد المؤمن) : مراصد الرطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - دار إحياء الكتب العربية - مصر ط (١) سنة ١٩٥٤ م ٢/٦٨٤ ، ٦٨٧) . وابتدأ المعتصم بنائها (سنة ٢٢١ هـ / سنة ٨٣٥ م) .(ابن طباطبا : الفخرى ص ٢١١) . ومن يومها ظلت قاعدة الدولة حتى عاد المعتمد إلى بغداد (سنة ٢٧٩ هـ / سنة ٨٩٢ م) . - جرجى زيدان : التمدن ١٧٨/٤) . وتبعد عن بغداد بحوالى مائة وأربعين كليو متراً تقريبا . « د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١٠٢) .

(٦) د/ العش: تاريخ عصر الخلافة ص ١٠٢ .

وساعدت الأحداث في الدولة العباسية الأتراك على الظهور كعنصر فعال فى الدولة في هذا الوقت ، فقد كان الإنتصار فى عمورية [1] (سنة ٢٢٣ هـ / سنة ٨٣٧ م) بقيادة الأتراك [2] كما كان لقضاء الأفشين - حيدر بن كاوس - على بابك الخرمى الذى شغل الدولة العباسية منذ عهد الرشيد أثره فى رفع شأن الأتراك . فقد ذكر الدنيورى [3] : « ولما قدم الأفشين ومعه بابك أجلسه المعتصم على سرير أمامه ، وعقد التاج على رأسه » .

وسار الخلفاء من بعد المعتصم - كالواثق بالله (٢٢٧ - سنة ٢٣٢ هـ) - على سياسة الإكثار من جلب الجنود الأتراك ، وإحلالهم مكانه ممتازة فى شئون الدولة العباسية [4] .

---

(١) عَمّورِيّة : من بلاد الروم ، وهى من أحصن وامنع بلادهم ، وهى عين النصرانية . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٢/ ٩٦٣ ، كى لسترنج : بلدان الخلافة - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد - مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢) سنة ١٩٨٥ م - ص ١٧٠) وفى هذه الموقعة ثأر المعتصم من الروم بما فعلوه بالمسلمين فى زبطرة وملطية ، من سبى النساء - ألف امرأة - وقتل الرجال والذرية والتمثيل بهم ، وسمل أعينهم ، وجدع آذانهم وأنوفهم . (أنظر تفاصيل هذه الموقعة فى : (الطبرى بن جرير : تاريخ الأمم - دار سويدان - بيروت ٩/ ٥٧ - ٧١ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٦ / ٤٨٠ - ٤٨٨ ، ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م - ١٠ / ٢٨٦ - ٢٨٨) .

(٢) المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) : التنبيه والإشراف - دار صعب بيروت - بدون ص ١٤٤ ، د/ أحمد أمين : ظهر الإسلام ٢/ ٦ .

(٣) (أبو حنيفة أحمد بن داود) : الأخبار الطوال - دار إحياء الكتب العربية - ط (١) سنة ١٩٦٠ م - ص ٤٠٥ .

(٤) د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ١٣ .

الخلفاء العباسيون فى ظل النفوذ التركى :

كان الخلفاء العباسيون يعتقدون أنهم يحكمون الأمة بتفويض من الله تعالى ، فقد ورد أن أبا جعفر المنصور قال يوما على منبر عرفة : « أيها الناس : إنما أنا سلطان الله فى أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، ورشده ، وخازنه على ماله أقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه ... »[1] وعلى هذا أصبح الخليفة العباسى مصدر جميع السلطات التى تقوم عليها سياسة الدولة[2] ، وتمكن الخلفاء العباسيون فى العصر الأول (١٣٢ - سنة ٢٣٢ هـ / سنة ٧٤٩ - سنة ٨٤٦ م) - من القضاء على كل العناصر المتطلعة إلى القوة والنفوذ كالأتراك والخراسانيين والبرامكة[3] .

أما فى العصر العباسى الثانى فقد تغير الحال تماما ، فقد زاد نفوذ الأتراك فى الدولة العباسية ، وكثر تدخلهم فى شئون الدولة ، وأصبحوا هم أهل الحل والعقد الذين لا تتم الأمور دون موافقتهم ورضاهم ، وأصبح الخليفة العباسى دمية - إن صح التعبير - فى أيدى قادة الجيش الأتراك يحركونها كيف شاءوا ، لعباسى دمية - إن صح التعبير - فى أيدى قادة الجيش الأتراك يأتون به إلى منصب الخلافة متى رأوا أن مصلحتهم الوقتية تقتضى ذلك ، ويطردونه من هذا المنصب ، بل ويزهقون روحه إذا ما ظهر لهم منه فيه الخروج على مخططاتهم ، أو إذا ما شعروا أن مهمته فى تحقيق مصلحتهم قد انتهت[4] ولعل السر فى هذا راجع إلى أنه لم تكن هناك روابط روحية قوية تربط هؤلاء الأتـراك بالخلفاء ، ومن ثم نجدهم لا يحترمون أشخاص الخلفاء ، ولم يكونوا يتورعون عن التنكيل بهم وقتلهم[5] .

---

(١) ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م - ١٠ / ١٢٢ .

(٢) د/ حسن الباشا : دراسات ص ٤٩ .

(٣) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٢٩٨ .

(٤) د/ حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ص ٦١ ، د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ٣١ ، ٣٢ ، على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٢٦ .

(٥) د/ حسن الباشا : دراسات ص ٥٠ .

فبعد أيام المعتصم أصبحت البيعة تجارة ينالها صاحب المال أو صاحب الجند - والمعنى واحد - وكان الجند يسرون بخلع الخلفاء طمعا فى المال لأنهم كلما تولى خليفة طالبوه بحصد البيعة ورزق ستة أشهر أو سنة أو أكثر أو أقل على قدر مطامعهم [1] .

ويقترن تاريخ وفاة الخليفة الواثق بن المعتصم (سنة ٢٣٢ هـ / سنة ٨٤٦ م) - بتاريخ تدخل النفوذ التركى فى شئون الدولة العباسية ، لأن الواثق لم يعهد إلى أحد من بعده بولاية الأمر ، فتجاوز الأتراك ابنه وبايعوا لأخيه المتوكل [2] وبعد فترة أحس المتوكل بتوغل الأتراك فى الدولة واستبدادهم بأموال الخلافة وإدارتها وجيشها ، فأراد أن يضعف شوكتهم ويقلل من نفوذهم ، فرأى أن ينقل العاصمة من سامرا إلى دمشق - (سنة ٢٤٣ هـ / سنة ٨٥٧ م) - فشغب عليه الأتراك ورجع إلى سامرا مرة ثانية نزولا على إرادتهم ، ومن وقتها انعدمت ثقة الأتراك فى المتوكل ، فدبروا لقتله (سنة ٢٤٧ هـ / سنة ٨٦١ م) [3] بمؤازرة ومؤامرة ابنه المنتصر [4] .

ولم يكن قتل المتوكل اعتداء عليه وحده ، بل هو قتل لسلطان كل خليفة بعده ، ولم يقتل بيد « باغر » وحده بل قتل بيد الأتراك . وكان

---

(١) جرجى زيدان : التمدن ٢/ ١٥٣ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك - دار سويدان - بيروت - بدون - ٩ / ١٥٤ ، ١٥٥ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٧/ ٣٣ ، ٣٤ ، د/ صبيحى الصالح : النظم الإسلامية ص ٢٧٠ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب - دار الأندلس - بيروت ٤/ ٣٢ ، ٣٣ ، ابن كثير: البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م ١٠/ ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، د/ زيادة / تاريخ الدولة العباسية ص ١٣٥ .

(٤) ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م - ١٠/ ٣٤٩ ، د/ حسن إبراهيم ، د/ على إبراهيم : النظم الإسلامية - مكتبة النهضة المصرية - ط (٤) سنة ١٩٧٠ م - ص ٦٩ .

فى قتله خيانة للأتراك وسلطانهم ، وإنذاراً عاما للبيت العباسى أن من أراد أن يلى الخلافة فليذعن إذعانا تاما للأتراك ، وأن من حدثته نفسه . .

- من الخليفة فمن دونه - أن يناوئهم فليوطن نفسه على القتل [١] .

ويعلق د/ العش على حادثة اغتيال الخليفة المتوكل على أيدى الأتراك بقوله : « وهكذا أصبح الأتراك قتلة الخلفاء ، وأصبح الخلفاء يخشون شرهم ، ومن أتى من الخلفاء من بعد ذلك ساروا حسب إرادتهم وانضموا إلى لوائهم . . . » [٢] . ويصور البعض الآخر الأتراك فى عهد المتوكل بأنهم : « أصبحوا كالحرس البريتورى فى الإمبراطورية الرومانية ، يعزلون الخلفاء ويولونهم ، ولا يتركون لهم إلا سلطانا إسميا » [٣] . وهكذا كان ما حل بالمتوكل على أيدى الأتراك بداية النهاية لسلطة الخليفة الذى أصبح صنيع زمرة صغيرة من القادة العسكريين [٤] .

وزادت قوة الأتراك فى الدولة فى خلافة المنتصر ، وأنشبوا أظفارهم فى جسمها ، لأنهم هم الذين ساقوا الخلافة إليه [٥] فلابد من الرضوخ لهم. ومما يدل على تحكم الأتراك فى كل شىء فى هذا الوقت ، تندر أحد الشعراء على الخليفة المستعين بقوله :

خليفـــــة فى قفص بين وصيف وبغا

يقـــــول ما قالا له كما تقول الببغـــا [٦]

ثم جاءوا بالمعتز وضيقوا عليه ، وعزل المقتدر على يد مؤنس الخادم،

---

(١) د/ أحمد أمين : ظهر الإسلام ١١/١ .

(٢) تاريخ عصر الخلافة ص ١٠٧ .

(٣) فازيليف : العرب والروم ص ١٢ .

(٤) د/ فاروق عمر : التاريخ الإسلامى ص ٢٥٩ .

(٥) د/ زيادة : تاريخ الدولة العباسية ص ١٣٥ .

(٦) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت ٦١/٤ .

وهكذا لم يكن هؤلاء الأتراك يتورعون عن عزل الخلفاء ، وقتلهم ، وسملهم للتخلص منهم ، وكان أول من سمل من الخلفاء القاهر بالله [1] ، كما سمل المستكفى ، وكذلك المتقى الذى سجن مدة خمسا وعشرين سنة إلى أن توفى فى شعبان (سنة ٣٥٧ هـ / سنة ٩٦٧ م) [2] .

وهكذا أصبح بقاء الخليفة فى منصبه مرهونا برضاء الأتراك ، ومن أطرف ما يروى فى هذا المجال أن المعتز لما جلس على سرير الخلافة قعد خواصه وأحضروا المنجمين - مع عدم جواز هذا شرعا لأن الغيب والأجل علمهما لله - وقالوا لهم : أنظروا كم يعيش ، وكم يبقى فى الخلافة ؟ وكان بالمجلس بعض الظرفاء ، فقال : أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته ، فقالوا : كم تقول إنه يعيش ، وكم يملك ؟ قال : ما أراد الأتراك [3] .

وزيادة على تسلط الأتراك وأثره على الخلافة ، كان لهم دور آخر فى زيادة العلاقات السيئة بين أفراد البيت العباسى ، وقد يقال إن العلاقات بينهم كانت سيئة حتى قبل ظهور الأتراك ، وهذا القول مسلم به ، ولكن الإضافة هنا أن القادة الأتراك قد وسعوا ظاهرة الشقاق بين الخلفاء وكبار رجال البيت العباسى . وهذا الموقف من قادة الأتراك يتفق تماما والمخطط الذى كانوا يعملون لتحقيقه ألا وهو الإنفراد بالنفوذ والسلطان ، فلكى يتحقق الوصول إلى هذا الهدف كان على قادة الأتراك أن يعملوا على تفتيت الجبهة التى تتعارض مصلحتها مع تتطلعاتهم وهى بالطبع جبهة البيت العباسى ، إذ أنه لو حدث واتحد العباسيون لأصبح من الصعوبة بمكان - إن لم يكن من المستحيل - على قادة الأتراك أن يستأثروا بالنفوذ والسلطان [4] .

---

(١) ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م ١١/١٧٨ .

(٢) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت ٤/٩٨ - ١٠٠ ، ٢١٤ ، د/ حسن الباشا : دراسات ص ٦٨ ، ٦٩ .

(٣) د/ حسن إبراهيم ، د/ على إبراهيم : النظم الإسلامية ص ٦٩٠ .

(٤) د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ١٤١ .

وىما يسجله التاريخ للقادة الأتراك أنهم كانوا يعرفون نقطة الضعف فى زعماء البيت العباسى ، ألا وهى التطلع إلى الخلافة ، وأنهم استغلوها إلى أبعد حدود الإستغلال ، ومما يسجله التاريخ أيضا أن - معظم - الخلفاء العباسيين قد انساقوا وراء القادة الأتراك دون وعى لخطورة التمزق على كيانهم ، أو أنهم كانوا يدركون خطورة التمزق ولكنهم لم يعملوا على تلافى أسبابه (١) .

ومما زاد الطين بلة فى هذه الفترة - تسلط الأتراك - وكان له أثره السلبى على الخلافة وهيبتها ، أنه بلغ الضعف ببعض الخلفاء إلى درجة أنه كان للنساء كلمة مسموعة فى إدارة شئون الدولة مما أدى إلى تدهور مركز الخلافة .

فقد تولى المقتدر الخلافة وهو فى الثالثة عشرة من عمره لا يعرف عن أمور الدولة شيئا فاحتوته أمة (٢) - وأصبحت صاحبة الأمر والنهى والعزل والولاية (٣) ، ويلغ من نفوذها أن ولت « تومال » - إحدى وصيفاتها - صاحبة للمظالم ، فكانت تجلس لسماع الشكوى فى أيام الجمع فى مكان بنته لها السيدة - أم المقتدر فى الرصافة (٤) .

وعلى الجملة يعلق ابن طباطبا على حال الخلافة فى عصر نفوذ الأتراك بقوله : « ومن تلك الأيام اضطهدت الخلافة العباسية ، وخرجت الأمور منها واستولى الأعاجم والأمراء وأرباب السيوف على الدولة ، وجبوا الأموال وكفوا يد الخليفة ، وقرروا له شيئا يسيرا ، ... ووهن

(١) المرجع السابق ص ١٥٦ .

(٢) كانت تسمى « شغب » ، واطلق عليها المؤرخون اسم « السيدة » . (ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨/١١) .

(٣) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨/١١ ، ٢٤٣ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ١١/١٧٥ ، د/ حسن الباشا : دراسات ص ٧٠ ، د/ العسن : تاريخ عصر الخلافة ص ١٧٢ .

(٤) د/ حسن إبراهيم ، د/ على إبراهيم : النظم الإسلامية ص ٧١ .

من يومئذ أمر الخلافة »[1] . ويقول اليافعى[2] : « ولكنه - الخليفة - كان مقهوراً مع إمرته » .

وهكذا كان ضعف الخلافة من أكبر الأسباب التى أدت إلى ظهور الدويلات ، وجعل المتغلبين يشمخون إلى كرسى الحكم دون هيبة ، وتحت هذا السبب حقق كل مريد ما أراده وما كان يتطلع إليه من وجهة سياسية أو مذهبية أو قومية ، أو طموح شخص[3] .

ويجب أن يلاحظ فى هذا المجال أن بعض الخلفاء - كالمتوكل والمستعين والمهتدى - حاولوا استرداد هيبة الخلافة ، ولكن مصيرهم كان معروفا ، وهو القتل[4] كما يجب أن يلاحظ أيضًا أنه بالرغم من ضعف الخلافة إلا أن سلطة الخليفة على الممالك الإسلامية ظلت ماثلة فى الأذهان، ولم يفقد معنى الخلافة ما كان له من القوة والسلطان[5] ، وكذلك ظل الخليفة من الناحية الروحية يتمتع بسلطة كبيرة ، لأنه فى نظر الناس يمثل شخصية الدين المعنوية[6] .

فتن وثورات الأتراك :

إن المتتبع لتاريخ القادة الأتراك فى عصر نفوذهم فى الدولة العباسية يستطيع أن يصل إلى حقيقة تاريخية مؤداها أن الأتراك لم يكونوا على وفاق دائما ، بل إن التنافس الذى كان يؤدى فى الأغلب إلى الصراع

---

(١) الفخرى ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) (أبو محمد عبد الله بن أسعد) : مرآة الجنان - دائرة المعارف - الدكن ط (١) سنة ١٣٣٨ هـ - ٢ / ٢٩٦ .

(٣) د/ الخطيب : دراسة تحليلية ٢٧٧/١ .

(٤) ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ١١ / ١١ ، ٢٣ ، د/ حسن الباشا : دراسات ص ٧٠ ، د/ صبحى : النظم الإسلامية ص ٢٧١ .

(٥) د/ سيدة كاشف : مصر فى عهد الإخشيديين - دار النهضة المصرية ط (٢) سنة ١٩٧٠ م - ص ٩٢ .

(٦) د/ صبحى : النظم الإسلامية ص ٢٧٢ .

والتطاحن كان هو السمة الرئيسية للعلاقات بين القادة الأتراك . وهذا أمر طبيعى بين مجموعة من الرجال العسكريين وجدوا أنفسهم فى الصدارة فى مراكز القوة السياسية ، التى يؤدى التنافس عليها إلى تمزيق كل الروابط التى يعتقد فيها أنها تجمع بين أكثر من مجموعة من المجموعات البشرية [١] ناهيك عن كيفية دس بعضهم لبعض واغتياب بعضهم بعضا ، وتآمر البعيد على القريب ، ومحاولة الصغير أن يتساوى مع الكبير ، مما أوجد مجتمعا عسكريا تسوده الكراهية ، ويحتويه الحقد والجشع والتطلع إلى السلطة والمال [٢] وهذا أمر لا غرابة فيه لإحساسهم أنهم جميعا متساوون فى كل شىء ، فكلهم جلبوا إلى دار الخلافة ، وتربوا فيها تربية واحدة ، فالكل يرى نفسه يستحق الصدارة والنفوذ ، مما خلق هذه الروح .

ومن مظاهر الإنقسام بين القادة الأتراك ما حدث فى أواخر عهد المتوكل ، فقد انقسم الأتراك إلى فريقين فريق يؤيد المنتصر بالله ، وكان على رأس هذا الفريق وصيف وبُغَا وأحمد بن الخصيب ، وفريق آخر يناصر المتوكل ويتزعم هذا الفريق الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى بن خاقان [٣] .

واستمر التنافس بين قادة الأتراك حتى أوائل عهد المعتز بالله (سنة ٢٥٢ هـ / سنة ٨٦٦ م) ، وفى أوائل عهده عادت الوحدة إلى الأتراك من جديد ، غير أنها لم تستمر طويلا إذ أنهم سرعان ما انقسموا على أنفسهم مرة أخرى إلى فريقين متصارعين ، فبعد أن عفا المعتز عن وصيف وبُغَا [٤] ، ثار الجند يطالبون برواتبهم وفى لحظة فورانهم قتلوا وصيفا فى

---

(١) د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ٢/ ١٤٠ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم - سويدان - بيروت - ٩/ ٢٢٢ - ٢٢٨ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٧/ ٩٥ - ١٠٠ .

(٤) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت - ٤/ ٩٠ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٧/ ١٦٩ ، د/ حامد غنيم : عصر الدول ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

الثالث من شوال (سنة ٢٥٣ هـ / سنة ٨٦٧ م)[١] ، فبرز « بيكباك » الذى كون مركزا للقوة فى مواجهة بُغَا ، وقام الصراع بينهما ، وانتهى بالقبض على بُغَا وقتله (سنة ٢٥٤ هـ / سنة ٨٦٨ م)[٢] .

وفى عهد المهتدى بالله أسفر الصراع الذى نشب بين قادة الأتراك عن قتل صالح بن وصيف على يد موسى بن بُغَا وأتباعه فى صفر « سنة ٢٥٦ هـ / سنة ٨٧٠ م)[٣] أما بيكباك الذى أراد الخليفة أن يستخدمه ضد موسى بن بغا فكانت نهايته على يد الخليفة المهتدى[٤] .

وتخلص مما سبق إلى القول بأن قادة الأتراك لم يكونوا بصفة دائمة على وفاق بينهم ، بل إنهم كثيرا ما انقسموا على أنفسهم ، نفس الصورة التى كانت عليها العلاقات بين زعماء البيت العباسى ، أى أن السلطة الزمنية - أو العسكرية - كانت هى الأخرى ممزقة كما كانت عليه الحال أيضا بالنسبة للسلطة الروحية[٥] .

غير أنه توجد بعض الخصائص التى تفرق بين الحالتين :

أولاً : كان الأتراك فى وقت الخطر يتكتلون وينسون خلافاتهم ليقفوا فى وجه السلطة الروحية صفا واحداً ، وقد برزت هذه الحقيقة فى أكثر من مناسبة ، فقد حدث بعد أن تنازل المستعين عن الخلافة أن تصالح أتراك سامرا مع أتراك بغداد .

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم - سويدان - بيروت ٩/ ٣٧٤ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ٧/ ١٧٨ ، ١٧٩ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم - سويدان - بيروت ٩/ ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ٧/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٣) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت ٤/ ٩٧ ، ٩٨ ، ابن الأثير : الكامل بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٧/ ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٤) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت - ٤/ ١٠٠ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٧/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٥) حامد غنيم : عصر الدول ص ١٧١ .

والأمر مختلف بالنسبة لزعماء البيت العباسى ، فلم يحدث أن حاول أى من الخلفاء التكتل جبهة واحدة ضد خطر الأتراك .

ثانيا : الشقاق بين زعماء البيت العباسى كان يحدث دائما بإيعاز من القادة الأتراك . على حين أن الشقاق بين القادة الأتراك كان بعضه يتم نتيجة لجهود الخلفاء ، أما البعض الآخر فكان مبعثه التنافس على المناصب ومراكز القوى .

ونتيجة لما سبق من المقارنة بين حال السلطة الزمنية والسلطة الروحية نستطيع أن نقول أن الأولى كانت متماسكة نسبيا ، الأمر الذى مكنها من أن تفرض إرادتها على زعماء البيت العباسى بصفة عامة [1] .

وعلى العموم فقد انهكت الإضطرابات السابقة التى سببها النزاع بين زعماء الأتراك حول مكان الصدارة دولة العباسيين ، وأدت إلى إفلاس بيت المال . وساعد على هذا تزايد ضغط الأتراك على الوزراء وكتاب الدواوين للحصول على الأموال التى تمكنهم من إرضاء جندهم وأعوانهم حتى يستمروا على ولائهم لقادتهم المتنافسين ، بل ولم يكفوا عن مطالبة الخلفاء أيضا بأرزاقهم وأرزاق جندهم ،وتمسكوا بمرسوم التعيين وهباته [2].

ومن أمثلة الثورات التى قام بها الأتراك من أجل المطالبة بالمال ، تلك الثورة التى وقعت فى عهد المعتز (سنة ٢٥٥ هـ / سنة ٨٦٩ م) ، إذ ذهب الجند الأتراك إليه فى قصره ودخل وفد منهم عليه يطالبونه بأرزاقهم، فلم يجد المعتز فى خزانته ما يدفعه لهم ، فاستعان بأمه يستمدها ولكنها رفضت أن تعينه ، فما كان منهم إلا أن قبضوا عليه وعذبوه حتى توفى فى شعبان من نفس السنة - (سنة ٢٥٥ هـ / سنة ٨٦٩ م) [3] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧١ - ١٧٣ .

(٢) د/ حسن محمود ، د الشريف : العالم الإسلامى ص ٢١٩ ، د/ محمد حلمى : الخلافة ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) الطبرى: تاريخ الأمم - سويدان - بيروت -٩/ ٣٨٩ ، ٣٩٠،ابن الأثير: الكامل - بيروت سنة١٩٦٥م- ٧/ ١٩٥ ، ١٩٦،د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة. ص١٠٥ .

وراجع الأتراك الخليفة المقتدر أكثر من مرة يطلبون المال ، فأطلق لهم أرزاقهم ، وفى سبيل هذا باع ما فى خزانته من الأمتعة والجواهر ولما تولى القاهر (٣٢٠ هـ / سنة ٩٣٢ م) ، ثار الأتراك يطالبون برزق البيعة والسنة [١] ، وفى (سنة ٣٢٣ هـ / سنة ٩٣٤ م) ثاروا أيضا يطالبون بالمال ، فقصدوا دار الوزير أبى على بن مقلة فنقبوها وأخذوا ما فيها [٢] .

ومن أجل ذلك كثر إخفاء المال فى سراديب وحفر تحت الأرض ، أو بناء حوائط عليه ، أو نحو ذلك خوفا من إلحاح وشره الأتراك إليه [٣] فقل نفع هذا المال .

ناهيك عن كثرة المصادرات - بغير حق - للكثير من الناس - وخاصة كتاب الدواوين - ، مما أفلس بيت المال ، والدليل على ذلك أن دخل الدولة فى أول القرن الثالث الهجرى كان نحو أربعمائة مليون درهم، عدا الأموال الأخرى الخاصة بالأمراء والوزراء والغلات ، ثم صار فى الربع الأول من نفس القرن ثلاثمائة وثمانون مليون درهم بدون الغلات ، ثم صار فى أواسط القرن أقل من ثلاثمائة مليون ، وظل هذا التدريج فى النقص إلى أواخر أيام الدولة [٤] .

كما تقلد كثير من الأتراك إمارات كبيرة بعيـــدة نسبيا عن مقر الخلافة ، ولم يذهب هؤلاء إلى مقر أعمالهم بل أقاموا فى بغداد وأرسلوا نوابا عنهم إلى هذه الإمارات ، وذلك ليكونوا على مقربة من تطورات الأحداث وليعملوا على الإستئثار بالنفوذ وبالسلطان دون منافسيهم ، أو

---

(١) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨/ ٢٤١ ، ٢٤٢ ، د/ أحمد رمضان : حضارة الدولة العباسية ص ٧٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل - دار صادر - بيروت سنة ١٩٨٢ م ٨/ ٣٢١ ، ابن كثير: البداية ١١/ ٢٣٥ .

(٣) د/ أحمد أمين : ظهر الإسلام ١/ ٣٤ .

(٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن ٢/ ١٠٨ .

على الأقل ليعملوا على تحسين أوضاعهم . وبمرور الزمن تطور الأمر وانحسر كثير منهم عن مقر الحكـــومة المركزية إلى ولاياتهـــم التى تقلدوها [١] .

وهذا دعا إلى زيادة طموحهم ، وبدأ بعضهم يتجه إلى تكوين دولة خاصة يحكمها سواء تحت ظل الخلافة أو منفصلا عنها ، وأوضح مثال لذلك ما فعله الأفشين الذى اتصل بأعداء الدولة وأصحاب الطموح فيها ، ولكن المعتصم تنبه له وقضى عليه (سنة ٢٢٥ هـ / سنة ٨٣٩ م) [٢] .

واستمر تحكم الأتراك هكذا فى الخلافة والدولة واستئثارهم بالمال حتى عهد الخليفة الراضى - (سنة ٣٢٢ - سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٣٣ - سنة ٩٤٠ م) - وبداية إمرة الأمراء (سنة ٣٢٤ هـ / سنة ٩٣٥ م) . ولقد حاول الراضى بالله أن يبرأ نفسه مما أحدثه الأتراك ، ومن تسلطهم على مقاليد الأمور فقال : « كأنى بالناس يقولون : أرضى هذا الخليفة بأن يدبر أمره عبد تركى ، حتى يتحكم فى المال ويتفرد بالتدبير ؟ ولا يدرون أن هذا أفسد قبلى ، وأدخلنى فيه قوم بغير شهوتى [٣] . وجاء على لسانه أيضا :« وكان الأجود أن يكون الأمر كله لى كما لمن قبلى[٤] ، ولم يجر القضاء بهذا إلى » [٥] .

---

(١) د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٠٨ ، د/ نادية صقر : مطلع العصر العباسى الثانى ص ٥٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٦/ ٥١٠ ، ٥١٨ ، ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ - ٢٩٢/١٠ ، ٢٩٣ ، د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٢٥ .

(٣) الصولى (أبو بكر بن محمد) : أخبار الراضى بالله والمتقى لله - مطبعة الصاوى مصر سنة ١٩٣٥ م - ص ٤١ .

(٤) لعله يقصد خلفاء العصر العباسى الأول ، أو بعض خلفاء العصر العباسى الثانى الذين حاولوا استرداد هيبة الخلافة والسيطرة على مقاليد الأمور كالمتوكل والمستعين والمهتدى والمعتضد .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ٤٢ .

هذه فكرة عامة عن الأتراك من بداية استقدامهم حتى إمرة الأمراء ، واختلف المؤرخون بشأن هؤلاء الأتراك ووجودهم فى الدولة العباسية بين مؤيد ومعارض فالمعارضون يحملون الخليفة المعتصم أكبر نصيب من تبعية ما حل بالدولة العباسية بعده من إضطراب ثم انحلال ثم سقوط وزوال ، بسبب جلبه للأتراك ، ويرونها نقطة سوداء فى تاريخ المعتصم لا تمحى[١].

والمؤيدون يرون أن ما قام به المعتصم هو المبالغة فى الإستكثار منهم ولهذا فهو يتحمل بعض المسؤلية فقط عن إلحاق هؤلاء الأتراك بالجيش ، وبعض المسؤلية عما حدث منهم فى بغداد وسامرا ، [٢] والخلافة .

ووجهة نظر هذا الفريق أن سيطرة الأتراك كانت داخل دائرة محدودة، فالقادة الأتراك الذين كانوا يحركون الأحداث لم يتجاوز عددهم أصابع اليدين بكثير ، والمكان الذى كانوا يبسطون سيادتهم عليه بصفة مباشرة لم يكن الجزء الأكبر من الدولة العباسية ، بل إنه فى بعض الأحيان كان ينكمش داخل العاصمة بغداد ولم يتجاوزها [٣] .

وهذا لا ينبغى وجود فترات من بسط النفوذ فى بعض مرافق الدولة للعناصر التركية أو غيرها خاصة فى فترة التسع سنوات - فيما بين مقتل المتوكل (سنة ٢٤٧ هـ / سنة ٨٦١) إلى خلافة المعتمد (سنة ٢٥٦ هـ / سنة ٨٦٩ م) ولكن ذلك لا يتعدى فى أغلب الأحيان مجرد المحاولة لإرغام بعض الخلفاء على الرضوخ لأوامر بعض القواد ، ولكن المرافق الأخرى كانت فى يد الخليفة [٤] بل ولم يفكر أحد من الأتراك فى القضاء

---

(١) جرجى زيدان : تاريخ التمدن ١٠٥/٢ ، د/ زيادة : تاريخ الدولة العباسية ص ٧٧ ، على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٢٦ .

(٢) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ٢٤٨/١ .

(٣) د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ١٦

(٤) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/ ٢٧٠ .

على الخلافة ، ولكنهم حافظوا عليها [1] وكانوا سيوفا فى كل عصر تدافع عن الإسلام [2] .

ويرى الدكتور فاروق عمر أنه يجب أن يؤخذ فى الإعتبار حين التصدى للحكم على الأتراك فى الدولة العباسية ، ومحاولة إلصاق كل المصائب التى حلت بالخلافة العباسية فى عصرها الثانى بهم ، أن السبب فى هذا ليس هو التخريج الخاطىء فى النقل الأعمى عن الإستشراق الأوربى ، بل إنه يرجع كذلك إلى ظاهرة حديثة من ظواهر القرن العشرين ألا وهى التصدع الذى وقع فى العلاقات العربية التركية قبيل الحرب العالمية الأولى وما بعدها بسبب سياسة التريك ، وهكذا فقد أطلق المؤرخون لأقلامهم العنان ليكتبوا عما فعله الأتراك بالخلافة الإسلامية ، وليثبتوا بأن أتراك العصور الوسطى لم يختلفوا عن أتراك العصور الحديثة فى سياستهم ضد العروبة وأبنائها [3] .

خلاصة ما سبق :

أتفق مع الرأى القائل بأن الأتراك كانوا وراء التمزق الخطير الذى أصاب البيت العباسى ، فالقادة الأتراك كانوا وراء العداء بين المتوكل وابنه المنتصر ، وكانوا أيضا وراء عزل المنتصر لأخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد ، وهم أيضا كانوا وراء الحرب الأهلية التى دارت بين المستعين والمعتز ، وهم الذين كانوا وراء تحريض المعتز ضد أخيه المؤيد حتى قتله ، وهذه الأمثلة كافية لتأكيد دور الأتراك فى تمزيق وحدة البت العباسى [4] مع

(١) د/ حسن الباشا : دراسات ص ٧٠ .
(٢) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٢٨٩ .
(٣) التاريخ الإسلامى ص ٢٤٩ .
(٤) د/ حامد غنيم : عصر الدول ص ١٥٦ .

أن أفراد البيت العباسى يتحملون جزءاً من المسؤلية ، كما سبق - للتنافس على السلطان .

وكذلك من الحقائق التاريخية الثابتة أن الأتراك سيطروا على مقاليد الأمور فى الدولة العباسية فى عصرها الثانى ، وخاصة الخلافة والناحيتين المالية والإدارية . وكذلك قام الأتراك بعدة ثورات كما سبق - كان لها أثرها السلبى على بغداد على وجه الخصوص وبقية أنحاء الدولة على وجه العموم . وحاول بعض الخلفاء التخلص من نزعة السيطرة التركية ولكن لم يقدروا بل كانت نهايتهم على أيدى هؤلاء الأتراك ، واستمر الوضع هكذا حتى خلافة الراضى . (سنة ٣٢٢ هـ - سنة ٣٢٩ هـ) - والذى حاول السيطرة على مقاليد الأمور ، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه بالنسبة للخلافة والدولة، فكانت ضالته إمرة الأمراء .

ثانيا : ضعف الوزارة :

ومن أسباب ظهور الإمرة ضعف الوزارة فى العصر العباسى الثانى ، ففى بداية العصر العباسى الأول كانت الوزارة [1] ضعيفة جدا ،

---

(١) الوزارة قسمان : وزارة تنفيذ ، وفيها يكون الوزير منفذاً لأوامر الخليفة ، ولا يتصرف فى شيء تصرفا شخصيا مستقلا ، وإنما هو بمثابة همزة الوصل بين الراعى والرعية . ووزارة تفويض ، وفيها يفوض الخليفة إلى الوزير كل شئون الدولة ، ويشترط فيمن يتولاها أن يكون من أهل الكفاية فيما وكل إليه من أمر أو حرب أو خراج أو غير ذلك . (الماوردى (أبو الحسن على بن محمد) : قوانين الوزارة - تحقيق د/ فؤاد عبد المنعم د/ محمد سليمان داود -مؤسسة شباب الجامعة - الأسكندرية ط (٢) سنة ١٩٧٨ م - ص ١٢٤ ، ١٢٥ ، د/ صبيحى : النظم الإسلامية - ص ٣٠٠ ، ٣٠١) . ولا يمنع جواز هذه الوزارة ، لأن الخليفة لا يقدر على مباشرة تدبير جميع شئون الأمة إلا بالإستنابة . (الماوردى : الأحكام السلطانية والولايات الدينية - مكتبة الحلبى - مصر ط (٣) سنة ١٩٧٣ م - ص ٢٢) .

فأبو سلمة الخلال [١] مع أنه سمى وزيرا - إلا أنه لم يكن يتمتع بصلاحيات أو سلطات كاملة فى جميع الدواوين ، فلم يكن ديوان الخراج والجند مثلا داخلين فى سلطته [٢] .

ولكن منذ خلافة المهدى (سنة ١٥٨ - سنة ١٦٩ هـ / سنة ٧٧٥ - سنة ٧٨٥ م) - بدأت تظهر شخصية الوزراء إلى حد كبير ، ومن الوزراء الأقوياء الذين ظهرت شخصيتهم فى عهده يعقوب بن داود ، فقد سلم إليه المهدى أمر الدواوين والوزارة حتى أنه استطاع الإنفراد بالسلطة كلها ، ولذلك قال بشار بن برد :

بنوا أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود [٣]

وفى وزارة يعقوب هذا قال المسعودى [٤] « ثم اختص المهدى يعقوب بن داود السلمى ،وخرج كتابه على الدواوين . . . »ويقول ابن الأثير [٥]:

« فكان يدخل عليه كلما أراد ، ويرفع إليه النصائح فى كل الأمور الحسنة الجميلة . . . فحظى عنده . . . وعلت منزلته » .

---

(١) حفص بن سليمان ، وزير أبى العباس السفاح ، كان ذا يسار وأنفق أموالاً عظيمة فى إقامة الدولة العباسية ، كما كان أديبا ، عالما بالسياسة والتدبير ، أتهم بأنه كان يميل إلى العلويين ، فأرسل أبو العباس إلى أبى مسلم الخراسانى يستشيره فيه ويحرضه على قتله ، فأرسل أبو مسلم « مرار بن أنس الضبى » فى جماعة من خرسان ، إلى الأنبار ، كمنواله وقتلوه وهو خارج من قصر أبى العباس (سنة ١٣٢ هـ) . وكان يقال له « وزير آل محمد » ، ولم يكن خلالاً ، وإنما كان منزله - بالكوفة - فى حارة الخلالين ، فكان يجلس عندهم لقرب داره فهم ، فسمى خلالاً . (ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد) : وفيات الأعيان - دار صادر - بيروت سنة ١٩٧٨ م - ٢/١٩٥ - ١٩٧ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٧/٦ ، ٨) .

(٢) د/ صبيحى : النظم الإسلامية ص ٢٩٦ .

(٣) د/ حسن على حسن : دراسات فى التاريخ العباسى ص ٢٢١ .

(٤) مروج - دار الأندلس - بيروت ٣/٣١٢ .

(٥) الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٦/٣٨ .

أما فى عهد الرشيد - (سنة ١٧٠ - سنة ١٩٤ هـ / سنة ٧٨٦ - سنة ٨٠٨ م) - فقد أصبحت الوزارة وزارة تفويض حقيقى ، فقد استدعى الرشيدى يحيى خالد البرمكى [١] وقال له : « أنت أجلستنى هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك ، وقد قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى إليك ، فاحكم بما ترى ، واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، وأفرض من رأيت ، وأسقط من رأيت ، فإنى غير ناظر معك فى شىء » [٢] ، ودفع إليه خاتمه ، وفى هذا يقول الموصلى :

بيمين أمين الله هارون ذو الندى فهارون واليها ، ويحيى وزيرها [٣].

ولقب المأمون الفضل بن السهل [٤] « ذا الرياستين » - رياسة الحرب

---

(١) أبو الفضل يحيى بن خالد البرمكى ، ولد (سنة ١٢٠ هـ) ، وهو الوزير المعروف لهارون الرشيد ، وكان المهدى قد ضم إليه ولده الرشيد ليؤدبه ويثقفه ، فلما تولى الرشيد عرف له فضله ، ففوض إليه أمور الخلافة ، وكان إذا ذكره قال « أبى » وكان كريما سمحا ، ذا رأى سديد ، بليغا ، يظهر من أمور خير وصلاح . انقلب الرشيد عليه وعلى أولاده لأسباب نقمها عليهم ، فقتل ولده جعفر ، ثم حبسه وابنه الفضل بالرقة ، وظل فى حبسه حتى توفى فى الثالث من المحرم (سنة ١٩٠ هـ) عن سبعين عاما ، وصلى عليه ابنه الفضل . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦/٢١٩ - ٢٢٨ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ٩/٨٩ - ٩١ ، ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م - ١٠/٢٠٤ ، ٢٠٥ ، الزركلى : الأعلام ٨/١٤٤) .

(٢) الجهشيارى (أبو عبد الله محمد) : الوزراء والكتاب - مطبعة دار الصاوى - مصر - ط (١) سنة ١٩٣٨ م - ص ١٣٤ .

(٣) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت ٣/٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦/٢٢١ .

(٤) أبو العباس الفضل بن سهل السَّرخس ، ولد (سنة ١٥٤ هـ) بسرخس ، وأسلم على يد المأمون (سنة ١٩٠ هـ) ، وأصبح وزيرا له بعد خلافته ، وكان يلقب بذى الرياستين ، وكان يتشيع ولما ثقل أمره على المأمون دس عليه خاله غالبا ، فدخل عليه الحمام - بسرخس - فقتله يوم الخميس الثانى من شعبان (سنة ٢٠٢ هـ) ، وقيل (سنة ٢٠٣ هـ) ، عن ثمان وأربعين سنة . وكان حازما ، عاقلا ، فصيحا ، من الأكفاء ، (ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٦/٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤/٤١ - ٤٤ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٠/٩٩ ، ١٠٠) .

ورياسة القلم ، وعقد له لواء على سنان ذى شعبتين [1] ، وقال له : « . . . وقد جعلت لك . . . مرتبة من يقول فى كل شىء فيسمع له ، ولا تتقدمك مرتبة ما ألزمت ما أمرتك به ، من العمل لله ولنبيه . . . » [2] .

وعلى الجملة يقول ابن خلدون عن واجبات وسلطات الوزير فى العصر العباسى الأول : « فلما جاءت دولة بن العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم شأن الوزير ، وصارت إليه النيابة فى إنفاذ الحل والعقد ، وتعينت مراتبه فى الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب ، وجعل لها النظر فى ديوان الحسبان لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات فى الجند ، فاحتاج إلى النظر فى جمعه وتفريقه . . . ، ثم جعل له النظر فى القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ، وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذياع والشياع ودفع إليه ، فصار اسم الوزير جامعا لخطتى السيف والقلم وسائر معانى الوزراة والمعاونة . . . ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الحجابة . . . » [3] .

واستمرت الوزارة - بدرجة كبيرة - قوية خلال العصر العباسى الأول ، ولكن منذ بداية العصر العباسى الثانى (سنة ٢٣٢ هـ / سنة ٨٤٦ م) ، وخاصة بعد اغتيال الخليفة المتوكل (سنة ٢٤٧ هـ / سنة ٨٦١م) بدأت الوزارة فى الضعف والإضمحـــلال ، حتى قال ابن طباطبا [4] : « وضعف أمر الوزارة والوزراء تلك الأيام - العصر العباسى الثانى - ضعفا كثيراً » . وهذا راجع لأسباب عدة .

منها ضعف شأن الخليفة - كما سبق - ، وهذا أمر طبيعى لأن

---

(١) ابن الأثير : الكامل - بيروت - سنة ١٩٦٥ م - ٦/٢٥٧ .

(٢) الجهشيارى : الوزراء ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٣) (عبد الرحمن بن محمد) : المقدمة - مكتبة شقرون - مصر - بدون - ص ٢٠٩ .

(٤) الآداب السلطانية ص ٢٥٨ .

الوزير - فى الغالب - إنما يستمد قوته من الخليفة [١] ، وفى هذا المعنى يقول الصولى [٢] ، « إن الوزارة قطعة من الخلافة ، ووهنها وهن الخلافة» . والدليل على ذلك أنه لما انتعشت الخلافة فى عهد المهدى (سنة ٢٥٥ - سنة ٢٥٦ هـ / سنة ٨٦٩ - سنة ٨٧٠ م) - بدأت الوزارة أيضا فى الإنتعاش [٣] ومنها سيطرة الأتراك ، فلم يكتفوا بسيطرتهم على الخلفاء ولاية وعزلاً وسحبنا وتعذيبا ، وإنما أرادوا أن يمتد سلطانهم إلى الوظائف الإدارية والمالية بصفة خاصة ، وفى مقدمة هذه الوظائف منصب الوزارة ، التى أصبحت فى هذا العهد محنة شديدة لمن يتولاها من الوزراء بسبب ما ينتظره من عزل ومصادرة وسجن ، وتركز عمل الوزراء فى هذا العصر فى الإشراف على الأموال ومحاولة الحصول عليها بأية وسيلة لسد حاجات الأتراك وكبار قوادهم ومقدميهم ، ومن فشل منهم فى توفير هذه الأموال أصبح عرضة للتنكيل به ، ومصادرة أمواله ، وكذلك مصادرة أموال أقربائه وكُتابه إذا أريد زيادة التنكيل والتعذيب [٤] وقد حاول الأتراك أن يشغلوا منصب الوزارة بأنفسهم حتى يكون الأمر كله بأيديهم ، وقد نجحوا فى ذلك فى عهد المستعين - (سنة ٢٤٨ - سنة ٢٥٢ هـ / سنة ٨٦٢ - سنة ٨٦٦ م) - الذى عين القائد أتامش [٥] وزيرا له بعد أن غضب الأتراك

---

(١) د/ صبيحى: النظم الإسلامية ص ٢٩٩ ، د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ٢/ ٩٩ .

(٢) أخبار الراضى ص ١٣٤ .

(٣) د/ حسب الله : وزارة بنو وهب فى العصر العباسى الثانى - مطابع سجل العرب - مصر ط (١) سنة ١٩٨٤ م - ص ٢٢ .

(٤) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٦٣ ، د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ٩٧ ، د/ حسب الله : وزارة بنو وهب ص ٢١ .

(٥) قائد من الأتراك المعروفين ، تولى الوزارة للمستعين ، ولكن حقد عليه أقرانه ، فقتلوه يوم السبت السادس عشر من ربيع الآخر (سنة ٢٤٩ هـ) بواسطة وصيف وبُغَا ، ونهبوا داره ، ووجدوا فيها الكثير من الأموال ، وقتلوا كاتبه - شجاع بن القاسم - ونهبوا داره كذلك . (الطبرى : تاريخ الأمم - سويدان - بيروت - ٩/ ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٧/ ١٢٣) .

على وزيره أحمد بن الخصيب الذى عزل ونفى إلى إقريطس [1] ، ولكن هذه التجربة لم تنجح كثيرا بسبب ما بدأ يدب بين القادة الأتراك من حسد وغيره وتنازع على السيطرة ، وعليه فقد تآمر الأتراك على أتامش واعتقلوه بتهمة استغلال أموال الدولة لنفسه ، والاستئثار بها دونهم [2] ، وبعد هذه التجربة الفاشلة قرر الأتراك الإعراض عن تولى منصب الوزارة بأنفسهم ، بعد أن أدركوا أن مصلحتهم تكمن فى تجنب متاعبها ، مع الإشراف عليها ضمن إشرافهم على قصر الخلافة ، وعلى شئون الدولة كلها [3] .

ومن وقتها أصبح تعيين الوزارة وترشيحهم يتم عن طريقهم ، وبالتالى كثر عزل الوزراء وتوليتهم [4] ، حتى أن عهد المعتز - وقد استمر ثلاث سنوات - (سنة ٢٥٢ - سنة ٢٥٥ هـ / سنة ٨٦٦ - سنة ٨٦٩ م) - شهد أربع تغييرات فى الوزارة [5] ، كما شهد عهد المقتدر (سنة ٢٩٥ - سنة ٣٢٠ هـ/ سنة ٩٠٧ - سنة ٩٣٢ م) - خمسة وعشرون عاما - اثنى عشر وزيرا ، ولى بعضهم الوزارة أكثر من مرة [6] .

وبسبب هذه السيطرة التركية على الوزارة تدهورت مكانتها ، وغدا بقاء الوزير فى منصبه فترة تكفى للشروع فى أى إصلاح يعود على الدولة

---

(١) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت - ٤/ ٦٠ ، ٦١ ، الطبرى : تاريخ الأمم - سويدان - بيروت - ٩/٢٥٦ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم - دار سويدان - بيروت - ٩/ ٢٦٣ .

(٣) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٦٤ ، د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٤) وكانت أسباب كثيرة منها ظهور عجز الوزير وتقصيره ، أو عدم كفايته ، أو بسبب قلة هيبته ، أو عدم أمانته ، (الماوردى : قوانين الوزارة ، ص ٢١٩ ـ ١٢١) ، أو عدم رضاء الأتراك عنه ، بسبب عجزه عن توفير المال الذى يطلبونه ، وغير ذلك .

(٥) المسعودى : مروج - دار الأدلس - بيروت - ٤/ ٨٤ .

(٦) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت ٤/ ٢١٣ ، ٢١٤ ، د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٦٤ ، د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ٩٩ .

بشيء من الفائدة من الصعوبة بمكان ، وكان أي وزير يحاول أن يضبط الأموال وينظم الإشراف عليها ويحاول الحد من جشع الأتراك يتعرض للتهديد الشديد والعزل [١] والمصادرة .

ومن أسباب ضعف الوزارة أيضا فى العصر العباسى الثانى ، أنها أصبحت سلعة تباع وتشترى ، فإنه لما انشغل الأتراك فى بعض الفترات عن الخلافة لمعالجة بعض مشكلاتهم الخاصة - كالخلافات التى كانت تحتدم بينهم - أطلقت يد الخليفة - إلى حد ما - فى اختيار وزرائه ، فقويت المنافسة على الوزارة ، وطمع فيها كثير من الجهلة والمغمورين فتطاحنوا عليها ، وكان سلاحهم لنيلها الرشوة والهدايا التى يقدمونها إلى الخليفة الذى كان يقبل مرحبا لشبه إفلاس خزانته ، بل وكان الخليفة يكثر من استبدال إلى الوزراء ما دام الثمن مغريا [٢] .

ولعل أشهر مثال على ذلك ما فعله ابن مقلة حين دفع للخليفة الراضى خمسمائة ألف دينار ليستوزره [٣] ، ولم يكونوا يدفعون هذه الأموال وأمثالها إلا لاعتقادهم أنهم سيسترجون فى أثناء وزارتهم أضعاف ما بذلوه ، بما تصل إليه أيديهم من الرشوة من تولية العمال والنظار والكتاب وغيرهم [٤] بل وفى سبيل بقائهم فى هذا المنصب كانوا يدفعون الأموال حتى لنساء القصر وخدمة [٥] وهذا أدى بدوره إلى أن أصبح شغل الوزراء الشاغل هو جمع الأموال ، فالوزير الذى يتولى أمور الوزارة ولا

---

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٦٥ .

(٢) د/ حسن ابراهيم ، د/ على إبراهيم : النظم الإسلامية ص ١٤٢ ، د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٠٨ .

(٣) ابن طباطبا : الآداب السلطانية ص ٢٥٣ ، جرجى زيدان : التمدن ١٥٧/٢ .

(٤) جرجى زيدان : التمدن ١٥٧/٢ .

(٥) د/ حسن إبراهيم ، د/ على إبراهيم : النظم الإسلامية ص ١٤٤ .

يدرى ما يكون بعد عام أو عامين - أو حتى شهور بل وأيام - من عزل أو قتل أو حبس لا يهمه غير الكسب من أى طريق كان ، ولا يبالى بما قد يترتب على ذلك فيما بعد [١] وبذلك تقلد الوزارة شخصيات كان غرضها الأول الوصول إلى المنصب ، ثم جمع المال لتعويض ما أنفقوه ، وبذلك ضاعت هيبة الوزير وتناقصت قيمته شيئا فشيئا حتى لم يصبح آخر الأمر إلا مجرد كاتب للخليفة ، وأصبحت حقيقة السلطان فى يد القواد [٢] ناهيك عن شدة التحاسد والتباغض بين الوزراء ، فقد كان الواحد منهم لا يتورع أن يوقع غيره فى مآزق وصعوبات كبيرة ليظهر ضعفه وعجزه ، وإذا خرج أحدهم من الوزارة سعى فى العودة إليها بمؤامرات متعددة على الوزير القائم [٣] ومن الأمثلة الشهيرة على ذلك ما فعله المظفرين ياقوت حين استوزر الراضى ابن مقلة (سنة ٣٢٣ هـ / سنة ٩٣٤م) ، فبسبب الوحشة التى كانت بينهما سعى المظفر مع غلمانه إلى إلصاق عدد من التهم لابن مقـــلة حتى تم القبض عليه [٤] ، وأحرقت داره ، وضرب « حتى صار جسمه كأنه الباذنجان » [٥] ، وتولى بدلاً منه عبد الرحمن بن عيسى ابن داود [٦] .

---

(١) جرجى زيدان : التمدن ٤/ ١٨٨ .

(٢) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٢٩ .

(٣) الخضرى : محاضرات - دار إحياء الكتب العربية مصر ط(٢) سنة ١٩٢١ م . ٢/ ٤٠٥ ، د/ حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ٢٧ ، د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١٧٤ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٣٦ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٠٥ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٥) ابن الجوزى (عبد الرحمن بن على) : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم . دار المعارف العثمانية - الركن - ط (١) سنة ١٣٥٧ هـ - ٦/ ٢٨١ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٣٦ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٢٩٢ .

واستمر ضعف الوزارة فى عهد الخليفة الراضى - الذى ظهر فى عهده نظام الإمرة - فبعد وزارة عبد الرحمن بن عيسى [١] ظهر عجز عن إدارة شئون البلاد ، فطلب الإستعفاء منها ، فقبض عليه الراضى فى رجب (سنة ٣٢٤ هـ) ، وصادرة على سبعين ألفا دفع منها ثلاثين [٢] ، وقلد أخاه - علىّ بن عيسى - الوزارة ، فاختلت أمور الدولة فى وزارته، فقبض عليه أيضا وصودر على مائة ألف دينار ، دفع منها تسعين ألفا ، [٣] فحل محله فى الوزارة أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخى ، وكان غيره من الوزراء الذين سبقوه ضعيف الجانب ، ولم يقم بأى عمل فى سبيل إصلاح شئون الدولة ، بل لقد اشتد ضعفـها فى وزارته وتشاءم الناس منها ، فقد كان قصيرا ، واحتيج بسبب قصره أن ينقص من ارتفاع سرير الملك فنقص منه أربعة أصابع [٤] ، فعد الناس هذا نذير سوء . كما كان فيه إبطاء فى القراءة والكتابة ، وتغلب عليه بعض الخارجين ، فاستتر بعد ثلاثة أشهر من وزارته [٥] وقيل ثلاثة أشهر ونصف [٦] فاستوزر الراضى بعده سليمان بن الحسين بن مخلد ، فكان كمن سبقوه فى العجز وعدم

---

(١) تولى الوزارة فى السادس عشر من جمادى الأولى (سنة ٣٢٤ هـ / سنة ٩٣٥ م) (الهمزانى (محمد بن عبد الملك) : تكملة - سويدان - بيروت ١١/ ٢٩٩ ، ٣٠٠) ، وكانت وزارته خمسين يوما (الصولى أخبار الراضى ص ٨٤ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٣٧) .

(٢) الهمذانى : تكملة - دار سويدان - بيروت - ١١/ ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ابن الأثير: الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨ / ٣١٤ ، ٣١٥ .

(٣) الهمذانى : تكملة - سويدان - بيروت - ١١/ ٣٠٠ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨/ ٣١٥ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٣٨ .

(٥) الهمذانى : تكملة - دار المعارف - مصر ط (٢) سنة ١٩٨٢ م - ١١/ ٣٠٣ .

(٦) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٣ .

القدرة على إدارة شئون البلاد ، لإزدياد كبار القواد وتدخلهم فى أمور الدولة كل هذا حدث فى سنة واحدة (سنة ٣٢٤ هـ / سنة ٩٣٥م)- مما دعا الخليفة الراضى إلى استمالة محمد بن رائق والى واسط والبصرة [١] ، ليقلدة زمام الأمور كبديل للوزارة المتناهية فى الضعف ·

ثالثا : العامل الإقتصادى :

كان العامل الإقتصادى ثالث العوامل التى ساعدت على ظهور نظام الإمرة ، فالمعروف أن معظم الدراسات التاريخية تتجه نحو معالجة التطورات السياسية ، والقلة من هذه الدراسات تعنى بالنواحى الإقتصادية، ودراسة التاريخ السياسى بمعزل عن الأوضاع الإقتصادية تعتبر دراسة مبتورة، كما أن دراسة الأوضاع الإقتصادية مجردة عن العوامل السياسة التى كانت تعاصرها قصور أو تقصير فى تقديم كل أبعاد الواقع التاريخى·

وعلى ذلك فالخط الإقتصادى فى تاريخ الدولة العباسية كان يسير موازيا للخط السياسى ، ففى العصر العباسى الأول - الذى هو عصر وحدة الدولة وقوتها - كان المركز الإقتصادى متينا للغاية ، ولكن منذ الحرب الأهلية بين الأمين والمأمون (سنة ١٩٤ - سنة ١٩٨ هـ / سنة ٨٠٩ - سنة ٨١٣ م) - بدأ التدهور السياسى ، وسار معه فى نفس الخط التدهور الإقتصادى ، وفى بعض الفترات التى استردت فيها الدولة قوتها السياسية - كما فى عهد المعتضد والمكتفى مثلا - أخذت الدولة تسترد أيضا إزدهارها الإقتصادى [٢] ولكن بعد ذلك استمر الهبوط الإقتصادى ، وكان هذا لأسباب :

منها : الصراع بين القادة الأتراك من ناحية ، والخلفاء العباسيين من

---

(١) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت - ٢٣١/٤ ، مسكوية : تجارب الأمم ٣٥٠/١ ، ٣٥١ ، الخضرى : محاضرات ٤٠٥/٢ ، ٤٠٦ ·

(٢) د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ٢٥ ، ٢٦ ·

ناحية أخرى . وكان الصراع بينهما واحداً من أبرز الملامح السياسية فى تاريخ الدولة العباسية ، وذلك منذ بداية عهد المتوكل - (سنة ٢٣٢ هـ / سنة ٨٤٧ م) - ومن المعروف أن الصراع على السلطة هو السبب الرئيسى فى وجود ما يعرف بتعدد مراكز القوة ، كما كان يوجد صراع مرير بين زعماء البيت العباسى على السلطة .

وتعدد مراكز القوة بهذه الصورة خلق جواً معقداً بين أطراف متعددة، فالخليفة العباسى - على سبيل المثال - كان يناضل من أجل الحفاظ على مركزه فى مواجهة طغيان السلطة الزمنية - الأتراك - من ناحية ، ومؤمرات بعض زعماء البيت العباسى المتطلعين إلى احتلال مركزه من ناحية ثانية ، والقادة الأتراك كانوا يناضلون من أجل تشديد قبضتهم فى مواجهة السلطة الروحية ، وأيضا من أجل إخماد أية محاولة قد تقدم عليها عناصر حاقدة من بين صفوفهم .

وهنا تلعب القوة الإقتصادية الدور الفاصل فى ترجيح طرف على طرف ، وفى تغليب قوة على قوة ، إذ أنه بالقوة الإقتصادية يصبح من المستطاع تجنيد الجنود ، ومن الطبيعى أن القوة الإقتصادية لكل من هذه الأطراف لم تكن خاصة به ، بل إنها كانت خاصة بالدولة وعليه فكل من كان يزج بنفسه فى حلبة الصراع كان يعمد إلى إختيان أموال الدولة ، ومعنى هذا أن ثروة الدولة كانت دائما هى الضحية الأولى فى خضم هذا الصراع [١] .

ومما يلفت النظر أن الخيانات المالية أصبحت فى العصر العباسى الثانى ظاهرة عامة فى تاريخ الدولة ، ومن الطبيعى أن ظاهرة الخيانات المالية كانت تذهب بالكثير من ثروة الدولة العباسية ، وفوق هذا فإن هذه الخيانات المالية كانت تصدر عن نفوس فقدت الإحساس بالمسؤلية العامة ،

---

(١) المرجع السابق ص ٨٦ - ٨٨ .

وهذا داء اجتماعى خطير ، وخاصة إذا كان فى أناس المفروض فيهم أنهم يعملون للمصلحة العامة ، ولعل خطورة هذا الداء تمكن فى أنه يعجل فى سرعة انهيار الدول لا من الناحية الإقتصادية فحسب ، بل ومن الناحية السياسية أيضا [١] .

ويحدثنا الطبرى عن مظهر من مظاهر الخيانات المالية فى عهد المستعين ، فيقول : « ذكر أن المستعين لما أفضت إليه الخلافة أطلق يد أوتامش وشاهك - الخادم فى بيوت الأموال ، وأباحهما فعل ما أراد فعله فيها ، وفعل ذلك أيضا بأم نفسه ، فلم يمنعها من شىء تريده ، وكان كاتبهما سلمة النصرانى ، وكانت الأموال التى ترد على السلطان من الآفاق إنما يصير معظمها إلى هؤلاء الثلاثة الأنفس ، فعمد أوتامش إلى ما فى بيوت الأموال من الأموال فاكتسحه » ، وما فضل عن هؤلاء الثلاثة كان يعطى للعباس بن المستعين ، حتى أن الناس كانوا فى حالة ذهول من الأموال التى كان ينفقها هؤلاء الثلاثة [٢] .

لذا فليس هناك ما يثير العجب إذا أكدت المصادر التاريخية أن بعض بيوت الأموال الخاصة بالأفراد كان بها من الأموال أكثر مما فى بيت مال الدولة ، يقول ابن الأثير [٣] : « وكان المستعين قد خلف بيت المال بسامرا فيه نحو خمسمائة ألف دينار ، وفى بيت مال أم المستعين قيمة ألف ألف دينار، وفى بيت العباس - ابن المستعين - قيمة ستمائة ألف دينار » .

وترتب على ما سبق أن كثرت المصادرات والقتل والحبس من أجل الحصول على المال ، وكثر أخذ مال الناس بالباطل، وانتشرت الرشوة [٤] ،

---

(١) د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ٨٩ .
(٢) تاريخ الأمم - سويدان - بيروت ٩/ ٢٦٣ .
(٣) الكامل - بيروت - سنة ١٩٦٥ م - ٧/ ١٤٣ .
(٤) على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٣٣ .

وكثرت الفتن والإضطرابات بين الجميع - الخلفاء وقواد الأتراك والجند - فانشغل بها الناس عن زراعتهم وتجارتهم وصناعتهم ، فعدم المعروض فى السوق ، فغلت الأسعار وزاد الخراب ، والسبب الرئيسى الظلم الواقع على الرعية فى تحصيل أموالهم بالباطل ، وما من هادم للعمران كالظلم ، فإنه يغل الأيدى ، ويقعد الناس عند السعى ، ووبال ذلك عائد على الدولة ، إذ لا قوام لها إلا بالرعية [١] .

ومن أسباب التدهور الإقتصادى أيضا ، النفقات الباهظة على العمران ، فالمعروف أن المعتصم قد أقدم على بناء سامرا لمماليكه ، فاشترى أرضها بأربعة الآف دينار ، وبنى لنفسه قصرا فيها فانفق جملة عظيمة من الأموال فى سبيل هذا [٢] .

وعمر المتوكل قسما كبيرا من هذه المدينة ، وعمر أيضا مدينة المتوكلية (سنة ٢٥٤ هـ / سنة ٨٦٨ م) ، وأنفق على بنائها فيما قيل أكثر من ألفى ألف دينار ، وبنى فيها قصرا سماه (اللؤلؤة) ، لم ير مثله فى علوه[٣] وعدة قصور أخرى ، حتى بلغ جملة ما أنفق على البناء ما يقارب إثنا عشر مليون دينار ، وهو مبلغ ضخم ، وكانت حالة الدولة لا تتحمل كل هذه النفقات [٤] .

بل كان يحدث فى أثناء البناء أخطاء تنفق الدولة عليها المال الكثير فيذهب هذا المال هدرا ، ومثال ذلك أن المتوكل حاول شق فرع نهر من

---

(١) جرجى زيدان : التمدن ٢/ ١٢٤ .

(٢) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت ٣/ ٤٦٧ ، ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م - ١٠/ ٢٩٦ .

(٣) الطبرى : تاريخ الأمم - دار سويدان - بيروت - ٩/ ٢١٢ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٧/ ٧٨ ، ابن كثير : البداية - دار الفكر مصر سنة ١٩٣٣ م ١٠/ ٣٤٦ .

(٤) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١١١ ، ١١٢ .

الدجلة يصل إلى الأماكن العالية من سامرا ، طوله حوالى خمسة فراسخ وكان جملة ما أنفق عليه مائتى ألف دينار ، وكان يعمل فى حضره إثنا عشر ألف رجل (١) ، ثم تبين أن المهندسين أخطأوا أخطاء فاحشة فى التقدير ، فالماء لا يبلغ ارتفاعه ارتفاع الأماكن التى كان مقدراً له أن يصل إليها ، فذهب كل ما أنفقوه وعملوه فى سبيل ذلك هدرا وبطلانًا (٢) .

وكذلك من أسباب التدهور الإقتصادى ، فشل نظام الإقطاع السائد فى العصر الثانى للدولة ، فقد اعتاد الخلفاء فى هذا العصر على إقطاع الأتراك ورجال الدولة إقطاعات واسعة ، فأصبحت معظم الأرض فى يد هؤلاء الكبار من رجال الدولة ، وهم لا يؤدون ما عليهم من ضرائب ، بل هم طامعون فى أكثر مما بأيديهم . ثم إنهم كانوا لا يلتفتون إلى الإهتمام بإقطاعاتهم وإلى تحسين زراعتها ، بل كانوا يقيمون فى عاصمة الدولة ويتركون أمر هذه الإقطاعات إلى وكلائهم ، وهى إقطاعات واسعة لا يهتم بها الوكلاء كل الإهتمام ، والأرض إن لم يكن صاحبها مهتمًا بها، وإن لم يكن محتاجا إلى ثمرتها ، فإنها لا تدر عليه الثمرة كما ينبغى (٣) .

وجر هذا النظام إلى ما يعرف « بالتضمينات » ، وهى أن يعين شخص ما فى ولاية أو منصب ما بشرط أن يضمن للخلافة مبلغا محدداً من المال يقدمه بالطريقة التى يتفق عليها معه ، ثم ما لبث أن أصبحت التضمينات سياسة ثابتة لجأت إليها الخلافة العباسية فى عهد نفوذ الأتراك بسبب الحاجة الملحة الدائمة إلى المال . كما غدت أيضا محل تنافس وتطاحن ، ثم صارت عاملا من العوامل التى أسهمت فى إضعاف الدولة

---

(١) الطبرى : تاريخ الأمم - دار سويدان - بيروت - ٩ / ٢١٢ .

(٢) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١١٢ .

(٣) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١١٢ ، ١١٣ ، د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ٧٧ ، ٧٨ .

وفى إفساد الجهاز الحكومى والإدارى للعباسيين [١] والمحصلة النهائية لفشل نظام الإقطاع أنه جرَّ إلى خراب وبوار كثير من الأرضى الزراعية ، والزراعة ، أحد عناصر إقتصاد الدولة .

ومن أسباب التدهور الإقتصادى أيضا أن الأمراء الذين نزعوا إلى الإستقلال عن الدولة كانوا لايؤدون ما عليهم من أموال مقررة .

فقد حدث أن فقدت الخلافة المركزية سيطرتها على عدد من الأقاليم الهامة فى الدولة ، نتيجة لقيام العديد من الدول الإقليمية وسيطرة هذه الدول على كثير من أنحاء الدولة العباسية [٢] .

نعم فقد كثر المتغلبون واستبدوا بالأطراف التى تغلبوا عليها ، فقد قطع محمد بن رائق حمل واسط والبصرة ، وقطع أبو عبد الله البريدى حمل الأهواز وأعمالها ، وقطع على ابن بوية حمل بلاد فارس [٣] ، وهكذا لما شعر هؤلاء الولاة بالإستقلال امتنعوا كلية عن أداء ما عليهم من المال [٤] .

وأحيانا ما كانوا يؤدون ما عليهم من المال إلا مرة كل بضعة أعوام ، فكان يرسل بعضهم المال باسم الضمان ، والبعض باسم المصالحة ، والبعض الآخر باسم الهدية وغير ذلك [٥] ، وهذا أثر بالتالى على بيت المال بدرجة كبيرة .

---

(١) د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٢٥ - ١٢٨ .

(٢) د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ٣٢ ، د/ صبيحى : النظم الإسلامية ص ٢٧١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٢٢ ، ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : العبر وديوان المبتدأ والخبر - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٩٢ م - ٣/ ٤٩٠ .

(٤) د/ العش: تاريخ عصر الخلافة ص ١١٢ .

(٥) على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٢ .

ومما زاد الطين بلة وكان له أثره السلبى على الناحية الإقتصادية للدولة العباسية فى هذه الفترة ، كثرة الثورات فى إقليم العراق بالذات ، ومنها ثورات العلويين [1] ، وثورة الزنج [2] ، وهى من الثورات التى أرادت أن تصبغ نفسها بصبغة علوية ، ثم لم يكد الخلفاء يفرغون من حرب الزنج التى استمرت نحو خمسة عشر عاما حتى وقعوا فى خطر أكبر وهو خطر

---

(١) منها على سبيل المثال خروج محمد بن القاسم بن على بن عمر بن على بن الحسين بن على الزيدى على المعتصم . (الطبرى : تاريخ الأمم - دار سويدان بيروت - ٩/ ٧ ، ٨ ، المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت - ٣ / ٤٦٤ ، ٤٦٥) . وفى عهد المستعين خرج بالكوفة يحيى بن عمر بن يحيى بن حسين بن على بن الحسين (سنة ٢٥٠ هـ / سنة ٨٦٤ م) . (الطبرى : تاريخ الأمم - دار سويدان - بيروت ٩/ ٢٦٦ - ٢٧١ ، المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت - ٤/ ٦٣ - ٦٦ ، الخضرى : محاضرات - المكتبة التجارية سنة ١٩٧٠ م ٢/ ٢٧٥) . وبعده وفى نفس السنة (سنة ٢٥٠ هـ / سنة ٨٦٤ م) خرج الحسين بن زيد العلوى . (الطبرى : تاريخ الأمم - سويدان - بيروت ٩/ ٢٧١) .

(٢) بدأت هذه الثورة (سنة ٢٥٥ هـ / سنة ٨٦٨ م) ، بقيادة دعىّ آل علىّ ، الذى زعم أنه على بن محمد بن أحمد بن على بن عيسى بن زيد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب . وأصله من البحرين ، وحدث أنه دعا الناس بهجر إلى طاعته فاستجابوا له ، ثم رحل بهم إلى البصرة (سنة ٢٥٤ هـ / سنة ٨٦٧ م) ، ثم انتقل إلى بغداد ، ثم رجع إلى البصرة ، وجمع حوله عبيد العراق وثار بهم بعد أن وعدهم الآمال العريضة فى تقديمهم وتمليكهم فاستجاب أكثرهم له ، فتقدم بهم إلى الأبلة وأحرقها (سنة ٢٥٦ هـ / سنة ٨٦٩ م) ، ثم أوقع بأهل البصرة (٢٥٨ هـ / سنة ٨٦١ م) ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وخرب أكثر مبانيها ، واستفحل أمره فى العراق حتى تمكن الموفق من القضاء عليه (سنة ٢٧٠ هـ / سنة ٨٨٣ م) . (الطبرى : تاريخ الأمم - دار سويدان - بيروت ٩/ ٤١٠ ، ٦٦١ . الخضرى : محاضرات - المكتبة التجارية - سنة ١٩٧٠ م - ٢/ ٣٠٣ - ٣٠٥) .

القرامطة [١] ، وهى من الحركات التى جرت على الدولة العباسية مشاكل مالية كبيرة [٢] ، ناهيك عن المشاكل السياسية ، والجند الذين فقدتهم الدولة فى مواجهة هؤلاء القرامطة [٣] .

ويضاف إلى ما تقدم من أسباب ضعف الدولة الإقتصادية فى هذا العصر ، نفقات الخلفاء والبلاط والحاشية ، وهى نفقة واسعة جدا [٤] ، وتكلف الدولة أموالاً طائلة ، لو اقتصدت ، أو وجهت نحو بعض الإصلاحات لكان نفعها كبيرا .

---

(١) يرجع القرامطة فى أصول عقيدتهم إلى المانوية والزندقة ، وكان ظهورهم فى أواخر عهد المعتمد (سنة ٢٥٦ - سنة ٢٧٩ هـ) - بالكوفة ، حين ظهر رجل يدعوا إلى الزهد والتقشف ويأكل من كسب يده ويتطوع بالمساعدة لمن يحتاجها ويكثر من الصلاة ، وقدر الناس فيه هذه المحامد فزاد اتصالهم به ، ثم علموا أنه يدعو إلى إمام من أهل البيت فزاد تعلقهم به ، ثم مرض هذا الرجل ولم يعرف له أهل يهتمون به ، فحمله أحد رجال أهل البلدة ويدعى « كرميتة » - إلى منزله ورعاه حتى شفى . وحدث أن اقتنع كرميتة بمبادىء هذا الرجل وأخذ يدعو إليها حتى أجابه عدد كبير من الناس . فنسبت هذه الحركة إلى « كرميته » هذا بعد تخفيف اسـمه إلى « قرمط » . (الخضرى : محاضرات ٢/ ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٤٧ ، ١٤٨) . وقيل إن الإسم كان « قرمط » من أول الأمر ، وأطلق على الرجل لتقارب خطواته . (د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٤٨ هامش (١)) . وفى القاموس القرمطة مقاربة الخطو ودقة الكتابة (ابن منظور لسان العرب - دار المعارف سنة ١٩٦٩ م - ٥/ ٢ . وانتشرت بعد ذلك مبادىء القرامطة فى الكوفة ، وهى أرض صالحة لانتشارها لوجود كثير من الصناع والفلاحين والعبيد بها . بجانب أنها علوية فى ميولها معادية للعباسيين . (د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٤٨) . وظهر القرامطة فى البحرين بقيادة أبن سعيد الجنابى ، أما فى الشام فقد أظهر أمرهم داعيتهم « ذكروية بن مهروية » (ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٣٠) .

(٢) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٦٩ .

(٣) سيأتى دورهم - إن شاء الله - خلال البحث حسب الأحداث .

(٤) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١١٢ ، د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ٣١ .

وكان لكتاب الخراج دور كذلك في الضعف الإقتصادي ، فقد كانوا يحتجزون جزءاً كبيراً من الأموال ويتقاسمونها فيما بينهم قبل أن يوصلوها بيت المال ، والذى كان يدخل بيت المال مقدار ضئيل فقط ، وبسبب هذا كثرت الرشوة واضطهد المكلفين لأداء المال ، وذلك ليصل الكتاب إلى أكبر حظ من الكسب والربح [1].

ونتيجة لما سبق – من أسباب ضعف الدولة إقتصاديا – ضعف بيت المال وقلت موارده ، فاتجه الخلفاء إلى المصادرة ، وأصبحوا إذا عزلوا وزيرا صادروه وأخذوا أمواله ، ثم عمت المصادرة سائر رجال الحكومة من الكتاب وغيرهم حتى الرعية ، وأصبحت المصادرة بتوالى الأيام المصدر الرئيسى لتحصيل المال ، فالعامل يصادر الرعية ، والوزير يصادر العمال ، والخليفة يصادر الوزراء ، ويصادر الناس على اختلاف طبقاتهم . حتى أنشأوا للمصادرة ديوانا خاصا به [2] .

وكان الواقع للخلفاء إلى هذه المصادرة جور الولاة واستغلالهم للمواطنين بغير وجه حق [3] ، وأصبحت سنة عند الخلفاء ، لكنها سنة سيئة للغاية [4] . فقد ترتب عليها هرب الكثيرين من الناس باختلاف طبقاتهم من الصناع والتجار وغيرهم عن بغداد ، مما أدى إلى عدم الإستقرار وفقدان الأمن ، فكثر اللصوص ببغداد ، وهوجمت بيوت الأغنياء ، وقطعت الطرق [5] .

ولو حاولنا فى عجالة سريعة إعطاء فكرة سريعة عن بعض إيرادات

---

(١) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١١٣ .

(٢) جرجى زيدان : التمدن ٤/١٨٨ .

(٣) د/ اللميلم : نفوذ الأتراك ١/ ٤٧٢ .

(٤) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١١٤ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/٣١٨ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ ، د/ حسن الباشا : دراسات ص ٧٧ .

بيت المال العباسى فى فترات مختلفة ، لا تضح لنا أنها كانت فى الإنخفاض المستمر . فقد خلف أبو جعفر المنصور لأبنه المهدى « ستمائة ألف درهم ، وأربعة عشر ألف ألف دينار »[1] ، وقال له : « قد جمعت لك .... من الأموال ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كفاك لأرزاق الجند والنفقات والذرية ، ومصلحة البعوث ، ... فإنك لا تزال عزيزا ما دام بيت المال عامراً ... »[2] . وكان مقدار ما خلفه هارون الرشيد « تسعمائة ألف ألف درهم ونيف »[3] .

ونسير مع الزمن ثلاثة وثلاثين عاما من وفاة الرشيد (سنة ١٩٤ هـ/ سنة ٨٠٨ م) - إلى وفاة ابنه المعتصم (سنة ٢٢٧ هـ / سنة ٨٤١ م) ، فكان مقدار ما خلفه المعتصم « مائة وسبعين ألف ألف درهم »[4] . ونقطع من الزمن عشرين عاما حتى نصل إلى سنة ٢٤٧ هـ/ سنة٨٦١ م) - والتى اغتيل فيها المتوكل ، فقد خلف « أربعة الآف ألف دينار ، وسبعة الآف ألف درهم »[5] - كلها تقرب من التسعين ألف درهم ؛ وهو ما يعادل نصف ما خلفه المعتصم قبل ذلك بعشرين عاما[6] .

وبعد وفاة المنتصر كانت الثروة التى خلفها « ألف ألف دينار » - أى حوالى عشرين ألف ألف درهم . ونسبة هذا المقدار من المال إلى الثروة التى خلفها المتوكل قبل ذلك التاريخ بستة أشهر فقط هى نسبة واحد إلى خمسة على وجه التقريب ، ومما لا شك فيه أن هذه النسبة تعكس

---

(١) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت - ٣/٣٠٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٦/١٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٦/ ٢١٤ ، ابن كثير : البداية - دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م - ١٠/ ٢٢٢ .

(٤) د/ حامد غنيم : عصر الدول ص ٤١ - ٥٢ .

(٥) المسعودى : مروج - دار الأندلس - بيروت - ٤/ ٤٠ .

(٦) د/ حامد غنيم : عصر الدول ص ٤١ - ٥٢ .

للدارس الهَوة السحيقة التى كانت تنحدر إليها القوة الإقتصادية للدولة العباسية .

ولما ولى المعتز الخلافة (سنة ٢٥٢ هـ / سنة ٨٦٦ م) ؛ وجد فى بيت المال « خمسمائة ألف دينار » ، ثم بدأ الإنهيار السريع للثروة الإقتصادية فى أواخر عهد المستعين وأوائل عهد المعتز، أما فى عهد المهتدى (سنة ٢٥٥ - سنة ٢٥٦ هـ / سنة ٨٦٨ - سنة ٨٦٩ م) - فقد انهارت الدولة العباسية إقتصاديا [١] .

وواضح جداً أن الإيراد العام لبيت المال آخذ فى النقصان السريع إلى حالة الإنهيار ، وكان لابد من التحايل للحصول على المال بأية طريقة ، لكى تظل الخلافة حافظة لكبريائها ، ولكى تستطيع أيضا أن تواجه الثورات التى تقوم فى وجهها - وخاصة فى العراق مركز العاصمة - ولذلك كانت السلطة الحربية أهم ما يمكن للخلافة أن تعتمد عليه [٢] .

وخلاصة القول أن الدولة العباسية ضعفت إقتصاديا فى عصرها الثانى ، فأصبح من الصعب عليها الوفاء بمتطلباتها الداخلية - على الوجه الأكمل - كوسائل المعيشة ، والمشروعات الإقتصادية ، وكذلك عجزت عن مواجهة الثورات الدخلية المتلاحقة ، وحركات الإستقلال الخارجية ، كل هذا بسبب إنعدام المال اللازم لإعداد الجيوش ، وهذا بالتالى يدفع القائمين على السلطة إلى التفكير فى إيجاد نظام يعيد الإستقرار الداخلى والخارجى .

رابعاً : العامل العسكرى :

وكذلك من أسباب ظهور إمرة الأمراء العامل العسكرى ، وذلك أن

---

(١) د/ حامد غنيم : عصر الدول ص ٤١ - ٥٢ .

(٢) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٧٠ .

الجند من الترك وغيرهم من الشعوب التى دخلت فى العسكرية كانوا يستجيبون لقوادهم وعصبياتهم ، وينقادون لمصالحهم الخاصة أكثر مما يستجيبون وينقادون للصالح العام أو للخلافة ، وآفتهم المال ، فهم يخدمون حيث يوجد المال ·

ولذلك استتبع العجز المالى ضعفا فى قوة الجيش الذى يمكن أن تتصرف فيه الخلافة ، وحتى بفرض وجود المال فإن قيادة الجيش محتاجة إلى شىء من اللباقة والكياسة لمداراة عصبيتهم وتحزباتهم · وكانت سيطرة القواد عليهم تأتيهم من ناحية خدمة مصالحهم المادية ، فهم يخدمون من يدفع لهم أكثر [1] ويعلق « سيديو » ، على هذا الوضع قائلا : « وتغلب على الراضى العساكر التركمانية ، وتصرفوا كما شاءوا فى سائر فروع المملكة ، فاخترع منصب أمير الأمراء » [2] ، لكسر شوكة الجند الأتراك ، والحد من نفوذهم الذى امتد إلى معظم مرافق الدولة ، حتى الخلافة نفسها·

ولقد سبق - فى الحديث عن فتن وثورات الأتراك - كيف أنهم لما تأخرت رواتبهم - نظراً للعجز المالى - (سنة ٣٢٣ هـ / سنة ٩٣٤ م) - ثاروا على الخليفة الراضى ، وحملوا السلاح ، وضربوا بمضاربهم فى رحبة باب العامة ، ولم ينتهوا إلا بعد أن نقبوا دار الوزير ابن مقلة ونهبوا ما فيها [3] .

والسؤال الذى يطرح نفسه ، ما المؤمل من جيش تعود قادته وجنده على الشعب - شبه المتواصل - من أجل المطالبة بالمال ؟! الإجابة الحتمية

---

(١) المرجع السابق ص ٣٧٠ ، ٣٧١ ·

(٢) خلاصة تاريخ العرب ص ١٢١ ·

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٦/٢٧٦ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨/٣١٢ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ١١/١٨٢ ·

تطرق الخلل والإضطراب إلى هذا الجيش ، مما يعوقه عن القيام بالمهام المنوطة به ، فى وقت أحوج ما تكون فيه الدولة العباسية إلى القوة لمواجهة ما يحيط بها من أخطار داخلية وخارجية ، ولا يمكن أن يظل الحال هكذا لدولة الخلافة وجيشها ، ورمز قوة المسلمين ، بل لابد من معالجة هذا الخلل بنظام جديد .

خامسا : اللامركزية :

وأخيرا كان من أسباب ظهور نظام الإمرة وجود اللامركزية ، فالمعروف أن قوة الدولة ترتبط بوحدتها وتماسكها ، وأن ضعفها يرتبط بتفتتها وانقسامها ، وعلى ضوء هذا الأساس فمن الممكن القول بأن العصر العباسى الأول امتاز بقوة الخلافة وتمركز السلطة فى يد الخلفاء العظام الذين حفل بهم هذا العصر . فقد أظهروا كفاءة تامة فى كبح جماح العناصر المتطلعة إلى القوة والنفوذ ، واستطاعوا أن يقيموا نوعا من التوازن بين الأحزاب المختلفة التى ظهرت بقيام الدولة ، وتبعا لذلك احتفظت الدولة فى عصرها الأول بوحدتها تحت الحكومة المركزية فى بغداد ، باستثناء الأندلس [(١)] ، وجزء من الشمال الإفريقى [(٢)] .

لكن هذه الظاهرة العامة فى العصر الأول ما لبثت أن تغيرت فى العصر العباسى الثانى ، لتحل مكانها ظاهرة أخرى تخالفها ، وأول ما يطالعنا فى هذه الظاهرة الجديدة هو انتقال الدولة من المركزية إلى

---

(١) قامت الدولة الأموية فى الأندلس بقيادة عبد الرحمن الداخل (سنة ١٣٨ هـ / سنة ٧٥٥ م) ، واستمرت حتى (سنة ٤٢٢ هـ / سنة ١٠٣٠ م) ودولة الأدارسة فى المغرب - مراكش - بقيادة إدريس ابن عبد الله ، (سنة ١٧٢ - سنة ٣٧٥ هـ / سنة ٧٨٨ - سنة ٩٨٥ م) ، والأغالبة فى تونس وغيرها ، بقيادة إبراهيم بن الأغلب (سنة ١٨٤ - سنة ٢٩٦ هـ / سنة ٨٠٠ - سنة ٩٠٨ م) .

(٢) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٢٨١ ، د/ حامد غنيم : عصر الدول الإقليمية ص ١٦ ، ١٧ .

اللامركزية في نظام الحكم ، وقيام دول وإمارات مستقلة استقلالاً كاملاً ، أو استقلالاً جزئياً [1] ، عن الدولة .

ومن المسلم به أن الأحداث التي كانت تجري في المركز - بغداد - كانت تلقي بظلالها وتأثيراتها على الأطراف أو الأقاليم ، والعكس صحيح . ففي الفترة التي كانت الدولة العباسية فيها قوية من الناحية السياسية ومزدهرة من الناحية الإقتصادية كان يقابلها في جانب الدول الإقليمية إنعدام لوجودها - إلا ما استثنينا - وحينما أخذت الدولة العباسية تنهار سياسيا واقتصاديا ، أخذت الدول الإقليمية في نفس الوقت تظهر ، وتفرض وجودها على الواقع السياسي [2] ويرجع المؤرخون ظهور اللامركزية في الدول العباسية في عصرها الثاني لأسباب عدة :

فمنهم من أرجعها إلى ضعف الخلافة وتسلط الأتراك الذي أدى إلى فوضى عامة ، وكان الخلفاء العباسيون لا حول لهم ولا قوة أمام هذه الفوضى ، فإذا كان الأمر كذلك في مركز الحكم فإنه من الأحرى ألا يكون لهم حول ولا قوة أمام تلك النزعات الإستقلالية البعيدة [3] .

ويحاول البعض التخفيف من حدة هذا الإتهام الموجه للأتراك قائلا : « يعتقد بعض المؤرخين أن ظهور الأتراك في الدولة العباسية أدى إلى ظهور الدول المستقلة نظراً لنزعاتهم الإستقلالية ، يمكن القول بأن الأتراك عجلوا فقط بظهور هذه الحركات ، ولكن في الحقيقة كانت النزعات الإستقلالية قائمة في الدولة وتنتظر فرصة لتحقيق أغراضها . وكانت الفرصة بظهور الأتراك الذين أضعفوا الخلافة العباسية ، وسيطروا على الخلفاء » [4] .

---

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامي ص ٢٨١ .
(٢) د/ حامد غنيم : عصر الدول ص ٢٢ .
(٣) د/ محمد حلمي : الخلافة والدولة ص ١٠٦ .
(٤) د/ الفقي : الدولة العباسية ص ٢١٦ .

ومنهم من أرجع هذه النزعة الإستقلالية إلى العامل الإقتصادى ، فقد كان الناس فى فارس ومصر واليمن وغيرها يرون العراق وهو فى حالة من الإزدهار الإقتصادى - فى العصر العباسى الأول - لا تماثلها حالة ، وفى نفس الوقت يسمعون عن الأموال التى تذهب إلى العراق وتنفق فى غير سبيلها ، فتقوى النزعة الإستقلالية عندهم ، ويرون أنه لن يخلصهم من جور نوابهم ، ومن دفع الأموال التى تذهب إلى العراق إلا حاكم مستقل يصلح حالتهم الإقتصادية ، ويرفع عنهم الظلم الواقع عليهم [١] .

وكذلك ترجع هذه النزعة إلى اتساع رقعة الدولة العباسية إتساعا هائلا ، فرقعة الدولة العباسية تمتد الآف الكيلومترات [٢] ، ووسائل التنقل ليست ملائمة فى ذلك العصر لتلك المسافة الواسعة [٣] .

ولا شك أنه يدخل فى أسباب هذه النزعة مطامع أصحابها الذين قاموا بها ، فهى حركة مطامع شخصية لا حركة استقلال مناطق [٤] وأيضا كان من أسباب هذه النزعة العامل السياسى ، المتمثل فى الدولة الأموية بالأندلس - (سنة ١٣٨ - سنة ٤٢٢ هـ / سنة ٧٥٥ - سنة ١٠٣٠ م) - فقد حاول خلفائها مناوئة السلطة العباسية التى قضت على سلطانهم، وحاولوا استعادة ملك أبائهم وأجدادهم .

وكذلك كان للعامل المذهبى أثره فى اســتقلال بعض الدول كالأدارسة ، والذين جمعوا بين الناحية السياسية والمذهبية فى نزعتهم

---

(١) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١٣٤ .

(٢) كانت حدود الدولة العباسية فى هذا الوقت تمتد شمالا إلى أعالى التركستان فى آسيا وجبال البرانس فى شمالى إسبانيا ، وجنوبا إلى بحر العرب والمحيط الهندى وقاصية الصحراء الأفريقية الكبرى ، وشرقا إلى بلاد السند والبنجاب ، وغربا إلى المحيط الأطلنطى . (جرجى زيدان : التمون ٢/ ١١٥) .

(٣) جرجى زيدان : التمون ٢/ ١١٥ ،د/ العش :تاريخ عصر الخلافة ص ١٣٤.

(٤) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ١٣٩ .

الإستقلالية ، فقد كانوا شيعة من جهة ، ومن جهة أخرى عملوا على مناوأة أبناء عمومتهم العباسيين ، لإحساسهم أنهم خدعوهم وانتزعوا الخلافة منهم ، على أساس أن الدعوة العباسية قامت أصـــــلا على مبدأ « الرضا من آل البيت » .

وكذلك الدولة الفاطمية الشيعية ، في المغرب ومصر (سنة ٢٩٧ - سنة ٥٦٧ هـ / سنة ٩٠٩ - سنة ١١٧١ م) - التى كانت تناوىء الدولة العباسية السنية .

وكان لهذه العوامل جميعا أثرها فى استقلال بعض الأجزاء عن الدولة العباسية ، حتى أنه فى (سنة ٣٢٤ هـ / سنة ٩٣٥ م) - بداية إمرة الأمراء - كانت الأجـــزاء التى اقتطعت من الدولة العباسية هى : « البصرة مع ابن رائق ، يولى فيها من شاء ، وخوزستان إلى أبى عبد الله الريدى .... ، وأمر فارس إلى عماد الدولة ابن بوية ... ، وكرمان بيد أبى على محمد بن إلياس ، وبلاد الموصل والجزيرة وديار بكر ومضرور بيعة مع بنى حمدان ، ومصر والشام فى يد محمد بن طَغج ؛ وبلاد إفريقية والمغرب فى يد القائم بأمر الله الفاطمى ، والأندلس فى يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الأموى ، وخرسان وما وراء النهر فى يد السعيد نصر بن أحمد السامانى وطبرستان وجرجان فى يد الديلم ، والبحرين واليمامة وهجر فى يد أبى طاهر سليمـــان بن أبى سعيد القرمطى ... » [1] .

وهكذا اقتطعت هذه الأجزاء من الدولة العباسية حتى : « تفرقت الممالك ، ولم يبق بيد الخليفة غير بغداد لا غير » [2] . وبعبارة أخرى

---

(١) ابن كثير : البداية ١١/٢٣٨ .

(٢) ابن الساعى (على بن أنجب) : مختصر أخبار الخلفاء - المطبعة الأميرية - مصر ط (١) سنة ١٣٠٩ هـ - ص ٨٠ .

يقول الهمزانى [1] : « ولم يبقى فى يد الراض وابن رائق - أول من تولى الإمرة رسميا (سنة ٣٢٤ هـ) غير السواد » . ومن أطرف ما قيل فى تصوير هذا الحال ، قول مسكوية [2] . « فصارت الدنيا فى أيدى المتغلبين ، وصاروا ملوك الطوائف ، وكل من حصل فى يده بلد ملكه ومنه ماله » .

وهكذا انقسمت الدولة العباسية إلى دول مستقلة ، تخضع للخليفة العباسى خضوعا إسميا فقط [3] يتمثل فى الدعاء له فى الخطبة ، ونقش اسمه على السكة ، وأداء بعض الأموال للخليفة فى كل عام ، وفى مقابل ذلك يحصل منه على تقليد بحكم الإقليم الذى يخضع له ، وفيما عدا ذلك كان الوالى على الإقليم له جيش مستقل وميزانيه مستقلة ، ويحكم ولايته مستقلا تماما عند الخليفة العباسى [4] .

وما من شك أن هـــذه النزعات الإستقلالية أضعفت الخلافة العباسية [5] ، وكادت أن تقضى على البقية الباقية لسلطانها ، وأفقدت الدولة كذلك موردًا اقتصاديا هاما ، متمثلا فى الأموال العظيمة التى كنت ترد إلى بغداد من هذه الأقطار [6] ، وأصبح المرســـل بعد ذلك جزءًا قليلاً فقط ، وأحيانا لا يرسل ويؤخر عن موعده ، وأحيانا يرسل على أنه هدية - لا مقرر سنوى مفروض مما أدخل الدولة فى صدام مع بعض

---

(١) تكملة تاريخ الطبرى : ٣٠٧/١١ .

(٢) تجارب الأمم ٣٦٦/١ .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٢٩٣ ، د/ حسن الباشا الألقاب الإسلامية ص ٦١ ، د. الفقى : الدولة العباسية ص ٢١٦ .

(٤) ابن طباطبا : الآداب السلطانية ص ٢٨ ، د/ الفقى : الدولة العباسية ص ٢١٦ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٢٨٨ ، ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص ٨٠ ، ابن طباطبا : الآداب السلطانية ص ٢٥٣ .

(٦) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٧٠ ، د/ اللميلم نفوذ الأتراك ١٠٢/٢ .

الولاة المستقلين بسبب هذا الموقف ، وأصبح من واجبات أمير الأمراء الخروج إلى هؤلاء الذين منعوا الأموال المقررة عليهم ومعه الخليفة - لإجبارهم على دفعها .

ولكن مع هذا يحاول البعض إنصاف اللامركزية ، مؤكدين بأن العالم الإسلامى فى عهد العباسيين كان أقوى بكثير مما كان عليه فى أيام بن أمية ، فقد حملت هذه الدول المستقلة - سواء فى المشرق أو المغرب - مسئولية الدفاع عن العالم الإسلامى كل فى ناحيتها ،ورفعت عن كاهل الخلافة عبء متطلبات هذا الدفاع ماديا وعسكريا ، ثم إنها مدت نفوذ العالم الإسلامى إلى أطراف جديدة ربما لم تكن الخلافة المركزية قادرة عليها . كما أنها تصدت لهجمات كبيرة على العالم الإسلامى وصمدت لها فى قوة ودحرتها ، وبذلك جعلت قلب العالم الإسلامى يعيش فى أمن وسلام [١] بجانب أن هذه الدول أسهمت فى مجال إعلان شأن الحضارة الإسلامية فى مجالات متعددة من علوم وآداب وفنون وغيرها[٢].

كل هذا لا ينكر ، ولكن يجب أن يلاحظ أن هذه الدول كانت تقول - بكل ما تقدم من الدفاع العسكرى ، والتصدى لهجمات الأعداء ، ومد النفوذ ، والإسهام فى العلوم والفنون - كل هذا كان بالدرجة الأولى لمصلحتها لا لمصلحة الخلافة والدولة العباسية . فالأغالبة على سبيل المثال قاتلوا البربر والروم فى إفريقية ، وأرسلوا للرشيد أنهم يتنازلون عن المعونة السنوية - والتى تقدر بمائة ألف دينار - والتى تأتى إليهم من مصر ، بل ويرسلون كل سنة لبغداد أربعين ألف دينار سنويا ، هل كل هذا من أجل الرشيد والخلافة العباسية ؟! أشك ف هذا ، وإنما بغرض التمكين لأنفسهم ، وإستقلالهم بهذا الجزء ، وقس على هذا فى معظم الدول

(١) د/ حسن محمود ، د. الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٠١ .

(٢) د/ أحمد رمضان : حضارة الدولة العباسية ص ٦١ .

التى استقلت عن الدولة العباسية ، ومن وجهة نظرى لعل الحسنة الكبيرة - بجانب الدفاع فى الأطراف - التى استفادتها الدولة العباسية من هذه الدول المستقلة ، عمل بعضها على مد ونشر الإسلام الحنيف فى مناطق جديدة .

كل هذه الأسباب السابقة كان لها أثرها السلبى على الخلافة والدولة فى العصر العباسى الثانى ، واستمرارها يعنى زيادة التدهور فى شتى مجالات الحياة - السياسية والإقتصادية والعسكرية وغيرها - ، لذا كان لابد من محاولة الإنقاذ ، ففكر الخليفة الراضى فى إنشاء منصب « أمير الأمراء » وعلق عليه الآمال العريضة فى عودة الخلافة والدولة إلى ما كانتا عليه من قوة وازدها فى عصرها الأول ، فهل تحقق الغرض من إنشاء هذا المنصب ؟ هذا ما تبينه الصفحات القادمة - إن شاء الله - .



الفصل الثاني

« إمرة الأمراء فى عصر الراضى بالله »

الفصل الثانى

« إمرة الأمراء فى عصر الراضى بالله »

محمد بن رائق[1] يتولى الإمرة (سنة ٣٢٤ هـ / سنة ٩٣٥ م) :

لما أحست الخلافة - كما سبق بضعف الوزارة وسيطرة الأتراك وضياع أملاك الدولة ، مما أدى إلى « ضعف أمر الخلافة جداً »[2] ، وفراغ خزائنها ، تطلعت إلى بعض حكام الولايات القريبة من العراق تستعين بهم علهم ينجحون فى إنقاذ موقفها المتردى[3] .

وكان أقرب هؤلاء محمد بن رائق الذى كان قد قطع مال واسط والبصرة ، فحرص المظفر ابن ياقوت - الحاجب - الخليفة الراضى[4] على

---

(١) أبو بكر ، محمد بن رائق ، أمير من الدهاة الشجعان ، كان أبوه من مماليك المعتضد وولى محمد هذا شرطة بغداد للمقتدر (سنة ٣١٧ هـ) ، وولاه الراضى الإمرة (سنة ٣٢٤ هـ) ، ثم قلده طريق الفرات وديار معز (سنة ٣٢٦ هـ) ، وطمع ابن رائق فى مصر فدار بينه وبين محمد بن طغج قتال عنيف انهزم فيه ابن رائق ، توفى يوم الإثنين الحادى والعشرون من رجب (سنة ٣٣٠ هـ) ، على يد ناصر الدولة الحمدانى .

وكان شديد الوطأة ، وله شعر وأدب . (ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء - ١٥ / ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، الزركلى : الأعلام ٦ / ١٢٣) .

(٢) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٣٨ .

(٣) ابن خلدون : العبر ٣/ ٩٤٠ ، د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٦٦ ، محمد حلمى : الخلافة والدولة - ص ١٠٨ .

(٤) أبو العباس محمد بن المقتدر ، ولد فى رجب (سنة ٢٩٧ هـ) ، وبويع بالخلافة بعد خلع القاهر (سنة ٣٢٢ هـ) ، وظل فيها حتى توفى بعلة الإستسقاء فى منتصف ربيع الأول (سنة ٣٢٩ هـ) ، فكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ، ودفن بالرصافة ، وكان عمره عند وفاته إحدى وثلاثين سنة وعشرة أشهر . وكان=

الخروج إليه بالجيش لحمله على دفع المتأخر عليه من المـــال ، قائلا له : « قد انغلقت عليك هذه البلدان - وهى بلدان المال - بما فعله محمد بن رائق من الإمتناع من حمل ضمانه ، ومتى رأى غيره ذلك قد تم له واحتمل عليه تأسى به . . . »[(١)] .

وبالفعل أرسل الراضى رسولين [(٢)] إلى ابن رائق بهذا الشأن ، فأحسن إليهما وحملهما رسالتين : إحداهما للوزير ابن مقلة [(٣)] ، يعنفه فيها بسبب سوء العلاقة بينهما ، والأخـرى - سرية - إلى الخليفة الراضى ، وفيها أنه إذا استدعاه إلى دار الخلافة وفوض إليه تدبير أمور الدولة ، قام بكل ما يحتاج إليه من نفقات الخليفة وأرزاق الجند [(٤)] ، وكفى أمير المؤمنين الفكر فى شىء من أمره ، [(٥)] وفى نهاية الرسالة يطلب

= سمحا ، فصيحا ، شاعراً ، بليغا ، كريما جوادا ، محبا للعلماء (الهمذانى : تكملة - سويدان - بيروت - ١١/ ٣٢٣ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨/٣٦٦ - ٣٦٨ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٥/١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن شاكر (محمد ابن شاكر الكتبى) : فوات الوفيات - دار صادر - بيروت - بدون - ١/ ٣٢١ - ٣٢٣ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء - دار الفكر - بيروت - ص ٣٦١ - ٣٦٣) .

(١) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٣٥ .

(٢) هما (كاجور وينال) (الصولى : أخبار الراضى ص ٨٥)

(٣) هو محمد بن على بن الحسين بن عبد الله ، أبو على ، المعروف بابن مقلة ، ولد (سنة ٢٧٢ هـ) ، وكان فى أول أمره ضعيفا قليل المال ، ثم تولى بعض أعمال فارس وكان - يحيى خراجها ، ثم تغير حاله وتولى الوزارة لثلاثة من الخلفاء (وهم المقتدر سنة ٣١٦ ، والقاهر سنة ٣٢٠ هـ ، والراضى سنة ٣٢٢ هـ) ، وعزل ثلاث مرات . وكان بينه وبين ابن ياقوت - الحاجب - غيرة أدت إلى خلاف شديد ، كما حدث له مع ابن رائق متاعب كثيرة . توفى فى حبسه يوم الأحد العاشر من شوال (سنة ٣٢٨ هـ/ سنة ٩٣٩ م) . (ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/١١٣ - ١١٧ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٢٩١ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٥١) .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣١٣ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٣٦ .

من الراضى التخلص من وزيره ابن مقلة . ولكن لم يجرأ الراضى على الإيقاع بوزيره - كما طلب ابن رائق - حتى قبض عليه الساجية [١] وخلصوا الراضى منه[٢] .

فبدأ الراضى مراسلة ابن رائق ، وعرّفه أنه يجيبه إلى ما كان عرض عليه ، فسر ابن رائق وغادر واسـط يوم الجمعة لعشر بقين من ذى الحجة [٣] ، فوصل بغداد يوم السبت من الشهر نفسه [٤] ، وظل بها عدة أيام وخلالها كان الطعام والفاكهة والشراب يحمل إليه من دار السلطان ، ويقوم على خدمته بعض خدم السلطان أيضا [٥] .

سلطات أمير الأمراء :

ثم استدعاه الخليفة الراضى وقلده الإمارة ، ورياسة الجيش ، وفوض إليه تدبير أعمال الخراج والضياع ، أعمال المعاون فى جميع النواحى ، وفوض إليه تدبير أمر المملـكة ، وأمر بأن يخطب له على المنابر وبأن يكنى [٦] ، وينقش اسمه على السكة [٧] وبهذا أصبح ابن رائق وكتابه ينظرون فى جمع الأمور والأموال تحمل إلى خزائنه ويتصرف فيها كما يريد [٨] ، وأصبح كما قال ابن خلدون [٩] : « ويده مع ذلك عالية على

---

(١) فرقة من الجيش ، تنسب إلى ابن الساج أحد عمال المقتدر بالله . (جرجى زيدان : التمدن ٢/ ١٧٢) .
(٢) مسكوية : تجارب ١/ ٣٣٦ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٥١ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٠٤ .

(٤) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٠٤ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٥٢ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٠٤ .

(٦) مسكوية : تجارب ١/ ٣٥١ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٢٢ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٣٨ ، الخضرى ، محاضرات ٢/ ٤٠٦ .

(٧) على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٢ ، د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١٨٢ ، د/ مصطفى الشكعة : سيف الدولة الحمدانى - مكتبة المتنبى - مصر - سنة ١٩٧٧ م - ص ٤٥ .

(٨) ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٩٠ .
(٩) المقدمة ص ٢٠٩ .

أهل الرتب، وأمره نافذ فى الكل إما نيابة أو استبداداً » . حتى أن الناس كانوا يسمون أمير الأمراء فى هذا الوقت « ملك بغداد »[(١)] ، أو « سلطان بغداد »[(٢)] .

وبناءاً على هذه الصلاحيات التى أعطيت لأمير الأمراء ، وفى ظل هذا المنصب لم يبق للخليفة شىء من النفوذ ، حتى قال ابن كثير[(٣)] : « ومع هذا ليس له - الخليفة - مع ابن رائق نفوذ فى شىء ، ولا تفرد بشىء ، ولا كلمة تطاع ، وإنما يحمل إليه ابن رائق ما يحتاج إليه من الأموال والنفقات وغيرها » . ويقول الذهبى[(٤)] : « وفى أيام الراضى عظم ابن رائق ، ولم يبق للراضى معه حل ولا ربط » . ويقول السيوطى[(٥)] صراحة : « وبقى الراضى صورة ، وليس له من الخلافة إلا الإسم » .

وانفرد ابن رائق بالسلطة والنفوذ فعلا ، وضيق على الخليفة الراضى ، ولم يبق له سوى الخطبة والسكة ، وشريكه فيهما أمير الأمراء[(٦)] وكف يده عن بيت المال ، وهو أول خليفة فعل به هذا[(٧)] ،

---

(١) ويدل على تمكن أمير الأمراء فى هذا الوقت قول سنان بن ثابت - الطبيب المعروف - لأمير الأمراء يحكم حين كان يعالجه من حالة الغضب التى كانت تنتابه : «إعلم إيها الأمير بأنك قد أصبحت وليس فوق يدك يد لمخلوق ، وأنه لا يتهيأ لاحد منعك عما تريد وان لا يحول بينك وبين ما تهواه اى وقت أردته ، وأنك متى أردت شيئا بلغته فى أى وقت شئت لا يفوتك شىء منه . . . » . مسكوية : تجارب الأمم ٤١٧/١ ، ٤١٨ ، ابن الجوزى : المنتظم ٣٢١/٦) .

(٢) د/ أبو زيد شلبى : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى - مكتبة وهبة مصر ط (٣) سنة ١٩٦٤ م - ص ٩٥ .

(٣) البداية ٢٣٨/١١ . (٤) سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٠٤ .

(٥) تاريخ الخلفاء ص ٣٩٢ .

(٦) على ظريف: مختصر تاريخ بغداد ص٤٢،د الشكعة: سيف الدولة ص٤٥ .

(٧) جرجى زيدان : تاريخ التمدن ١٤٢/٢ ، على ظريف : مختصر ص ٤٢ .

وأصبح الخلفاء بعده فى حاجة إلى الراتب اليومى أو الشهرى - ولم يبق له سوى السلطة الدينية فقط [١] فكان الخليفة الراضى : « آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوس والأموال ، وآخر خليفة خطب على منبر يوم الجمعة ، وآخر خليفة جالس الجلساء ، ووصل إليه الندماء ، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطايا وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمة وحجابه وأموره، كل ذلك يجرى على ترتيب المتقدمين من الخلفاء» [٢]، وتطور الأمر حتى أصبح اختيار الخلفاء يتم بواسطة أمير الأمراء، كما فى خلافة المستكفى بالله [٣] (سنة ٣٣٣ - سة ٣٣٤ ه / سنة ٩٤٤- سنة٩٤٥م) [٤] .

هذا عن حال الخلافة فى ظل الإمرة ، أما عن الوزارة فلم تكن أحسن حالاً من الخلافة ، فبظهور منصب أمير الأمراء فقدت الوزارة أهميتها وأبطلت [٥] ، ولم يكن الوزير ينظر فى شىء من أمر النواحى ، ولا الدواوين ، ولا الأعمال ، ويحضر فقط فى أيام المواكب إلى دار السلطان بسواد سيف ومنطقة ، ويقف ساكتا ، وأصبح ابن رائق وكتابه

(١) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية - ترجمة نبيه فارس ، ومنير البعلبكى - دار العلم للملايين - بيروت ط (١٠) سنة ١٩٨٤ م - ص ٢٤٠ ، د/ أحمد رمضان : حضارة الدولة ص ٧١ .

(٢) ابن كثير : البداية ٣٥٢/١١ .

(٣) أبو القاسم عبد الله بن على ، بويع بالخلافة عند خلع المتقى (سنة ٣٣٣ هـ) ، ولقب نفسه « إمام الحق » ، وأمر بضرب ذلك على العملة ، واستمر فى خلافته سنة وأربعة أشهر ويومين ، وبعدها خلعه معز الدولة (سنة ٣٣٤ هـ) وسمله وحبسه حتى توفى فى حبسه (سنة ٣٣٨ هـ) ، وله ستة وأربعون سنة . وقيل كان يتظاهر بالتشيع . (الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٥ /١١ - ١١٣ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م ٢٢٢/١١ ، السيوطى :تاريخ الخلفاء - دار الفكر - بيروت - ص ٣٦٨).

(٤) ابن خلدون : العبر ٥١١/٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٣٢٣/٨ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢٨٨/٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٢ ، الخضرى : محاضرات ٤٠٦/٢ .

ينظران فى الأمر كله [1] يقول ابن طباطبا معلقا على ما أصاب الوزارة من ضعف فى ظل الإمرة : « ولم يبق للوزير سوى الإسم من غير حكم ولا تدبير » [2] ، ويتهكم ابن خلدون على وزارة ابن مقلة للراضى بقوله : «استوزر الراضى أبا على بن مقلة على سنن من قبله والأمر لابن رائق ، وابن مقلة كالعارية » [3] .

وهذه جملة من أقوال المؤرخين عن الوزارة فى عدة سنوات ، توضح بجلاء ما آل إليه أمرها فى ظل نظام الإمرة . فى عهد المتقى [4] (سنة ٣٢٩ - سنة ٣٣٣ هـ) :« وأقر المتقى سليمان بن الحسن على وزارته ، وإنما كان له من الوزارة الإسم فقط » [5] وفى عهد المستكفى (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤ م) : « وقلد المستكفى وزارته أبا الفرج محمد بن علىّ السامرى ، ولم يكن له من الوزارة إلا إسمها » [6] ، وفى قول آخر : « فكان له اسم الوزارة على سنن من قبله » [7] .

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٣٥٢/١ ، الهمذانى : تكملة ٣٠٤/١١ .

(٢) الفخرى ص ٢٥٤ .

(٣) العبر ٤٩٥/٣ .

(٤) أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد ، بويع بالخلافة ، بعد موت أخيه الراضى (سنة ٣٢٩ هـ) ، وله من العمر أربع وثلاثين سنة ، ثم غدر به توزون - أمير الأمراء - وخلعه وحبسه (سنة ٣٣٣ هـ) ، وظل فى حبسه أربعا وعشرين سنة ، حتى توفى فى شعبان (سنة ٣٥٧ هـ) ، عن ستين سنة . وكان كثير الصوم والتعبد ، ولم يشرب النبيذ قط ، وكان يقول : لا أريد نديما غير المصحف (الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٠٤ - ١١١ ، ابن شاكر : فوات الوفيات ١٧/١ ، ١٨ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ١١ / ٢٦٥ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء - دار الفكر - بيروت - ص ٣٦٦) .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٣/٢ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٧٨ .

(٧) ابن خلدون : العبر ٥١١/٣ .

بل إن ابن رائق عمل على التنكيل بكل وزير يستشعر منه الخطر على إمرته ، أو يحاول أن يؤلب عليه ، كابن مقلة الذى تولى الوزارة (سنة ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٧ م) وبطبيعة الحال لم يكن له من الأمر شىء مع ابن رائق ، الذى اغتصب بعض أملاكه ، فلما طالبه ابن مقلة بردها أخذ يماطله ، فكتب إلى بجكم [(١)] يطمعه فى بغداد وأن يكون أميراً للأمراء عوضا عن ابن رائق [(٢)] وفى ذات الوقت كتب إلى الخليفة الراضى يشير عليه بالقبض على ابن رائق مقابل ثلاثمائة ألف ألف دينار ، فأطمعه الراضى إلى ما أشار به عليه وطلب حضوره إليه ، فلما حضر ابم مقلة إلى قصر الخلافة قبض عليه الراضى وأرسل إلى ابن رائق يخبره بأمره ، فما كان من ابن رائق إلا أن أمر بقطع يده اليمنى التى كتب بها الوشاية [(٣)] وأحرق داره [(٤)] ، وقد كتب أحد الناس عليها لما أحرقت :

---

(١) ويسميه ابن خلدون « بجكم » ، وكان من جملة قواد « مرداويج » قائد الديلم ببلاد الجبل ، ولما ملك مرداويج الرىّ وأصبهان والأهواز أساء السيرة فى الأتراك الذين معه ، ومنهم بجكم - فقتلوه (سنة ٣٢٣ هـ / سنة ٩٣٤ م) ، وافترقوا فرقتين فرقة صارت إلى عماد الدولة بن بويه بفارس ، والأخرى - وهى الأكثر - صارت بقيادة بجكم إلى النهروان وكاتبوا الراضى فى المسير إليه فأذن لهم ، ولكن الحجرية عارضوا وجودهم معهم فرجعوا من حيث أتوا ، فاستدعاهم ابن رائق - صاحب واسط والبصرة - فقدموا عليه ، وانتقى منهم بحكم وأحسن إليه وسماه « بجكم الرائقى » نسبة إليه (ابن خلدون : العبر ٣/٤٩١) ، وكان يفهم العربية ولا يتكلم بها ، وكان يحب العلم وأهله ، وكان أيضا كثير الأموال والصدقات . (ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ١١ / ٢٠٠) قتل فى السادس والعشرين من رجب (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) . (ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨/٣٧١)

(٢) ابن كثير : البداية ١١/٢٤٣ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٥-١٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٥/ ١١٥ ، ١١٦ . على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٣ .

(٤) الهمذانى : تكملة ١١/٢٩٩ .

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف يوما يأتي به القدر .

وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر [1]

وقال ابن رائق معللاً ما أقدم عليه بقوله : « هذا أفسد في الأرض »[2] .

وكان ابن مقلة ينوح على يده - التي قطعت - ويبكي ويقول : « خدمت بها الخلفاء ، وكتبت بها القرآن الكريم دفعتين ، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص »[3] ولما برئت يده اليمنى عاد يكاتب الراضي - للإيقاع بابن رائق - بيده اليسرى ، فأمر أمر ابن رائق بقطعها أيضا ، ثم أمر بقطع لسانه وأودع السجن وظل فيه حتى توفي (سنة ٣٢٨ هـ / سنة ٩٣٩م) [4] ولا شك أنها قسوة بالغة من أمير الأمراء ابن رائق ، ولكن حب السلطة يعمى ، وفي سبيله يقدم الإنسان على فعل كل شيء .

وهناك من يرى أن الوزارة لم تسقط ولم تلغ بظهور منصب أمير الأمراء ، وإنما أصبح الوزير « كاتبا » موكلاً بالأموال ، ثم أصبح بعد ذلك وزيراً شخصيا للخليفة العباسي المستضعف [5] وقريبا من هذا المعنى يقول ابن خلدون [6] : « وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاها للخليفة في خاصته » : ولكن الواضح - مما سبق - أن الوزارة فقدت اهميتها - كالخلافة - وأصبحت إسما فقط ، وكم من الألقاب والأسماء الشرفية والفخرية وأصحابها لا يملكون لأنفسهم شيئا .

---

(١) ابن كثير : البداية ١١/٢٣٧ .

(٢) ابن كثير : البداية ١١/٢٤٣ .

(٣) ابن كثير : البداية ١١/٢٥١ .

(٤) اليافعي : مرآة الجنان ٢/٢٩٣ ،على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٣ .

(٥) جرجي زيدان : التمدن ٢/١٥٩ هامش (١) .

(٦) المقدمة ص ٢٠٩ .

بين ابن رائق والبريدى :

وأمل الخليفة الراضى على ابن رائق الآمال العريضة فى إصلاح معظم شئون الدولة ، ومن جانبه حاول ابن رائق فى البداية إثبات كفايته لما تولاه ، فكان أول أعماله - بعد الإمرة - التصدى للبريديين الذين بالأهواز [1] ، فقد ساءت العلاقة بين ابن رائق وأبى الحسين البريدى [2] لأسباب :

منها عدم التزام البريدى بدفع المال المستحق على ولايته ،فقد استولى هو وأخوه يوسف على أربعة ملايين دينار من أموال الأهواز ، وادعيا أن أموال ستى (سنة ٣٢٢ هـ / سنة ٩٣٣ ، سنة ٣٢٣ هـ / سنة ٩٣٤ م) قد فقدت بسبب قيام بعض الفتن والإضطرابات فى الأهواز [3] وظل يماطل وينكر والخليفة وابن رائق يطالبانه بهذا المال .

فطلب ابن رائق من الخليفة الراضى أن يخرج معه إلى واسط ومنها يراسلان البريدى فى دفع الأموال المتأخرة عليه فإن أجاب وإلا قاتلاه ، وأجاب الخليفة الراضى طلب ابن رائق وخرجا من بغداد يوم السبت غرة المحرم (سنة ٣٢٥ هـ/ سنة ٩٣٦ م)

---

(١) الأهواز : أصلها أحواز أبدلت الفرس الحاء هاءً لأنه ليس فى كلامهم حاء ، وكان اسمها فى أيام الفرس خوزستان ، وقيل هُرمُزْ شهر ، وهى كورة عظيمة من بناء أردشهير ، وكانت سبع كور بين البصرة وفارس لكل منها اسم ، والأهواز يجمعهم ياقوت (أبو عبد الله بن عبد الله) : معجم البلدان - دار إحياء التراث العربى - بيروت - بدون - ١/ ٢٨٤ - ٢٨٦ ، ابن عبد الحقّ : مراصد الإطلاع - ١/ ١٣٥) .

(٢) قتلَ فى ذى الحجة (سنة ٣٣٢ هـ) وصلب وأحرق ، وذلك أنه أقام ببغداد يستنجَد بتوزون وابن شيرزاد وعلى ابن أخيه فوعدوه النصر ، ثم شرع يفسد ما بين توزون وابن شهيرزا ، فعلم بذلك ابن شيرزاد فقبض عليه وحبسه ثم قتله . (ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/ ٤١٠ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ١١/ ٢١١) .

(٣) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/ ٣٠٦ ، ٣٠٧ د/ إبراهيم الكردى : البويهيون ص ١١٤

فاضطربت عليه الحجرية [1] لأن ابن رائق أسقط منهم من الديوان الدخلاء والبدلاء والنساء والتجار ومن لجأ إليهم [2] وقيل لخوفهم أن يفعل بهم ابن رائق ما فعل بالساجية حين قتل بعضهم وطرد البعض الآخر [3] فسلط عليهم قائده « بجكم » فقتل أكثرهم، ومن رجع منهم إلى بغداد تلقاهم « لؤلؤ » - صاحب الشرطة - فقبض عليهم ونهب دورهم [4].

ومن واسط أرسلا - الخليفة وابن رائق - إلى البريدى يتهدد انه إن لم يحمل المقرر عليه من المال - فى كل سنة ثلاثمائة وستون ألف دينار - تحمل كل سنة على حدة [5] ، فإنهما يقاتلانه وسوف يعزل عن ولايته .

وقيل إن هذه الرسالة - فوق المطالبة بتعجيل المال المتأخر - كانت تحتوى على بيان أن البريدى : « أفسد الجيوش ، وحسن المروق ، وأنه ليس بطالب يسارع على الملك ، ولا بجندى فيبتغى الإمارة ، ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المنغلقة ، وأنه كان صغيرا فرفع بعد خمول ، وعاملاً من أوسط العمال فاصطنع وأهل لجليل الأعمال ، فطغى وكفر النعمة ، وجازى عن الإحسان بالسوء ، وخلع الطاعة ، وأنه إن سلم الجند وحمل المال أقر على العمالة ، وإلا قصد وعومل بما يستحق »[6] .

وهكذا كانت هذه الرسالة تهديدا مباشراً للبريدى وإلى الأهواز ، مما

---

(1) الحجرية : هم الحرس أو الخدم الذين يعملون للسلطان أو لغيره نسبة إلى الحجرة . (جرجى زيدان : تاريخ التمدن ٤/١٨٣ هامش (٢)) .

(2) مسكوية : تجارب الأمم ١/٣٥٧، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/٣٢٩ ، د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١١٥ .

(3) مسكوية : تجارب الأمم ١/٣٥٨ ، ابن خلدون : العبر ٣/٤٩١ .

(4) ابن : كثير : البداية ١١/٢٤١ .

(5) مسكوية : تجارب الأمم ١/٣٥٩ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٣٠ ، ابن كثير : البداية ١١/٢٤٢ .

(6) مسكوية : تجارب الأمم ١/٣٥٩ .

جعله يتوجس الشر من الخليفة ، وأمير أمرائه ابن رائق، فصانعهما وأوضح لهما أنه سوف يعجل بدفع المال المتأخر عليه ، وكذلك أجاب إلى تسليم الجيش إلى من يؤمر بتسليمه إليه لمساعدة جيوش الخلافة فى القتال فى بلاد فارس [١] وعلى هذا أرسلت الخلع السلطانية إلى أبى عبد الله البريدى بالولاية وعمالة الأهواز [٢] وتم الصلح .

ويرى البعض أن الذى حدا بابن رائق للمشوارة على الراضى بالخروج لمطالبة البريدى بالمال ليس حرص ابن رائق على أموال الخلافة - الدولة - وإنما الدافع الأساسى لذلك هو طمع ابن رائق فيما بيد البريدى من بلاد الأهواز لتعويض النقص الذى فى بيت المال ، ومحاولة توسيع نفوذه خارج حدود بغداد [٣] وللحقيقة كانت هذه نزعة معظم أمراء الأمراء ، لأن هذا المنصب أصبح محل تنافس بين الكثيرين ، ومن يتولاه كان يعلم أنه لن تطول فترة ولايته ، فكان يحاول تحصيل أكبر قدر من المال له ولأتباعه .

وعاد الراضى وابن رائق إلى بغداد فدخلاها أول صفر (سنة ٣٢٥ هـ / سنة ٩٣٦ م) ، وانتظر وصول المال الذى وعد به البريدى فلم يحمل إليهما دينارا واحدا . وأما الجيش فإن ابن رائق أرسل إليه - « جعفر بن ورقاء » - يطلب منه أن يسير معه الجيش إلى بلاد فارس ، فأخرج بعض الجند لهذا الغرض ، ولكنه أوعز إليهم أن يطلبوا من ابن ورقاء المال ليتجهزوا به فاعتذر بعدم وجوده ، فشتموه وتهددوه بالقتل ، فاستأمن بالبريدى الذى أشار عليه بالنجاة [٤] والرجوع من حيث أتى . مما جعل الراضى وابن رائق يتأكدان من خروج البريدى عليهما .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٣٠ ، ابن كثير : البداية ٢٤٢/١١ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٦٠ .

(٣) الخضرى : محاضرات ٤٠٦/٢ ، محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٠٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٣١/٨ ، ابن خلدون : العبر ٤٩٢/٣ .

ومن أسباب العداء بينهما أيضا استيلاء البريدى على البصرة (سنة ٣٢٥ هـ / سنة ٩٣٦ م) ، فإنه لما رجع الراضى وابن رائق عن واسط إلى بغداد وبلغ ذلك أبو عبد الله البريدى كتب إلى عسكره بحصن مهدى [١] - بقيادة إقبال - أحد قواده - يأمرهم بدخـــول البصرة وقتال مَن يتصدى لهم ، وأرسل إليهم فرقة من الحجرية - الذين طردهم ابن رائق - معونة لهم ، فأرسل ابن يزداد - والى البصرة من قبل ابن رائق - جماعة من أصحابه ليمنعوهم من دخولها فوقع القتال بين الفريقين - عند نهر الأمير - وانهزم جيش ابن يزداد ، فاعأدهم وزاد فى عدتهم فاقتتلوا ثانية وهزموا أيضا ، ودخل إقبال وجيشه مدينة البصرة ، ففر ابن يزداد عنها إلى الكوفة ، وكان مما ساعد إقبال على هزيمة ابن يزداد ودخول البصرة إنحياز أهلها إليه ، لشدة عسف وظلم ابن يزداد لهم [٢] .

وجاء أبو عبد الله البريدى ودخل البصرة فأتاه أهلها فى جموع عظيمة للتهنئة بالولاية ، فقربهم وأكرمهم ، وبين لهم أنه أعد السفن لتسييرها إليهم لحمايتهم من هجمات القرامطة الذين يغيرون عليهم بين الحين والآخر وأنه ما أتى إليهم إلا لتخليصهم من ظلم ابن رائق وعامله ابن يزداد ، ووعدهم ومناهم قائلا لهم : « وقد أزلت عنكم يا أهل البصرة الشرطة ، والمآصير [٣] ... وتحملت ذلك من مالى ... وإنى لأرجو المغفرة بإزالة الرسوم الجائرة عنكم ، وإن عزم ابن رائق على رد ذلك » [٤] . وأخذ يعيب ويذم ابن رائق لدى أهل البصرة [٥] .

---

(١) بنى هذا الحصن على ما يقال الخليفة المهدى ، وبه جامع ورباطات ، وكان هذا الحصن يسيطر على أعالى فيض دجيل حيث كان يبلغ عرضه هناك نحو فرسخ ، وبينه وبين الأهواز حوالى عشرين فرسخا . (كى لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية- ص ٢٧٨) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٣٤ ، ان خلدون : العبر ٣/ ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

(٣) المآصير : أخذ العشور . (المعجم الوسيط دار الفكر - ط ٣ سنة ١٩٦٩ م - ١/ ٢٠) .

(٤) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٣٣ .

وبالطبع لم يكن البريدى صادقا في وعوده هذه لأهل البصرة ، وإنما هى على شاكلة من يحالفهم الحظ فى عصرنا الحاضر من الرؤساء والوزراء والبرلمانيين وغيرهم ممن يتولون مناصب جديدة ، يعدون وعودا براقة لا حصر لها ، وبعد فترة من ولايتهم لا يتحقق منها إلا القليل النادرة ، إن لم يتحقق شيء قط ، فهى محاولة لاستمالة قلوب أهل البصرة استغلها على أساس سوء سيرة ابن يزداد فيهم .

ولما بلغت هذه الأخبار ابن رائق قامت قيامته وأرسل إلى البريدى تهدده ويأمره بإعادة جيوشه عن البصرة ، فاعتذر وتعلل بأنه لا يستطيع ذلك لأن أهل البصرة ، « قد تمسكوا بى وبأصحابى لخفوهم »[1] من عُمالك . وكذلك لطمع أبو طاهر القرمطى فى البصرة ، فإذا ما تركتها دخلها بسهولة[2] .

وهكذا كان استيلاء البريدى على البصرة . التابعة لابن رائق - واحدًا من أكبر الأسباب فى ارتفاع حدة العداء بينهما ، خاصة وأن ابن رائق - أمير الأمراء - كان يطمع فى الإستيلاء على الأهواز لتوسيع نطاق نفوذه ، فكيف وقد اقتطعت منه بعض الأعمال التابعة له ؟! .

ومن أسباب العداء بينهما أيضا أن ابن رائق لما عاد إلى بغداد كان قد أمر بظهور من استتر من الحجرية فظهروا ، فاستخدم منهم نحو ألف رجل، وأمر الباقين بطلب الرزق فى أى مكان أرادوا ، فتوجه منهم نحو خمسمائة إلى أبى عبد الله البريدى فأكرمهم وأحسن إليهم[3] وذم ابن رائق وعابه فى حضرتهم ، وأرسل إلى بغداد يعتذر عن قبولهم بقوله : «إنى خفتهم ، فلهذا قبلتهم » .

---

(١) ابن الأثير : المصدر السابق ٨/ ٣٣٤ .

(٢) الهمذانى : تكملة - سويدان - بيروت - ١١/ ٣٠٥ ، د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٢٧ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٨٨ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٣٣ .

فأرسل إليه ابن رائق يلزمه بإبعادهم فلم يفعل [1] وتعلل بأنه يعدهم لقتال القرامطة [2] .

وهذا أمر يدعوا إلى الغرابة ، فإن ابن رائق هو الذى طردهم ، ثم هو الآن يطالب بعودتهم أو إبعادهم عن البريدى ، وقد يكون السبب فى هذا خوف ابن رائق أن يقوى بهم البريدى - خاصة وأنهم من الفرق المدربة جيدا على فنون القتال - فيشكل خطراً على إمرته التى ذاق حلاوتها وأصبحت السلطة كلها فى يده تقريبا ، والأكثر أن البريدى تجرأ من قبل واستولى على البصرة التابعة لابن رائق ، فكيف بعد وصول هذه القوات الإضافية إليه ؟! .

وترتب على ما سبق من أسباب العداء بين ابن رائق والبريدى أن حاول كل منهما الإيقاع بالآخر ، وكان ابن رائق أسرعهما إلى هذا ، فقد استدعى قائده بجكم وبدراً الخرشى وخلع عليهما ، وأمرهما أن يحاصرا البريدى - فى البصرة - من جهتين [3] ، ولكن بجكم بادر ولم ينتظر بدرا ، وخرج فى ثلاثمائة من أتباعه - الأتراك متعجلا ، فبلغ ذلك البريدى فأخرج لملاقاته جيشا بلغت عدته ثلاثة الآف مقاتل - بقيادة أبى جعفر الجمال - أحد رجاله الذين يثق فيهم [4] وقيل كان عدتهم عشرة الآف [5] ودار بينهما قتال بظاهر السوس [6] انهزم فيه أتباع البريدى وعادوا إليه فعنفهم،وقال لقائده الجمال:« انهزمت بثلاثة الآف من ثلاثمائة ؟! » .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٣٣ .

(٢) ابن خلدون العبر ٣/ ٤٩٣ .

(٣) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٠٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٣٥ .

(٥) مسكوية : تجارب الامم ١/ ٣٠٧ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٠٩ .

(٦) السوس : بلدة بخوزستان ، يقال ، وجد فيها جد دانيال فدفن فى نهرها تحت الماء ، وغمر قبره.(ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٢/ ٧٥٥) .

وأعد البريدى جيشا آخر بقيادة الجمال - أيضا - عدته ستة الآف [1]، وقيل ثلاثة الآف فقط [2] ، كالجيش الأول . والتقى الفريقان عند نهر تستر [3] ، فتمكن بجكم وجيشه من عبور النهر ، فلما رآهم أصحاب البريدى فروا أمامهم وانهزموا من غير قتال[4] ، فلما علم البريدى ركب ومعه إخوته إحدى السفن الصغيرة ، وأخذوا معهم ثلاثمائة ألف دينار - كانت فى خزائنهم - وتوجهوا إلى حصن الأبلة [5] وأقاموا به ، ودخل بجكم الأهواز وكتب إلى ابن رائق يبشره بالاستيلاء عليها [6] .

ومن الأبلة أرسل أبو عبد الله البريدى إلى ابن رائق عدة مرات يستعطفه ، ويعرض عليه الصلح فلم يجبه [7] وهذا شىء طبيعى لأنه أخذ منه ، الأهواز ، ويطمع بعدها أن يخرجه عن البصرة ، فيأمن جانبه تماما .

وعليه فقد أصر ابن رائق على الخروج بنفسه إلى البصرة لقتال أهلها وإخراج البريدين عنها ، وكتب إلى قائده بجكم ليلحق من الأهواز لنفس الغرض ، فأتاه فيمن عنده من الجند ، وتقدموا جميعا - من واسط -

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٣٥ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٧١ .

(٣) تُسْتَر : تقع شمال الأهواز بحوالى ستين ميلا بخط مستقيم ، والفرس يسمونها (شِوستر أو شوشتر) ، وتحف بها بساتين الأترج والعنب والنخيل ، وهى من أخصب وأطيب وأحصن مدن إقليم خوزستان ، ويصنع بها ثياب حسنة ، (ياقوت : بعجم البلدان ٢/ ٢٩ - ٣١ ، كى لسترنج : بلدان الخلافة ص ٢٦٩) .

(٤) مسكوية ؛ تجارب الأمم ١/ ٣٧١ ، ابن الزثير : الكامل ٨/ ٣٣٥ .

(٥) الأُبُلّة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى مدينة البصرة ، وهى من أقوام مدن البصرة ، ومن جنان الدنيا الثلاث . (ياقوت معجم البلدان ١/ ٧٦ - ٧٨ ، ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ١/ ١٨) .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٧١ ، ٣٧٢ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٠٤ .

(٧) الخضرى : محاضرات ٢/ ٤٠٧ .

وقاتلوا أهل البصرة قتالا شديدا ، فصاح أهل البصرة وشتموا ابن رائق ، فلما رأى بجكم ذلك هالة هذا التصرف من أهل البصرة ، وقال لابن رائق : « ما الذى عملت بهؤلاء القوم حتى أحوجتهم إلى هذا ؟ فقال ابن رائق: والله لا أدرى ! » . وعاد ابن رائق وبجكم إلى معسكرهما بواسط [1] ولعل في رد ابن رائق على بجكم ما يدل على أنه لم يعرف شيئا عن عسف وجور واليه « ابن يزداد » لأهل البصرة ، وهو السبب الرئيسى فى موقف أهل البصرة هذا من أمير الأمراء ابن رائق ، خاصة وقد وعدهم ومناهم البريدى خيرا .

وأما أبو عبد البريدى فإنه تمكن من مغادرة الأبلة إلى عماد الدولة ابن بوية [2] واستجاربه ، وأطمعه فى العراق ، وهون عليه أمر الخليفة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٨/٣٣٦

(٢) أبو الحسن على بن بوية . صاحب بلاد فارس ، وهو أول من ملك من بنى بويه ، وكان عماد الدولة - هذا - سبب سعادة وانتشار صيت البويهيين وكان حليما ، عاقلا ، حسن السياسة والتدبير ، توفى يوم الأحد السادس عشر من جمادى الأولى ، بقرحة فى كليته (سنة ٣٣٨ هـ) ، وقيل (سنة ٣٣٩ هـ) ، بشيراز ، ودفن بها ، عن سبعة وخمسين عاما ، ولم يعقب ، وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة (ابن الزثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/٤٨٢ - ٤٨٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعياد ٣/٣٩٩ ، ٤٠٠ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٥/٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ١١/٢٢١ ، ٢٢٢ ، الزركلى : الأعلام ٤/٢٦٨) .

ويرجع البويهيون فى أصولهم إلى الديلم ، الذين يسكنون الجبال الواقعة فى الجنوب الغربى من بحر قزوين ، فهم مزيج من الإيرانيين والأتراك وغيرهم - وكانت ديانتهم حتى عهد العباسيين الوثنية ، ثم استطاع الزيديون - على يد الحسن بن على الملقب بالأطروس - من تحويلهم إلى المذهب الشيعى . (د/ زيادة : تاريخ الدولة العباسية ص ١٤٦ ، د/ حسن الباشا : دراسات ص ٨٦ ، د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١٨٥ ، ١٨٦) . والبويهيون ثلاثة إخوة (عماد وركن ومعز الدولة) ، أولاد أبى شجاع بن بويه بن قبا خسرو بن تمام بن كوهن (ابن كثير : البداية ١١/٢٢٣) . وقد شاب تاريخهم بعض الغموض، ولكن التاريخ الذى يركن إليه يبدأ من حيث بدأ نبوبوية =

الراضى وأمير أمرائه ابن رائق ، وطلب منه أن يمده بجيش ليستعيد به الأهواز ، فأجاب طلبه وأخرج معه أخيه معز الدولة [١] فى جيش كبير [٢] وبلغ الخبر يحكم بنزولهم أرجان [٣] فسار لحربهم ، ولكن حلت الهزيمة به

= الجندية حتى وصلوا إلى مصاف القادة فى جيش « ما كان بن كالن » . (د/ أحمد رمضان : حضارة الدولة ص ٧٧ ، د/ أحمد صبحى : الزيدية - منشأة المعارف - الأسكندرية سنة ١٩٨٠ م - ص ٢٣١) ، وكان ابتدأ هذه الدولة بشيراز (سنة ٣٢٢ هـ / سنة ٩٣٣) . (على ظريف : مختصر ص ٥٠) ، وذلك أن هؤلاء الإخوة الثلاثة - عماد وركن ومعز الدولة - كانوا يعملون فى خدمة « ما كان بن كالى » فى طبرستان ، فلما تسلط عليه « مرداويج » وضعف أمره ، تحولوا إلى مرداويج لرجحان كفته ، فاستعملهم على البلدان ، ثم نقم عليهم لزيادة نفوذهم ، حيث ملكوا زصفهان وكرمان والرىّ ، والأهواز ، وقاتلهم فتمكن عماد الدولة من الإنتصار عليه ، فعظم أمره والتف الناس حوله ، وأصبح يرقى بآل بويه حتى ملكوا بغداد (سنة ٣٣٤ هـ) . (ابن طباطبا: الفخرى ص ٢٥١ - ٢٥٣ ، ابن كثير : البداية ٢٢٤/١١ ، ابن خلدون : العبر ٤٨٢/٣ - ٤٨٤ ، جرجى زيدان : التمدن ١٩٥/٤ ، د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١٨٦)

(١) أبو الحسن أحمد بن أبى شجاع بن بويه ، ولد (سنة ٣٠٣ هـ) ، وكان يلقب « بمعز الدولة » ، ويقال له « الأقطع » لأنه كان مقطوع اليد اليسرى وبعض أصابع اليمنى فى بعض حروبه مع الأكراد . قيل كان سريع الغضب ، بذئ اللسان ، يكثر سب وشتم وزرائه وغيرهم ، ولكن لما أحس بدنو أجله تاب إلى الله توبة صادقة ، ورد كثيرا من المظالم إلى أصحابها ، وتصدق بأكثر ماله ، وأعتق طائفة كبيرة من مماليكه ، توفى فى الثالث عشر من ربيع الأول ، ببغداد (سنة ٣٥٦ هـ) وعن ثلاثة وخمسين عاما ، وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وإحدى عشر شهرا ويومين . (الهمذانى : تكملة سويدان - بيروت - ٤٠٥/١١ - ٤٠٧ ، ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٥٧٥/٨ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ١٧٤/١ - ١٧٦ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ٢٦٢/١١ - ٢٦٣ ، الزركلى : الأعلام ١٠٥/١) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٣٦/٨ ، د/ إبراهيم الكردى : البويهيون ص ١١٨ .

(٣) أرّجان : من كور فارس ، أنشأها فيروز بن قباذ . وهى مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل وزيتون وفواكه متنوعة ، وهى برية بحرية ، سهلية جبلية . (ياقوت : معجم البلدان ١٤٢/١ - ١٤٤ ، ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٥٢/١) .

لتواصل الأمطار الغزيرة أياما متتالية مما عطل أوتار قسيّ الأتراك فلم يتمكنوا من رميّ النشاب . فعاد بجكم وأقام بالأهواز مدة ثم أعاد الكرة وقاتل أبى عبد الله البريدى ومعز الدولة - حوالى ثلاثة عشر يوما - ، ولكن حلت به الهزيمة أمامها للمرة الثانية ، ففر إلى تستر ومنها توجه إلى واسط ، وارسل محمد بن رائق يعلمه خبره ، ويطلب النفقة للجند ، فحزن ابن رائق وتوجه إلى بغداد ، وأقام بجكم بواسط ، مما مكن البريدى ومعز الدولة من دخول الأهواز بسهولة (سنة ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٧ م)[١] .

والأهواز إقليم هام جدا بالنسبة للعراق وبالنسبة لبلاد فارس ، « فهى دهليز العراق كما هى دهليز فارس » . والذى يملك الأهواز ويستكمل قوته يستطيع أن يسد كل طريق على القوات المقيمة بإقليم فارس ، فوجد سلطة قوية بالأهواز كان معناه سد الطريق على بنى بويه ، ومعنى ذلك إبعادهم عن العراق الذى كان متجه أنظارهم . لذلك فإنهم حين أمدوا البريدى وساعدوه كانوا يخفون نواياهم الحقيقية ، وكانوا يطمعون فى الإستيلاء على الأهواز استيلاءً تاما[٢] .

وعليه فلم يدم الوفاق بين البريديين والبويهيين ، وسرعان ما دب الشقاق بينهما نظراً لطمع كل منهما فى الآخر[٣] فقد كان البريدى ليتوهم أن بنى بويه إنما يساعدونه ثم يرجعون مكتفين بأن يخطب فى البلاد بإسمهم وأن يكتفوا بالتبعية الإسمية ، ولكن اتضح له عكس ذلك وأنهم كانوا ينوون الرستيلاء عليها فعليا[٤] .

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٣٧٩/١ ، ٣٨٠ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ابن كثير : البداية ٢٤٣/١١ .

(٢) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الرسلامى - ص ٣٧٤ .

(٣) الخضرى : محاضرات ٤٠٧/٢ .

(٤) د/ حسن محمود ، والشريف : العالم الإسلامى ص ٣٧٥ .

هذا إلى جانب أن جند بنى بويه من الديلم ، وجند البريدى من الترك ، والشعبان متباغضان فثارت العصبية بينهما ووقع الإحتكاك [١] حتى أن بعض الديلم كانوا لا يتورعون عن إهانة البريدى والإستخفاف به إذا شاهدوه فى الطريق راكبا ، بل وكانوا يزعجونه فى فراشه [٢] .

وقيل أيضا فى سبب الخلاف بينهما ، أن أحمد بن بويه طلب من أبى عبد الله البريدى أن يسير عسكره الذى فى البصرة لمساعدة أخيه الحسن بأصبهان ضد وشكمير بن زيار ، فتردد البريدى وفضل أن يعمل فى ظل حكم ضعيف كحكم الخليفة من أن يعمل تحت إمرة حكام جدد أقوياء [٣] وأقوى هذه الأراء فى الخلاف بينهما السبب الأول ، لأنه يعنى بالنسبة للبريدى ضياعه ، وللبويهيين التمكين .

ويبدو أن أبا عبد الله البريدى خشى على نفسه من البويهيين وأنه لا طاقة له بهم ، ففر إلى البصرة - بعد حوالى خمسة وثلاثون يوما من التعاون المشترك بينهما [٤] واستولى عليها دون مقاومة ، وذلك لأنها كانت بعيدة عن أن تكون موضوعا لطمع أحد من الشخصيات الموجودة فى العراق [٥] إلا ما كان من طمع ابن رائق فيها .

وترتب على ما سبق أن استقر البويهيون بالأهواز ، وأبو عبد الله البريدى بالبصرة ، وبجكم - قائد ابن رائق - بواسط [٦] ، وبدأت

---

(١) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٢) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م ٨/ ٣٤٢ ، د/ إبراهيم الكردى : البويهيون ص ١٢١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨/ ٣٤٢ ، د/ ابراهيم الكردى: البويهيون ص ١٢١ .

(٤) د/ حسن محمود والشريف : العالم الرسلامى ص ٣٧٥ ، د/ سيدة كاشف: مصر فى عهد الإخشيديين ص ٨٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٤٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٤٣ .

مرحلة جديدة من التقـــارب بين ابن رائق والبريدى (سنة ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٧ م)، فقد أرسل ابن رائق رسوله - أبو جعفر بن شيرزاد - إلى البريدى يطلب منه الصلح ، فاستقبله البريدى استقبالا حسنا وأكرمه ، لأنه كان يحمل معه توقيعا من الخليفة الراضى - كما طلب ابن رائق - بالرضا عن البريديين ، بل وأرسلت إليهم الخلع السلطانية أيضا على أن يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ، ويجتهدوا فى فتح الأهواز ، فوافق أبو عبد الله البريدى على الصلح ووعد بحمل ثلاثين ألف دينار شهريا إلى بغداد ، خاصة بعد أن أطلقت لهم ضياعهم [١] وواضح أن الذى دفع ابن رائق لطلب الصلح مع البريديين هو أن يقاتلوا البويهيين ويخرجونهم عن الأهواز ، وسواء نجح البريديون فى ذلك أم لم ينجحوا فإن مجرد القتال بينهما إضعاف لهما ، وهو ما يريده ابن رائق لأن الخطر ، فى هذا الوقت- على إمرته كان منهما ، بجانب انقلاب قائده بجكم عليه فى هذه السنة (سنة ٣٢٦ هـ) .

تحليل لما سبق :

والآن نتسآل : ما الذى استفادته الخلافة مما سبق ؟ لم تستفد شيئا فالمال الذى طُلب من البريدى لم يرسله ، والبصرة أصبحت محل تنافس بين ابن رائق والبريدين ، والجند الذين طلبهم لقتال بن بويه لم يحضرهم أبو عبد الله البريدى ، بل على العكس وضح أنه تعاون مع البويهيين على الخليفة الراضى وأمير أمرائه ابن رائق ، مما يجعلنا نرى من البداية أن هذا النظام - إمرة الأمراء - كان عبئا على الخلافة ولم تستفد الدولة العباسية

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٨٤ ، د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٤٨ .

منه شيئا ، بل إنه كما يقولون : زاد الطين بلة - فقد استدعى الصراع السابق بين ابن رائق ، والبريديين تجهيز الجيوش وإنفاق الأموال الطائلة عليها ، فى الوقت الذى كانت فيه خزنية الدولة تعانى شبح الإفلاس ، فارتفعت الأسعار إرتفاعا فاحشا فى هذه السنة - (سنة ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٧ م) ، مما جعل الناس يكرهون ابن رائق وإمرته [(١)] .

بل واستغل القرامطة الذين كان من طبعهم الغدر والقتل والعبث بالمقدسات الإسلامية [(٢)] ، حالة الإضطراب التى سادت الدولة فى بداية إمرة ابن رائق ، فبعد قيام نظام الإمرة بسنة واحـدة (سنة ٣٢٥ هـ / سنة ٩٣٦م) - قدم أبو طاهر القرمطى إلى الكوفة فدخلها وعاث فيها فسادا [(٣)] فخرج إليه ابن رائق لثلاث خلون من جمادى الآخرة [(٤)] ، حتى نزل بمضربة فى الياسرية [(٥)] فى أحسن عدة وأتمها ، ومع هذا خاف لقاء القرمطى وأرسل إليه رسوله - أبو بكر بن مقاتل - برسالة فيها أنه - ابن رائق - يحمل إليه فى كل سنة طعاما ومالاً قدره مائة وعشرون ألف دينار سنويا إذا دخل فى الطاعة ، [(٦)] فرفض القرمطى ولم يستقر بينهما أمر ، وتوجه ابن رائق إلى واسط [(٧)] ليستردها من البريدى كما سبق .

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ١٠٤ .

(٢) ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٣٠ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٨٨ ، مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٦٧ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٩٣ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٢٨٩ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ٨٨ .

(٥) منسوبة إلى ياسر - إسم رجل - وهى قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى ، تبعد عن بغداد حوالى ميلان ، وفيها بساتين عامرة . (ياقوت : معجم البلدان ٥/ ٤٢٥ ، ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٣/ ١٤٧١) .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٦٧ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٠٧ .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٦٧ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٩٣ .

وأرجح أن يكون أبو طاهر قد قبل المبلغ الذى عرضه عليه ابن رائق لأن القرامطة كان يعنيهم ، إضعاف الخلافة - السيئة - بأيه وسيلة ، وحصولهم على مبلغ كهذا سنويا - مائة وعشرون ألف دينار - يؤثر على خزانة الدولة ، وإلا ما رجع القرمطى وتشجع ابن رائق على التوجه إلى واسط ومنازلة البريديين . ولعل ما يرجح هذا الرأى أنهما .

- القرمطى وابن رائق - فى السنة التالية (سنة ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٧ م) اتفقا على الود والمصادقة [١] لرضاء القـرمطى بالمال المعروض عليه ، وليتفرغ ابن رائق لمواجهة الجبهة التى فتحت عليه فى هذا الوقت ، ألا وهى التعاون بين البريديين والبويهيين عليه .

بجكم يتولى الإمرة (سنة ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٧ م) :

خلال فترة الخلاف السابقة بين ابن رائق وأبى عبد الله البريدى ارتفع نجم قائده بجكم ، خاصة بعد استيلائه على الأهواز ، لذا لا يستعبد أن يكون أتباعه من الأتراك قد التفوا حوله وزينوا له الحصول على الإمرة ، وفى هذا يقول ابن خلدون عن بجكم أثناء إقامته بواسط : « وقد صرف همه إلى الإستيلاء على رتبة ابن رائق ببغداد » [٢] .

وكانت أولى خطوات بجكم فى هذا أن منع مال واسط عن ابن رائق ولم يرسل إليه شيئا منها [٣] ، - مثل البريدى من قبل - وفى المقابل كان ابن رائق قد فقد الثقة فى قائده بجكم لأنه نمى إلى علمه أن ابن مقلة حاول أن يستميله إلى جانبه ليكونا جبهة ضده ، وبالرغم من أن ابن رائق اكتشف مؤامرة ابن مقلة وعاقبه عليها عقابا صارما بقطع يده ، إلا أن اكتشاف المؤامرة لم يمنع من أن تحقق غايتها ، لأن النفوس قد تغيرت من

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ١٠٧ .
(٢) العبر ٣/ ٤٩٥ .
(٣) الخضرى : محاضرات ٢/ ٤٠٧ .

مجرد وجود جو المؤامرة وبالفعل فقد أمير الأمراء وقائده كل منهما ثقته في الآخر [١] .

ولكن ابن رائق كان مضطراً لمساعدة قائده بجكم ، فأرسل إليه - مع أنه فقد الثقة فيه - عليّ بن خلف بن طيّاب معونة له ليسيرا إلى الأهواز ويستردادها من معز الدولة ، ويكون بجكم المتولى على الحرب وعليّ بن خلف على الخراج ، فرفض بجكم [٢] ، فتأكد ابن رائق من انشقاق جبهة بجكم عليه ، فاضطر إلى مصالحة أبي عبد الله البريدى - (سنة ٣٢٦ هـ/ سنة ٩٣٧ م) - والإتفاق معه على بجكم ، فلما علم بجكم بذلك خاف أن يقع بين البريديين في البصرة وابن رائق فى بغداد ، فاستشار أصحابه فيما يفعله ، فأشاروا عليه بأن يبتدئ بأبى عبد الله البريدى ولا يظهر لابن رائق شيئا من العداوة - مؤقتا - حتى يفرغ من البريديين . فقبل بجكم بهذه المشورة وجمع جيشه وسار نحو البصرة ، فأخرج إليه البريدى جيشا عدته عشرة الآف مقاتل بقيادة رجله المعروف - الجمّال- ، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً دارت فيه الدائرة على جيش البريدى فارتاع لذلك . ولم يتتبع بجكم جيش البريدى بل كف عن ملاحقتهم [٣] وبهذا أخطأ البريدى للمرة الثالثة فى تولية الجمّال قائداً لجيشه، فقد سبق أن هزم هذا الرجل أمام بجكم مرتين ، بالرغم من زيادة جيشه عدداً وعدة .

وكانت نية بجكم إذلال البريدى ، ومنع الإتصال بينه وبين ابن رائق، لذا فقد أرسل فى اليوم التالى مباشرة يعتذر إليه مما حدث ، ويقول له : «أنت بدأت وتعرضت بى ، وقد عفوت عنك وعن أصحابك ، ولو تبعتهم لغرق وقتل أكثرهم ، وأنا أصالحك على أن أقلدك واسطا إذا ملكت الحضرة ، وأصاهرك » ، فقبل البريدى عرض بجكم ، وتصالحا على ذلك [٤] .

---

(١) د/ حسن محمود ، الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٧٥ - ٣٧٧ .

(٢) ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٩٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٣٤ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٩٥ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٤٤ .

وكان بجكم وهو بواسط قد كاتبه ابن مقلة أنه قد اتفق مع الخليفة الراضى على أن يقلده إمرة الأمراء [1] ومع أن الراضى تمهل فى هذا الأمر فعلاً إلا أن ابن مقلة أوضح بجكم - على لسان الراضى - أنه قد قلدة الإمراة فعلاً [2] ، فزاد طمع بجكم فى الإمرة ، لذا لجأ إلى الخطوة الثانية فى سبيل الحصول عليها ، وهى أنه كتب إلى ابن رائق يعرفه أنه محا نسبته إليه - وكان يسمى بجكم الرائقى - من أعلامه وسلاحه [3] .

تقدم بجكم من واسط يريد بغداد غرة ذى الحجة (سنة ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٧ م) ، فعمل ابن رائق على الإستعداد لمقاتلته ، وطلب من الخليفة الراضى أن يكتب إليه يأمره بالعودة إلى واسط ، فكتب الراضى كتابا بهذا الغرض - وسيره إليه - مع ابن سوخاب - فلما قرأة بجكم ألقاه عن يده ، وواصل السير حتى نزل شرقى نهر ديالى [4] فى أكمل عدة ، ممنيا نفسه بالحصول على الإمرة [5] .

وكان أصحاب ابن رائق غرب النهر ، فألقى بعض أصحاب بجكم بأنفسهم فى الماء ، فخاف أصحاب ابن رائق وولوا منهزمين ، وعبر بقية أصحاب بجكم ويمموا وجههم شطر بغداد ، فخرج ابن رائق عنها إلى عكبرا [6] ، ودخل بجكم بغداد فى الثالث

عشر من ذى الحجة (سنة ٣٢٦ هـ / سنة ٩٣٧ م) - ، ولقى

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٤٧/٨ . (٢) ابن خلدون : العبر ٤٩٦/٣ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٣٩٤/١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٤٧/٨ ، ابن خلدون : العبر ٤٩٥/٣ .

(٤) نهر ديال : يبدأ من النهر وان ، ويمر بقرى وضياع ويصب فى دجلة ، أسفل بغداد بثلاثة أميال . (كمى لسترنج : بلدان الخلافة ص ٨٣) .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٣٩٥/١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٤٨/٨ ، ابن خلدون : العبر ٤٩٦/٣ .

(٦) عُكْبَرا : بليدة من ناحية دجيل ، تقع على الجانب الشرقى على شاطئ دجلة ، خربت وتفرق أهلها ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٩٥٣/٢) .

الراضى فى اليوم التالى فخلع عليه وجعله أمير الأمراء [1] وعقد له لواء، فقال بجكم للخليفة الراضى : « يا مولاى ما أريد إلا أن تزاح علتى فى أرزاق أصحابى وقت استحقاقهم » ، ونزل بجكم بمن معه فى دار مؤنس الخادم[2] وكتب بجكم كتابا على لسان الراضى إلى القواد الذين مع ابن رائق يأمرهم بالرجوع إلى بغداد فاستجاب أكثرهم ورجعوا [3] وأما ابن رائق فإنه استطاع دخول بغداد سراً واستتر بها [4] وقيل إنه لما رجع كان قد حاول دخول دار السلطان فغلقت الأبواب دونه ، فتوجه إلى داره وحمل ما قدر عليه من المال والمتاع ، ثم اختفى أثره [5] ، وكانت إمرته سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوما [6] على أنه تولى فى المحرم(سنة ٣٢٤ هـ)، وليس فى ذى الحجة .

وبعد شهرين من إمرة بجكم زاد فى نفقات أصحابه ، حتى حصل البعض منهم على عشرين ألف دينار فى السنة أو أكثر [7] فشح المال ، وغلت الأسعار ، وعاث العامة فى بغداد فساداً ، وكثرت المصادرات ، وتفاقم شر اللصوص الذين كانوا يهجمون على الدور ليلا فيقتلون وينهبون، وعلى الجملة ساءت حاله بغداد جداً مع بداية إمرة بجكم [8] .

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٤٨ .

(٢) الصولى : أخبار الراضى ص ١٠٦ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٩٦ ، ابن الأثير :الكامل ٨/ ٣٤٨ ،ابن خلدون: العبر ٣/ ٤٩٦ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٣٩٦ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٢ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ١٠٦ .

(٦) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣١٦ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٤٣ .

(٧) الصولى : أخبار الراضى ص ١٠٧ .

(٨) الصولى : أخبار الراضى ص ١٣٣ ، ١٣٦ - ١٣٩ ، د/ حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ٢٨ .

العلاقة بين بجكم والبويهيين :

ظهر مما سبق أن البويهيين كانوا يطعمون فى الإستيلاء على العراق وما جاورها ، لذا فقد انتهز وكن الدولة [1] فرصة إغارة البريدى على السوس وقتله أحد قواد الديلم ، وتذرع بالقدوم للإستيلاء على واسط - تمهيدا لدخول بغداد - وكان معز الدولة بالأهواز فخاف أن يسير إليه أبو عبد الله البريدى من البصرة ، فكتب إلى أخيه ركن الدولة يستمده - وكان بباب إصطخر [2] - ، فلما أتاه كتابه سار إليه حتى وصل السوس ، ومنها توجه إلى واسط بغية الإستيلاء عليها فنزل بالجانب الشرقى منها ، وكان البريديون بالجانب الغربى [3] .

وهنا أدرك أبو عبد البريدى أنه فى حاجة إلى قوة تساعده على التصدى للبويهيين ، فكتب إلى أمير الأمراء بجكم يستنجد به ، فأجابه بجكم وخرج ومعه الخليفة - الراضى - والجيش إلى واسط - يوم الأحد السابع عشر من شعبان (سنة ٣٢٧ هـ / سنة ٩٣٨ م) [4] . فاضطرب حال البويهيين ، واستأمن منعم نحو مائة رجل إلى أبى عبد الله البريدى - خاصة وأنهم لم يأخذوا نفقتهم سنة كاملة - فخاف ركن الدولة أن يستأمن

---

(١) أبو على الحسن بن بويه ، ولد -تقريبا - (سنة ٢٨٤ هـ) ، وكان صاحب أصبهان والرىّ وهمذان . وهو أوسط إخوته الثلاثة - عماد ومعز - تميز بالحلم ، والكرم، وحسن السياسة ، واستوزر أبا الفضل بن العميد ، ثم ابنه أبا الفتح ، توفى بالرىّ ليلة السبت الثامن عشر من المحرم (سنة ٣٦٦ هـ) ، عن ثمان وسبعين سنة . (ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/١١٨ ، ١١٩ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ١١/٢٨٨ ، الزركلى : الأعلام ٢/١٨٧) .

(٢) أحد أبواب مدينة شيراز (كى لسترنج : بلدان الخلافة ص ٢٨٦)

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٦٠ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ١٣٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٠٠ .

بقية رجاله ، أو يفكر بعضهم فى الإنقلاب عليه ، فقرر الرجوع عن واسط إلى الأهواز ، ومنها إلى رامهرمز [١] ولم يلتق بجكم [٢] .

وعليه فقد رجع الخليفة الراضى إلى بغداد آخر شعبان ، ثم لحق به أمير أمرائه بجكم الثامن من رمضان [٣] ومما سبق يتضح أن البويهيين - حقًا - كانوا لا يضيعون أية فرصة تواتيهم فى التقدم نحو بلاد العراق ، وظلوا هكذا حتى واتتهم الفرصة الكبرى وحققوا غرضهم هذا فى خلافة المستكفى ، كما سيأتى فى الفصل الأخير - إن شاء الله .

علاقة بجكم بالحمدانيين [٤] :

يبدو أن الأحداث السابقة - من ضعف بغداد ، وغلاء الأسعار فيها ، وزيادة بجكم فى نفقات جنده ، كل هذا جعله يحاول الحصول

---

(١) رامَهُرْمُز : مدينة مشهورة بنواحى خوزستان . (ابن عبد الحق : مراصد الإصلاح ٥٩٧/٢) . وهى على مسيرة ثلاثة أيام من شرق الأهواز ، وسميت بذلك نسبة إلى الملك « هُرْمُز » ، حفيد أردشير بابكان . (كى لسترنج : بلدان الخلافة ص ٢٧٨) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٦٠/٨ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٤) نيسبور إلى حمدان مؤسس هذه الأسرة ورأس بنى تغلب ، الذى استطاع أن يستولى على ماردين فى الجزيرة عن طريق التحالف مع الخوارج . وعلى الرغم من أنه وقع آنذاك أسير فى يد الخليفة المكتفى ، فقد حظى بعفو هذا الأخير عنه بعد أن هزم ابنه الحسين الخوارج (بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٤١ ، د/ الشكعة : سيف الدولة ص ٢٩ - ٣١) . وفى (سنة ٢٩٣ هـ) عين أبو الهيجاء - عبد الله بن حمدان - أميرًا على الموصل من قبل المقتدر ، وظل يحكمها بقية حياته ، ويساعده فى ذلك ابنه الحسن - ناصر الدولة - حتى توفى (سنة ٣١٤ هـ) ، فلم يلبث الحسن أن بسط سلطانه على الجزيرة كلها وشمال سوريا . (ابن خلدون : العبر ٣٤٦/٣ ، ٣٤٧ ، بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢٤١ د/ الشكعة : سيف الدولة ص ٤٣ - ٤٥ ، سعيد الديوه : تاريخ الموصل - المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٨٢ م - ٩١/١) . وقد سعى عمه سعيد ابن حمدان للإستيلاء على الموصل بعد ذلك ، ولكن الحسن استعمل معه الحيلة حتى قتله ، فأصبح له الولاية المطلقة على هذه البلاد ، وتلقب « بناصر الدولة » (د/ الشكعة : سيف الدولة ص ٤٥) .

على المال بأيه وسيلة ، ووجد ضالته هذه فى ناصر الدولة الحمدانى [١] نائب الموصل ، والذى منع وصول الأموال المقررة عليه (سنة ٣٢٧ هـ / سنة ٩٣٨) [٢] وقيل كان يريد بذلك إحـــداث الفوضى فى الدولة العباسية ، لأنه- غالبًا - كان يمنع المال المقرر عليه فى الوقت الذى يعرف فيه شدة حاجة الخليفة - وأمير أمرائه - إليه ، لإنفاقه فى الجند الذين ثاروا يطلبونه، ومتى علم أن الخليفة قد سد حاجتهم وأمن شرهم بادر بإرسال المال إليه [٣] وهذا راجع لنزعته الشيعية ، فهو يريد بذلك - على الأقل - إحراج الخلافة السنية .

وقيل أيضا فى أسباب الخروج إليه - ناصر الدولة - أنه كان قد استولى على أملاك الناس بديار ربيعة [٤] وكالعادة خرج إليه بجكم بالجيش ومعه الخليفة الراضى ، فلما وصلوا تكريت [٥] أقام بها الراضى، وتقدم بجكم بالجيش للقاء ناصر الدولة بالموصل ، بالكحيل [٦] .

---

(١) أبو محمد الحسن بن أبى الهيجاء ، صاحب الموصل وما والاها ، بعد أن كان نائب بها عن أبيه ، وهو أكبر سنا من أخيه « سيف الدولة » ، وكان يحبه حبا شديدًا ، حتى أنه لما توفى سيف (سنة ٣٥٦ هـ) تغيرت أخلاق ناصر وضعف علته حزنًا عليه ، حتى قبض عليه ابنه أبو تغلب - المعروف بالغضنفر - وبحنه فى قلعة كواشى - يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من جمادى الأولى (سنة ٣٥٦ هـ) ، ولم يزل محبوسا حتى توفى يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول (سنة ٣٥٧ هـ) وقيل (سنة ٣٥٨ هـ) ، ونقل إلى الموصل ودفن بها ، وكانت إمارته اثنتين وثلاثين سنة ، وكان شجاعا مظفرا ، عارفا بالسياسة والحروب . (ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٢/١١٤ - ١١٧ ، الزركلى : أعلام - ٢/١٩٥) .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ١/٤٠٥ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٣٥٣ ، ابن خلدون : العبد ٣/٤٩٦ .

(٣) سعيد الديوه : تاريخ الموصل ١/١٠٧ . (٤) نفس المرجع السابق .

(٥) تكريت : بلد مشهور بين بغداد والموصل ، وبينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا ، فى غربى دجلة ، وبها قلعة حصينة ، وهى من بناء « سابور بن أردشير » وفتحت فى خلافة عمر - ﷺ - (سنة ١٦ هـ) (ياقوت : معجم البلدان ٢/٣٨ ، ٣٩ ، ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ١/٢٦٨) .

(٨) ابن الأثير : الكامل ٨/٣٥٣ ، ابن خلدون : العبر ٣/٤٩٦ . والكُحَيْل : قرية تحت الموصل ، على شاطئ دجلة الغربي ، مقابل مدينة الحديثة ، وكان بها يوم للعرب . (ابن الحق : مراصد ٣/ ١١٥٠) .

وقيل إنه أثناء تقدم بجكم نحو الموصل كان قد قابلته زواريق محملة بالدقيق والشعير هدية من ناصر الدولة إلى الخليفة الراضي - المقيم بتكريت - ، فأخذها بجكم وفرقها في حاشيته وجنده ، وواصل السير حتى التقى بالحمدانيين بالكحيل[1] وكان إرسال هذه الزواريق المحملة بالدقيق والشعير ، لإظهار الطاعة فقط ، ومحاولة ناصر الدولة التقرب إلى الخليفة الراضي[2] ، وربما كان دافع بجكم - أمير الأمراء - لأخذها خوفه أن يكون وراء هذه الهدايا مراسلات بين الراضي والحمدانيين ، لذا حجبها عنه واستأثر بها لجنده وحاشيته ليكونوا أكثر ولاءً له ، وإن كان في تصرف بجكم هذا ما يدل على عدم ولاءه للخليفة الراضي .

وفي الكحيل دار قتال شديد بين الفريقين إنهزم بجكم في بدايته وأُسر أحد قواده - أبو حامد الطالقاني - ، فما كان من بجكم إلا أن حمل حملة صادقة من ابن حمدان وجيشه تمكن فيها من إلحاق الهزيمة بهم في الرابع من المحرم (سنة ٣٢٧ هـ سنة ٩٣٨ م) ، ففروا إلى آمد[3] فتبعهم بجكم حتى نصيبين[4] وأقام بها ، ومنها أرسل إلى الخليفة الراضي يبشره بالنصر على الحمدانيين[5] .

ولما ورد كتابه على الراضي بتكريت صارعنها يريد الموصل ، فطالبه

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٤٠٥ ، الهمذاني : تكملة ١١/ ٣١٧ .

(٢) سعيد الديوه : تاريخ الموصل ١/ ١٠٧ .

(٣) آمِد : لفظة رومية ، وهي بلد قديم حصين في أعالي دجلة ، وهي من أكبر مدن ديار بكر ، وفي وسطها جامع ، ولأسوارها خمسة أبواب ، وقيل إنها مستديرة كالهلال . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ١/ ٦ ، كي لسترنج : بلدان الخلافة ص ١١٤ ، ١٤٠) .

(٤) نصِيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام ،وهي كثيرة المياة ، وبها جامع حسن العمارة (ياقوت : معجم البلدان ٥/ ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٣/ ١٣٧٤) .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٤٠٥ ، الهمذاني : تكملة ١١/ ٣١٧ .

القرامطة بأموالهم المقررة وأظهروا التضجر وطالبوا بزيادتها ، فاعتذر إليهم بقلة النفقة التى معه ، فانصرفوا مغضبين إلى داخل بغداد -- وقيل إن هذا كان بمراسلة محمد بن رائق لهم من داخل بغداد[1] . وهكذا

كان القرامطة يستفيدون من معظم أطراف الصراع - خاصة وقت الإضطرابات - يحالفون هذا ليدفع إليهم - إتقاءً لشرهم - ثم ينقلبون عليه إلى الآخر - كما حدث من ترددهم بين الخليفة الراضى ومحمد بن رائق المستتر فى بغداد - فزاد خطرهم وعاثوا فى الأرض فسادا .

وفى نفس الوقت الذى طالب فيه القرامطة بالمال كان قد ظهر محمد بن رائق ببغداد - مما يؤكد وجود صلة وتنسيق بينه وبين القرامطة ، فأرسل الخليفة الراضى إلى أمير أمرائه بجكم ليتــدارك الموقف قبل استفحال خطره ، فجاء بجكم إلى الموصل وقاتل أهلها قتالاً شديدا ، وأحرق عدة مواضع منها[2] ، ثم ذهب من فوره إلى بغداد خوفا من إستيلاء ابن رائق عليها .

ولما بلغ الحسن الحمدانى انصراف بجكم عن نصيبين صار إليها ودخلها ، ففر عنها من كان خلفهم ممن كان يحكمها من القواد والجند ، فى الوقت الذى أخذ فيه أصحاب بجكم يتسللون أيضا من الموصل إلى بغداد، مما زاد من اضطراب بجكم وتحرج موقفه[3] .

كل هذا ولم يعرف ابن حمدان ببداية رجوع بجكم عن الموصل ، فأرسل إلى بجكم بأبى أحمد الطالقانى - الذى كان قد وقع فى أسره أثناء القتال - يطلب الصلح ، ويعد أن يدفع خمسمائة ألف درهم معجلة

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ١/٤٠٥ .

(٢) الهمذانى : تكملة ١١/٣١٧ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٣٥٣ ، ابن خلدون : العبر ٣/٤٩٧ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ١/٤٠٦ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٣٥٤ .

ضمانا لإمارة الموصل ، ففرح بجكم بهذا العرض [1] خاصة وقد كان فكر تسليم الموصل للحمدانى ، والرجوع إلى بغداد لطرد ابن رائق عنها .

وركب بجكم من وقته مسرعًا إلى الخليفة الراضى بواسط يعرفه بعرض ابن حمدان ورغبته فى الصلح ، فامتنع الخليفة الراضى ورفض هذا الصلح بشدة [2] ، لأنه لم يكن غرضه المال - هذا كان غرض بجكم - وإنما غرضه إخراج الحمدانيين عن الموصل نهائيا [3] وأصر على موقفه هذا، فأوضح له بجكم أن الصواب إجابته إلى الصلح الآن ، والإنحدار إلى بغداد لطرد ابن رائق عنها فوافقه على مضض ، عاد الطالقانى إلى ابن حمدان بالموافقة على الصلح ومعه الخلع واللواء ، فقبلها ابن حمدان وأرسل المال الذى وعد به - خمسمائة ألف درهم - [4] وزادة فى توثيق واصر الصداقة بين بجكم وابن حمدان تصاهرا وتزوج بجكم من ابنة الحسن الحمدانى [5] ويبدوا أن من أراد أن يأمن جانب الآخر كان يصاهره كما سيأتى - إن شاء الله فى مصاهرة بجكم لأبى عبد الله البريدى أيضا .

ويتضح مما سبق أن الخليفة - وكل الخلفاء فى ظل الإمرة - كان دمية فى يد أمير الأمراء بجكم كيفما شاء ، فقد حرضه على الخروج إلى ابن حمدان ، ثم لما عرض ابن حمدان الصلح رفضه الراضى فى البداية ، ولكن نظراً لضغط بجكم عليه عاد وقبله ، مما يؤكد ما سبق من الحديث عن ضعف الخلافة فى ظل الإمرة ، وأنها أصبحت إسمية فقط .

طرد ابن رائق عن بغداد (سنة ٣٢٧ هـ / سنة ٩٣٨ م) :

سبق أن ابن رائق اشتغل خروج الراضى وأمير الأمراء بجكم إلى

---

(١) الهمذانى : تكملة ٣١٧/١١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٥٤/٨ ، ابن خلدون : العبر ٤٩٧/٣ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٤٠٦/١ .

(٣) سعيد الديوه : تاريخ الموصل ١٠٩/١ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٤٠٦/١ .

(٥) الهمذانى : تكملة ٣١٧/١١ .

الموصل لحمل الحسن الحمدانى على دفع الأموال المتأخرة عليه وظهر من استتارة ببغداد ، فانضم إليه ثلاثمائة من القرامطة [١] وقيل ألفًا [٢] فقوى بهم وتمكن من الاستيلاء على بغداد ، فزاد أتباعه وانضم إليه جماعة من الجند ، والحجرية وخلق من العامة ، وقالوا له : « نحن نقاتل بين يديك » ، فأعطى بعضهم خمسة دراهم ، والبعض الآخر ثلاثة [٣] تشجيعا لهم ، وتقدم إلى دار السلطان فلم يتعرض لهـا ، وكتب بالأمان لمن فيها [٤] ، ومنها توجه إلى دار مؤنس الخادم - مسكن أمير الأمراء بجكم - فقاتله « تكنيك » - أحد قواد بجكم الذين خلفهم ببغداد - فهزمه ابن رائق وملك الدار ، ثم أقبل محمد بن ينال من واسط فى أربعة الآف من الأتراك والديلم لدفع ابن رائق عن بغداد فهزمه أيضًا [٥] و، وساءت حالة بغداد جدًا فى هذا الوقت ، يقول ابن كثير [٦] : « فدخل - ابن رائق - بغداد فأكثر فيها الفساد » وفى هذا الوقت كان الخليفة الراضى بجكم قد رحلا عن واسط وتقدما نحو بغداد ، فأرسل إليهما ابن رائق أبا جعفر بن شيرزاد يطلب الصلح والعفو عما جنى ، على أن يقلد طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين وحران والرها والعواصم ، فأجاباه إلى ذلك [٧] .

وكان دافع الراضى لقبول الصلح - بالتأكيد بعد موافقة بجكم وإلا ما تم هذا الصلح - مع ابن رائق عجزه عن تدبير أرزاق الجند ونفقاته ، كما أنه أراد أن يكفل الإستقرار لدولته ولمدينة بغداد [٨] وكذلك لأن ابن رائق

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٤٠٩/١ .

(٢) الصولى : أخبار الراضى ص ١١٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ٢٩٦/٦ ، ابن كثير : البداية ٢٤٤/١١ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٤٠٩/١ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٤٠٩/١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٥٣/٨ ، ابن كثير البداية ٢٤٤/١١ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ١٢٠ ، مسكوية : تجارب الامم ٤٠٩/١ .

(٦) البداية ٢٤٤/١١ .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٤٠٩/١ ، ابن خلدون ٤٩٧/٣ .

(٨) د/ الفقى : الدولة العباسية ص ٢٢٥ .

عرض الخروج عن بغداد وبالفعل أرسل إلى ابن رائق جواب ما طلب ، فخرج عن بغداد إلى ولايته[1] ، يقولى الصولى[2] : « فسكن البلد بعد افتتان عظيم » ودخل الراضى وبجكم بغداد يوم السبت التاسع من ربيع الأول (سنة ٣٢٧ هـ / سنة ٩٣٨ م)[3] ، ففرح أهلهـــا واستبشروا خيرا[4].

وهكذا أكدته هذه السنة (٣٢٧ هـ / سنة ٩٣٨ م) - ضعف الخلافة وحاضرتها ،والسبب الرئيسى فى هذا التنافس على منصب أمير الأمراء بين بجكم ومحمد ابن رائق ، حتى أنه ورد فى هذه السنة وفد الحاج من خراسان فمنعهم بجكم خوفا عليهم من القرامطة[5] ولم يتمكن الناس فى هذه السنة من تأدية فريضهم إلا لما تدخل أبو على محمد بن يحيى العلوى لدى القرامطة فى البحرين[6] وكانوا يحبونه لشجاعته وكرمه

(١) الهمذانى : تكملة ١١/٣١٨ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٥٤ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٤٤ .

(٢) أخبار الراضى ص ١٢١ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٤٠٩ .

(٤) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٤٤ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ١٣٦ .

(٦) كان قد جاء إلى القطيف بالبحرين ـ سنة ٨١ هـ / سنة ٧٠٠ م) رجل تسمى « يحيى بن المهدى » ، وزعم أنه رسول من المهدى ، وأنه قد قرب خروجه ، ونزل على علىّ ابن المعلّى - وكان من المعروفين بالتشيع فى القطيف - فجمع له الشيعة وأقرأهم كتاب المهدى ليشيع الخبر فى سائر قرى البحرين فأجابوه . ثم غاب عنهم مدة ورجع بكتاب على لسان المهدى يشكرهم فيه على إجابتهم ، ويأمرهم بدفع المال إليه ، وبعد ذلك أظهر أبو سعيد الجنابى الدعوة فى البحرين (سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م) ، فاجتمع إليه القرامطة وكثير من الأعراب فقتل واستباح ، ثم توجه إلى البصرة ورجع عنها إلى هجر فملكها ، ثم عاد إلى البصرة ثانية . (ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٣٠) .

- وسألهم أن يأذنوا للحجيج ، وأن يكون لهم على كل جمل خمسة دنانير ، وعلى المحمل سبعة ، فوافقوا وخرج الناس فى هذه السنة على هذا الشرط[1] وهى أول سنة مكس فيها الحاج[2] .

وبذلك أصبحت الخلافة العباسية عاجزة عن حماية رعاياها من المسلمين ، وتأمين طريقهم إلى بلاد الحجاز ، ولا شك أن ظهورها بهذا المظهر يضعف هيبتها أمام العالم الإسلامى ، وهو ما كان يرجوه ويعمل من أجله أبو طاهر القرمطى ليمهد السبيل أمام أنصاره الفاطميين[3] .

علاقة بجكم بالبريديين :

أما بالنسبة للعلاقة بين بجكم والبريديين فكانت فى بدايتها ، ففى بداية إمرة بجكم (سنة ٣٢٧ هـ / سنة ٩٣٨ م) أطلق أبو عبد الله البريدى سراح الطالقانى - من أصحاب بجكم وخاصته ، وكان أسيراً عنده ، على أن يكون بادرة للصلح بينهما ، فقبل بجكم بذلك[4] ، وعرض بدوره الأمر على الخليفة الراضى فقبله أيضا ، وقال : « لقد أنفقت منذ عزمت على الحركة - الخروج لتأديب البريد - إلى وقتى هذا مائة ألف دينار »[5] ، ففى الصلح توفير لهذه الأموال . وبالفعل أرسل أبو جعفر بن شيرزاد فى الصلح بينهما على أن يضمن أبو عبد الله البريدى بلاد واسط وأعمالها بستمائة ألف دينار سنويا[6] .

وكان بجكم قد استوزر أبو جعفر بن شيرزاد ، فسعى ابن شيرزاد فى

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ٢٩٦/٦ ، ابن كثير : البداية ٢٤٤/١١ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ٢٩٦/٦ .

(٣) د/ محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب - دار الفكر العربى - ط (٤) سنة ١٩٦٤ م - ص ٣٧ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ١٢٩ .

(٥) نفس المصدر السابق .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٤٠٩/١ الهمذانى تكملة ٣١٨/١١ ، ابن كثير البداية ٢٤٧/١١ .

الوزارة لأبى عبد الله البريدى [1] لاقتناعه بأنها اسمية فقط ، فيظهر أنه لا يتطلع إلى المناصب القيادية فيأمن على نفسه من جهة وفى ذات يبدو وكأنه ممن يحاولون التقريب بين بجكم والبريدى من جهة أخرى .

فقبل بجكم وأرسل إلى البريدى يخبره برضاء الخليفة الراضى عنه ، وأنه قلده الوزارة ، فامتنع من تقلدها [2] ، وأرسل إلى الخليفة الراضى يعتذر عن تقلدها بقوله : « لو سست بعض دواب الخليفة لشرفت بذلك، فكيف بكتبته ؟ ولكنى بعيد عنه ، ولا يحسن لى أثر عنده ، لغلبة مَنْ قد غلب على الأمر ، وأخاف أن ينسبنى إلى عجز وتقصير ، فإن أمنت هذا منه فأنا عبده يفعل بى ما شاء » [3] ، ويتضح من كلام البريدى ما يؤكد ضعف الوزارة وأنها لا قيمة لها ولا لمن يقولاها ، وأن تصريف أمور الدولة فى يد أمير الأمراء ، لذا أعرض عنها فى البداية ، ثم عاد وقبلها بعد ذلك لما عرضت عليه فى شهر رجب من السنة نفسها(سنة ٣٢٧ هـ / سنة ٩٣٨ م) [4] وربما كان قبوله لها لإلحاح بجكم عليه فى هذا الأمر ولاقتناعه بفقدان الوزارة لأهميتها - فى ظل إمرة الأمراء - فقد بقى فى واسط ، وأرسل عبد الله بن على البصرى إلى بغداد ليتولاها نيابة عنه [5] ويغلب على الظن أن إلحاح بجكم - بموافقة الخليفة الراضى - على البريدى لقبول الوزارة ، كان محاولة منهما لاسترضائه فقط ليداوم على حمل أموال واسط لحاجة الخلافة إليها . وكذلك حتى لا يفكر فى الخروج عليهما خاصة وأنه كان متقلبا يخضع للأقوى ، ويعاهد ويعمل تحت ظل من يرى فيه مصلحته الشخصية ، فإذا ما نال غرضه نقض عهده ، والدليل على ذلك ما حدث منه فى إمرة محمد بن رائق السابقة .

---

(١) الهمذانى : تكملة ٣١٨/١١ ، ابن خلدون : العبر ٤٩٧/٣ .
(٢) الهمذانى : تكملة ٣١٨/١١ .
(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ١٣٤ .
(٤) الهمذانى : تكملة ٣١٨/١١ .
(٥) ابن خلدون : العبر ٤٩٧/٣ .

وفى محاولة من الراضى وبجكم لتوثيق روابط المودة مع البريدى ، فقد أرسل بجكم إلى البريدى يعلمه - للمرة الثانية - برضاء الخليفة عن البريديين تماما ، وأرسل له بهدية كبيرة - بموافقة الراضى - من فاخر الثياب - تصل إلى خمسين ثوبا - وعليها الديباج ، ومثلها من الخز ، وعشرة من الخيول بمراكبها ، فرد عليه البريدى بهدية تماثلها [1] .

وزيادة من بجكم - على وجه الخصوص - فى توثيق أواصر الصداقة مع وزيره - الإسمى - أبى عبد الله البريدى - فقد صاهره فى نفس السنة (سنة ٣٢٧ هـ / سنة ٩٣٨ م) ، وتزوج بجكم من « سارة » ابنة البريدى بحضور الخليفة الراضى، على صداق قدره مائة ألف درهم [2] وقيل مائتى ألف درهم [3] ، وأصبحا بهذه المصاهرة متضامنين فى كل شىء [4] .

وظل هذا الجو الوادى الخالى من التقلبات مستمرا بينهما إلى آخر سنة (سنة ٣٢٨ هـ / سنة ٩٣٩ م) ، فدبت فى الحياة الآمال من جديد بعد أن تمتع الناس بالأمن والإستقرار ، وأخذ بجكم والبريدى يفكران فيما وراء العراق [5] ، وبالفعل أرسل أبو عبد الله البريدى إلى بجكم (سنة ٣٢٨ هـ) يشير عليه بالاستيلاء على بلاد الأهواز ، واسترجاعها من بن بويه [6] ، وكانت خطتهما فى ذلك أن يخرج بجكم من بغداد إلى خانقين ومنها إلى حلوان ثم إلى نواحى الجبل ، وأما البريدى فيخرج مباشرة من واسط إلى الأهواز ، لأخذها من البويهيين [7] والغرض الظاهر أشغال

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ١٣٣ .

(٢) الهمذانى : تكملة الأمم ١١/ ٣٢٠

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٤١٠ ، ابن الجوزى : المنظلم ٦/ ٣٠٠.

(٤) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٢٧٧ .

(٥) نفس المرجع السابق .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ١/٤١١ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٦١ .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ١/٤١١ ، ٤١٢ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٦١ ، ابن خلدون : العبر ٣/٤٩٨ ، د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٢٧٨.

البويهيين من جهتين ولكن كان البريدى يرمى إلى غرض آخر يتعلق به ، قال عنه ابن كثير [1] :

« وكان مقصوده البريدى - أن يبعده - بجكم - عن بغداد ليأخذها منه » .

ومن هنا انقلبت العلاقة الودية - المؤكدة بالمصاهرة - إلى علاقة عدائية ، فقد أرسل بجكم - بعد الإتفاق على الخطة - خمسمائة رجل من أصحابه معونة للبريدى ، الذى سيتوجه مباشرة إلى الأهواز ومن بين هؤلاء صاحبه أبو زكرياء السوسى . وكان بجكم قد خرج من بغداد إلى حلون ، فأخذ أبو زكرياء يحث البريدى على الخروج شهراً ، وهو يتعلل بحجج واهية - كقلة النفقة والزاد ، منتظراً أن تدور الدائرة على بجكم فيهزم أ يقتل فيستولى هو على الإمرة [2] ويحوز أموال بجكم الكثيرة التى كانت حديث الناس فى بغداد ، ويعود بها إلى واسط [3] .

ولما اتضح لأبى زكرياء قصده أرسل إلى بجكم يحذره منه ، فعاد بجكم مسرعا إلى بغداد وخلف جيشه ورائه [4] وهنا أسقط فى يد البريدى وعلم أن بجكم لن يغفر له هذا التصرف ، فأرسل إليه من يعمل على إزالة هذه الوحشة - بعد الود والمصادقة - ولكن بجكم رفض لفقده ثقته فيه [5] ويعدها بأيام - فى ذى القعدة (سنة ٣٢٨ هـ / سنة ٩٣٩ م) عزل بجكم البريدى عن الوزارة - الإسمية - وولى مكانه أبا القاسم بن سليمان بن الحسين ابن مخلد [6] وكانت وزارته سـنة وأربعة أشهر وأربعة عشر

---

(١) البداية ١١/ ٢٤٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٦١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٩٨ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٤١٢ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٦٢ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ١/ ٤١٢ ، ٤١٣ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٢١ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٠١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٤٩٨ .

يوما [1] وقبض بجكم على ابن شيرزاد لأنه كان الساعي في الصلح بينهما ، وهو الذي حثه على استيزاره [2] وصودر ابن شيرزاد عن نفسه وكتابه وعماله على مائة ألف وخمسين ألف دينار [3] .

وتجهيز بجكم للخروج إلى واسط لتأديب البريدي في آخر ذي الحجة (سنة ٣٢٨ هـ / سنة ٩٣٩ م) ، فخرج عنها البريدي إلى البصرة ، فاستولى عليها بجكم وتوجه نحو البصرة فلم يجد بها أحدًا فاستولى عليها أيضا [4] وهرب البريدي عنها إلى غيرها ، كما قال ابن كثير [5] . والراجح أن البريدي اختفى في أجد جوانب مدينة البصرة ، كما اختفى ابن رائق من قبل في بغداد . وربما كان الدليل على ذلك أن بجكم خلف بالبصرة بعض جنوده ، ولكن قاتلهم أهلها - وأرجح بمساعدة البريديين - فانهزموا وعادوا أدراجهم إلى بغداد [6] .

وكالعادة وعقب كل خروج على الخليفة وأمير أمرائه ، وأثناء خروجهما لتأديب من سولت له نفسه الخروج عليهما ، يبدأ الإضطراب والفساد في بغداد ، فيذكر الصولي في حوادث (سنة ٣٢٨ هـ / سنة ٩٣٩ م) : « واشتد أمر اللصوص وكبسهم الدور بالعدة والعدد [7] » ، وشح المال وعدم القوت ، واشتد الغلاء ببغداد حتى بلغ الكرُّ [8] من

---

(١) الهمذاني : تكملة ٣٢١/١١ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم ٣٠١/٦ ، ابن الأثير : الكامل ٣٦٣/٨ ، ابن خلدون : العبر ٤٩٨/٣ .

(٣) الصولي : أخبار الراضي ص ١٤٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٦٣/٨ ، ابن كثير : البداية ٢٤٧/١١ ، ابن خلدون : العبر ٤٩٨/٣ .

(٥) البداية ٢٤٧/١١ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٣٦٣/٨ .

(٧) أخبار الراضي ص ١٣٩ .

(٨) الكرُّ : مكيال يساوي خمسة وعشرون رطلا . (علي بن ظافر : أخبار الدول ص ٢٤٢) .

الدقيق مائة وثلاثين ديناراً ، وأكل الناس الحشيش من شدة الجوع ، وكثر الموتى حتى كان يدفن فى القبر الواحد جماعة من غير غسل ولا صلاة.[١] وهذا بسبب انتشار بعض الأوباء والأمراض التى تكثر فى مثل هذه الظروف من انتشار بعض الجثث للآدميين والحيوانات فى الشوارع والطرقات .

وكذلك استغل القرامطة هذه الحال المضطربة فى بغداد ، فقد قدم رسول القرمطى مع عمر بن يحيى العلوى يطالب بالضريبة السنوية - والتى تقدر بعشرين ألف دينار - حتى يحج الناس بسلام ، ولما كان بيت المال يعانى شبح الإفلاس فقد دفعها بجكم من ماله الخاص ، وأرسل معها بعض الهدايا للقرمطى [٢] وهكذا رضخ بجكم - المعروف بقوته وشدة صلاته - للقرامطة وأرسل المال الذى يطلبونه طواعية . ودافعه إلى ذلك أنه كان - كما سبق - فى صراع مع الحمدانيين والبويهيين وأخيرا البريديين، فآثر السلامة مع القرامطة حتى لا تفتح عليه جبهة رابعة . ولعله كان يؤثر سلامة الحجيج خلال إمرته مقابل مبلغ معين من المال خاصة وقد كان مقدار ثروته « ألف ألف ومائتى ألف دينار » . ولم تستفد الخلافة ولا بيت المال ولا الدولة شيئا مما سبق من إمرة بجكم .

نهاية الخليفة الراضى وأمير امرائه بجكم (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) :

توفى الخليفة الراضى يوم السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) [٣] ، عن عمر يناهز اثنتين وثلاثين سنة وشهور [٤] ، وقيل واحد وثلاثين سنة وستة أشهر [٥] ،

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٨/٢ .

(٢) الصولى : أخبار الراضى ص ١٤١ - ١٤٤ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ١٨٣ ، ابن كثير : البداية ٣٥٣/١١ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٣٦٦/٨ ، ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص ٨١ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ١٨٣ .

وكانت خلافته ست سنين [١] وقيل ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام [٢] ويصور السيوطى [٣] حال الدولة العباسية فى خـــــلافة الراضى قائلا : « ... واختل الأمر جدا ، وصارت البلاد بين خارجىّ قد تغلب عليها ، أو عامل لا يحمل مالاً ، وصاروا مثل ملوك الطوائف ، ولم يبق بيد الراضى غير بغداد والسواد ، مع كون يد ابن رائق عليه » .

وبتوضيح آخر يقول ابن كثير [٤] - كمـــا سبق - عبد الخليفة الراضى : « وآخرهم - الخلفاء - انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة خطب على المنبر يوم الجمعة ... ، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه وخدمه وأصحابه وأموره كلها تجرى على ترتيب المتقدمين من الخلفاء » .

وعلى الجملة كانت خلافة الراضى - تقريبا - سلسلة من المنازعات السياسية بين ابن رائق والبريدى وابن حمدان وبجكم على الإمرة كل منهم يريدها لنفسه لتصبح له الكلمة العليا ببغداد وتوابعها [٥] بجانب الأموال الطائلة التى يجنيها من وراء هذا المنصب - كما فعل بجكم .

وبنظرة عامة على إمرة الأمراء خلال عهد الخليفة الراضى نجد ثلاثة معسكرات ، هى شخصية الخليفة الراضى وهو من الخلفاء الناضجين فى تفكيرهم ، إلا أنه عاجز عن تدبير أموره لأسباب كثيرة أهمها الأسباب الإقتصاديه وتسلط أمير الأمراء عليه - وثانيها شخصية أمير الأمراء ، وهو منصب أعلى من الوزارة يجمع صاحبه فى يده السلطتين الحربية والمدنية . وثالث الشخصيات البريدى ، وهو رجل طموح يصل فى سلك الإدارة من

---

(١) ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص ٨١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٣٦٦/٨ ، ابن كثير : البداية ٣٥٣/١١ .

(٣) تاريخ الخلفاء ص ٣٩٢ .

(٤) البداية ٣٥٢/١١ .

(٥) الخضرى : محاضرات ٤٠٨/٢ .

الوظائف الديوانية الصغيرة إلى الوظائف العالية . وطبيعة هذه الشخصيات كلها واحدة - وهى طبيعة العصر كله - لا نستثنى منها إلا الخليفة الراضى فهو بحكم مكانته الدينية رجل ينشد الحقيقة ويعلنها لولا أنه عاجز عن ذلك ، أما من عداه فهم بطبيعتهم آثرون كل يعمل لحسابه الخاص دون أن يرعى حرمة لولاء أو صداقة ، ودون أن ينظر فى ذلك إلى المصلحة العامة ، فالمصلحة الشخصية هى أساس كل تصرف يقوم به فرد من هؤلاء على مسرح السياسة ، وهم جميعا شكاكون يتنحون بعضهم بعضا ، يتجسس بعضهم على بعض ، ويسمع بعضهم عن بعض كل شائعة وكل خبر ، فالجو محروم من كل ثقة [١] ويؤكد هذا إنقلاب بجكم على قائده ابن رائق طمعا فى الإخرة ، ولما تولاها شره جداً إلى جمع المال بحق وبغير حق واستأثر من هذا المال بجزء كبير لنفسه حتى تكلم الناس فى بغداد عن أمواله العظيمة . بجانب تعاون بعضهم ضد البعض الآخر كما حدث من أبى عبد الله البريدى . والأدهى والأمر استعانة بعضهم - كابن رائق - بالقرامطة أعداء المسلمين ، والذين استغلوا ضعف الخلافة أحسن استغلال بتعطيل وفد الحجاج ، وفرض ضريبة سنوية - عشرون ألف دينار - حتى يأذنوا للحج بمواصلة السير إلى مكة ، ويؤدى الناس حجهم فى سلام .

ولم يستفد الخليفة الراضى من نظام إمرة الأمراء الذى عول عليه كثيراً فى إنقاذ ما تبقى للخلافة وللدولة من هيبة ونفوذ ، بل على العكس جر هذا النظام إلى التنافس والتحاسد على الفوز به ، مما أدى إلى التناصر السياسى والعسكرى الذى أوضحناه .

وكان الراضى قد أرسل إلى بجكم بواسط يعلمه أنه سيعهد من بعده إلى ولده الأصغر أبى الفضل ، فلم يتم له ذلك [٢] ، لعدم موافقة

---

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٧٣ .

(٢) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٥٥ .

بجكم، فلما توفى الراضى وعلم بجكم بموته أرسل إلى كاتبه أبى عبد الله الكوفى يأمره أن يجمع كل مَن تقلد الوزارة من قبل، وأصحاب الدواوين والفقهاء والقضاة ، والعباسيين والعلويين ، لوزير الراضى - (سليمان بن حسن) - ، فلما اجتمعوا اتفق رأيهم على خلافة ابراهيم بن المقتدر - أخى الراضى - ، وأحضروه فعلاً إلى دار الخلافة وتمت له البيعة [1] ، يوم الأربعاء العشرين من ربيع الأول (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) [2] ولقب المتقى لله [3] وبعد بيعته مباشرة أرسل بالخلع واللواء إلى بجكم - بواسط - وأبقاه أميرًا للأمراء [4] .

وبعد وفاة الخليفة الراضى - بثلاثة شهور وعدة أيام - قتل أمير أمرائه بجكم ، حينما خرج للتصدى لأبى عبد الله البريدى ، فقد كان البريدى ما زال يمنى نفسه بالاستيلاء على بغداد ، فانفذ من البصرة جيشا إلى المذار [5] ، فأخرج إليه بجكم جيشا بقيادة واحد من كبار رجاله الذين يعتمد عليهم اسمه « توزون » ، والتقى الفريقان واقتتلا قتالاً شديدا كان النصر فيه لأصحاب البريدى ، فأرسل توزون على عجل إلى بجكم يطلب منه أن يلحق به - معونة له - فسار إليه من واسط فى الوقت الذى عادت فيه الكرة لتوزون على البريديين ، فأرسل توزون ثانية إلى بجكم يخبره بالنصر وهروب البريديين ، فأراد بجكم الرجوع إلى واسط [6] ، حيث انتهى الغرض الذى كان قد خروج من أجله .

(١) الهمذانى : تكملة ٣٢٤/١١ ، ابن الجوزى : المنتظم ٣١٦/٦ ، ابن كثير : البداية ٢٥٥/١١ .

(٢) ابن كثير : البداية ٢٥٥/١١ . (٣) الهمذانى : تكملة ٣٢٤/١١ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ١٩١ ، مسكوية : تجارب الأمم ٣/٢ ، ابن كثير : البداية ٢٥٥/١١ .

(٥) المَذَار : بلدة فى قيْسان ، بين واسط والبصرة ، وبينها وبين البصرة مسيرة حوالى أربعة أيام . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ١٢٤٧/٣) .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٩/٢ ، ابن الأثير : الكامل ٣٧١/٨ ، ابن خلدون : العبر ٥١٠/٣ .

فأشار عليه أبو زكرياء السوسى بأن لا يرجع . وقال له : تمضى وتتصيد . فقبل بجكم بمشورته وواصل السير حتى وصل نهر جُوّر [(١)] ، وعنده أخبره أحد خاصته أن بهذا المكان بعض الأكراد ولهم مال وثروة طائلة ، فشرهت نفس بجكم - كعادته - إلى أخذه فقصدهم فى قلة من أصحابه ، فهرب الأكراد خوفًا منه ، ورماه بعضهم بسهم فلم يصبه ، ورماه آخر بسهم فأخطأه أيضا ، فأتاه غلام من هؤلاء الأكراد من خلفه وطعنه عدة طعنات قاتلة فى خاصرته كان فيها نهايته - وكان ذلك بين الطيب والمذار - يوم الأربعاء فى السادس والعشرين رجب(سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) [(٢)] .

وتفرق جيش بجكم بعد مقتله ، فذهب من الديلم حوالى ألف وخمسمائة إلى البريدى ، فأرسل إليهم من يتلقاهم من قبله ، وضاعف أرزاقهم فقوى بهم ، خاصة وقد كان عزم على الهروب من البصرة [(٣)] ، خوفا من ملاحقة بجكم له . أما أتراك بجكم فعادوا إلى واسط ، ومنها توجهوا إلى بغداد بقيادة « تكنيك » ، وعملوا فى خدمة المتقى لله [(٤)] ، «فأتى البريديون الفرج من حيث لم يحتسبوا » [(٥)] .

وكانت مدة إمارة بجكم سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام [(٦)] ، وكان فيها صاحب النفوذ المطلق فى كل شىء ، حتى أن المسعودى ذكر أنه وجدت بعض الدراهم عند الراضى عليها صورة بجكم شاك فى سلاحه ، وحوله مكتوب :

إنما العز فاعلم ‏ ‏ للأمير المعظم

---

(١) نهرجُوْر : بين الأهواز وميزان ميسان (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٣/ ١٤٠١) . وجُوْر هى مدينة فيروز آباد ، وهى من بناء الملك أردشير ، وجعل لها أربعة أبواب ، وهى مدينة حسنة جدًا . (كى لسترنج : بلدان الخلافة ص ٢٩١) .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٠ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١٠ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١٠ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧١ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١١ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٢٧ .

سيد الناس بجكم[1] .

أموال بجكم :

وكما كان مقتل بجكم مفرجا عن البريديين ، فقد كان مفيدا للخليفة المتقى أيضا ، حيث أنه استولى على داره وما فيها من أموال بلغت ألف ألف ومائتى ألف دينار[2] ، وقيل ألف ألف دينار ومائة ألف[3]وقيل ألف دينار فقط وقيل ألف ألف دينار فقط[4] . كانت مدفونة فى عدة أماكن من بيته ، وبعضها الآخر كانت فى البستان المحيط بالبيت[5] ، غير ما وجد مدفونا فى الصحراء ، فقد كان بجكم يخاف أن ينكب فلا يستطيع أن يصل إلى الأموال التى فى داره وحولها[6] . وكان الناس يتحدثون أنه إذا دفن بجكم فى الصحراء شيئا من هذه الأموال ومعه مَن يعاونه قتله لئلا يدل على ما دفنه[7]،وقيل كان يدفنها وحده، فتتبع أحد غلمانه أثره وعرف موضعها ، فلما قتل دل المتقى لله عليها[8] فاستخرج من هذه الأموال المدفونة فى الصحارى ستة وثلاثين ألف درهم[9] ، والباقى لم يعرفوا عنه شيئا[10] .

وهذا يوضح أن منصب أمير الأمراء كان أحد الوسائل الهامة لجمع المال ، لأن من يتولاه يعلم أن هناك من يحسده عليه ويعمل على إزالته عنه ، فكان يحاول أن يجمع لنفسه أكبر قدر من المال لأيامه بعد زوال الإمرة عنه ، على عادة كثير ممن يتولون المناصب القيادية فى عصرنا الحاضر ، إلا من رحم الله .

* * *

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر - المكتبة العصرية - بيروت - سنة ١٩٨٧ م - ٤ / ٣٣٧ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٢ .

(٣) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٥٦ ، ابن خلدون : العبر ٨/ ١ ٥٠ .

(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٤ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ١٩٧ .

(٦) ابن الأثير :الكامل ٨/ ٣٧٢ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٠٦ .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١١ . (٨) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٢٧ .

(٩) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١١ (١٠) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٥٨ .

« الفصل الثالث »

« إمرة الأمراء من البريديين إلى الحمدانيين »

« الفصل الثالث »

« إمرة الأمراء من البريديين إلى الحمدانيين »

أبو عبد الله البريدى والوزارة (الإمرة) :

كان موقف البريدى قد تحرج كل الحرج أثناء الصراع بينه وبين بجكم والخليفة الراضى ، ولكن بعد وفاة الراضى ومقتل بجكم عاد فتحسن إلى درجة أن الناس ظنوا أن إمرة الأمراء ليس لها فى هذا الوقت إلا البريدى ، وطمع أبو عبد الله البريدى فى هذا المنصب فعلاً [1] ، خاصة بعد اختلاف جند بجكم - عقب مقتله - وانحياز ألف وخمسمائة من الديلم إليه ، فقوى بهم ، وأصبح عداد جيشه سبعة الآف مقاتل [2] .

وعزم البريدى على الخروج من البصرة إلى واسط ، فأرسل الخليفة المتقى إلى أمراء الديلم - الذين عند البريدى - يحثهم على أن لا يتجاوزوا واسط وأن يقيموا بها . وفى ذات الوقت طلب الأتراك البجكمية من الخليفة المتقى أن ينفق فيهم ليتمكنوا من رد البريدى لو حاول التقدم إلى بغداد ، فأنفق فيهم أربعمائة ألف دينار من الأموال التى وجدها فى خزائن بجكم بعد مقتله . وأيضا أرسل البريديون يطلبون المال ، فأرسل إليهم مائة وخمسين ألف دينار [3] ليردهم بها عن بغداد . فأخذها أبو عبد الله البريدى ، ولكنه استقلها وقال : « أنا أحتاج إلى خمسمائة ألف دينار للديلم ، فإن حملت إلىّ ، وإلا فإن الديلم لا يمهلونى .. » وهدد بالتقدم إلى بغداد ان لم ترسل إليه الأموال التى طلبها ، فرفض الخليفة المتقى إرسالها إليه [4] ، واكتفى بالمائة والخمسين الأولى .

---

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٧٩ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٤ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠١ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٢ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٤ .

فواصل البريدى سيره حتى اقترب من بغداد ، فلما علم الأتراك البجكمية الذين لجأوا إلى المتقى بعد مقتل قائدهم بجكم - اضطربوا وقلعوا خيامهم واستأمن بعضهم إلى البريدى ، واستتر البعض الآخر[١] ، وقيل صار بعضهم إلى بنى حمدان بالموصل ، ومنهم توزون وحجج[٢] وتفرق جيش الخلافة على هذا النحو لم يكن شيئا اتفاقيا ، لأن الجند كانوا يشتغلون بالسياسة ويعرفون كيف تتجه الأمور ، فالذين انضموا إلى البريدى كانوا يرون أنه رجل الساعة ، والذين انضموا إلى الحمدانيين كانوا يرونهم كذلك ، ولم يخب ظن الطرفين فقد آل الأمر للبريدى أولاً ثم لبنى حمدان[٣] .

واضطربت بغداد - كالعادة - وخاف أهلها البريدى ، حتى هَمَّ أرباب المال بالتحول عنها ، وأشار البعض على الخليفة المتقى بالخروج إلى بنى حمدان بالموصل فرفض[٤] وما هى إلا أيام حتى تمكن أبو عبد الله البريدى من دخول بغداد ومعه أخوه أبو الحسين وابنه أبو القاسم وأبو جعفر بن شيرزاد ، فنزلوا جميعا ببستان الشفيعى يوم الثلاثاء الثانى من رمضان (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) ، فتلقاهم الوزير - أبو الحسين ابن ميمون - والكتاب والعمال والقضاه ووجوه الناس[٥] ، وأرسل المتقى لله إلى البريدى يعرفه أنسه بقربه وأمر بأن يحمل إليه الطعام والشراب والألطاف عدة ليال[٦] .

وبعد أيام قلد المتقى أبا عبد الله البريــدى الوزارة[٧] يقول ابن

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٠ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٢ .

(٢) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠١ .

(٣) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٧٩ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٤ .

(٥) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، مسكوية: تجارب الأمم ٢/ ١٤ ، ١٥ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠١ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٥ ، ١٦ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٣ .

(٧) مسكوية : تجارب ٢/ ١٦ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٢٨ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٥/ ١٠٥ .

طباطبا[١] : « ثم استوزره - المتقى - وهو كاره له - البريدى - » ، ويقول ابن كثير [٢] : « وخوطب بالوزير ، ولم يخاطب بإمرة الإمراء » ، فرأيهم أن المتقى ولى أبا عبد الله البريدى الوزارة وليس إمرة الإمراء ، وقد هجا أبو الفرج الأصفهانى وزارة البريدى بقصيدة أولها :

يا سماء أسقطى ويا أرض ميدى فقد تولى الوزارة ابن البريدى [٣]

وعلى العكس من هؤلاء المؤرخين يرى على ظريف [٤] أن المتقى حينما أرسل إلى البريدى يهنئه ، خلع عليه وقلده إمرة الإمراء .

واتفق مع د/ حسن محمود ، د. الشريف بأن البريدى وإن لم يتقلد هذا المنصب رسميا من الخليفة ، إلا أنه وصل إليه فعلا ، لأن الوزير إذا جمع إلى منصبه المدنى قيادة الجيش كان فى حكم أمير الأمراء تماما [٥] .

ولعل ما يرجح أن البريدى تقلد الوزارة وليس الإمرة ، أنه طوال إقامته ببغداد - ما يقرب من الشهر - لم يلتقى بالمتقى ، ولا دخل دار السلطان [٦] فأمير الأمراء كان من أول لحظات توليه هذا المنصب يسيطر على كل شىء حتى على الخلافة نفسها ، بل سيأتى بعد سطور أنه كان يطلب المال مرة بعد مرة من الخليفة المتقى بعد أن كان بيت المال وما يتعلق به يتبع أمير الأمراء مباشرة . وعليه لعل الخليفة المتقى - بعدم خلعه على

---

(١) الفخرى فى الأدب السلطانية ص ٢٥٦ .

(٢) البداية : ٢٥٦/١١ .

(٣) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٥٧ .

(٤) مختصر تاريخ بغداد ص ٤٦ .

(٥) العالم الإسلامى ص ٣٧٩ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ١٦/٢، الهمذانى : تكملة ٣٢٨/١١ .

البريدى بالإمرة - كان يحاول أن يسترد للخلافة هيبتها التى ضاعت فى ظل هذا المنصب ولم يكن الخليفة المتقى مخطئا حين رفض الترحيب بالبريدى - شهراً ولم يلتق به - فإن وجود مثل هذا الرجل فى ذلك المنصب ليس حلاً للأزمة فإن البريدى لم يكن شخصية سليمة ولا محبوبة، وهو فى البصرة واقع بين خطرين ، خطر بنى بويه المستقرين فى فارس والأهواز من ناحية ، وخطر القرامطة المستقرين فى البحرين من ناحية أخرى ، وهو مصالح لهما يترضاهما بالمال - بالرغم من موقفهما المعروف من الخلافة والدولة العباسية - فهو رجل عاجز لا تظهر قدرته الا فى الجبهة الضعيفة وهى جبهة بغداد فمثله لم يكن يصلح لإمرة الأمراء فى نظر المتقى [١] .

وحاول أبو عبد الله البريدى ابتزاز الخليفة المتقى ، فخلال إقامته ببغداد كان يرسل إليه مرة بعد مرة يطلب منه المال ، بحجة أن الديلم الذين جاءوا معه لا يريدون إلا المال [٢] ، وقيل إن البريدى كان يأمر جنده عامة - من الديلم والأتراك - بالشغب على الخليفة [٣] ، ليكون ذلك سببا فى مطالبته المتقى بالمال لتسكينهم .

ورفض الخليفة المتقى إعطاء البريدى أية أموال - اكتفاء بالمائة والخمسين ألف دينار التى أعطاها له حين كان على مشارف بغداد - فأرسل إليه البريدى يتهدده ويذكره بما جرى للخلفاء من قبله كالمعتز والمعتصم والمهدى وترددت الرسل بينهما [٤] وأمام إلحاح البريدى وتعلله بالديلم

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٦ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٣ ، ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٥٦ .

(٣) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٢٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٣ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٥٦ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠١ .

وتهديده أرسل إليه المتقى بالمال الذى طلبه - خمسمائة ألف دينار -[1].

فلما قبضها البريدى طمع فيها ولم يعط الجند منها شيئا[2] ، فانقلبوا عليه - وخاصة الديلم - بقيادة « كور تكين » ، واتفق معهم أهل بغداد لأنهم كانوا قد كرهوه لظلمه لهم ، وحاربوه جميعا داخل المدينة حتى أوشك على الهزيمة ، فلما استشعر الخطر هرب عن بغداد بأهله وبعض قواده ليلا فى إحدى السفن الصغيرة فى دجلة إلى واسط[3] ومنها إلى البصرة وحملوا معهم ما قدروا عليه من الأموال والمتاع[4] فكانت مدة وزارته - إمرته - دون الشهر[5] وبالتحديد أربعة وعشرون يوما[6] ، وقيل كانت ثلاثة أشهر وعشرين يوما[7] وهذا الرأى - بدرجة كبيرة - بعيد عن الواقع لأن الرجل كان مكروها من البداية من الخليفة فلم يلتق به ، ومن أهل بغداد الذين اتفقوا مع من انقلبوا عليه من جنده ، بجانب أن جنده أنفسهم انقلبوا عليه أيضا لما طمع فى الأموال التى قبضها - بحجتهم - من الخليفة ، مما عجل بفرارة سريعا عن بغداد ، فى نهاية رمضان (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م)[8].

واضطربت بغداد اثناء القتال بين البريدى من جهه وكورتكين - الذين

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ١٦/٢ ، ابن طباطا : الفخرى ص ٢٥٦ .

(٢) على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٦ .

(٣) الهمذانى : تكملة ٣٢٩/١١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٧٤/٨ ، ابن خلدون : العبر ٥٠١/٣ ، على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٤) الهمذانى : تكملة ٣٢٩/١١ .

(٥) ابن طباطبا : الفخرى ص ٢٥٦ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٣٧٤/٨ ، ابن خلدون : العبر ٥٠١/٣ .

(٧) اليافعى : مرآة الزمان ٢٩٧/٢ .

(٨) نفس المصدر السابق .

انقلب عليه - وأهل بغداد من جهة أخرى ، واستمر هذا الإضطراب فى حاضرة الخلافة بعد هروب البريدى عنها ، فقد عاث العامة فيها فسادا ، ونهبوا ما قدروا عليه [1] ، وعلى الجملة يصور ابن طباطبا فترة وجود البريدى فى بغداد بقوله : « وكانت تلك الأيام أيام فتن » [2] وكانت أسباب قصر وزارة - أو إمرة البريدى - وخروجه عن بغداد سريعا :

أن الخليفة المتقى كان معتقدا أن مثل البريدى لا يمكن أن يكون المنقذ للدولة مما هى فيه .

ومنها أنه كان يومئذ فى بغداد فى جيش الخلافة كثير من الديلم الذين ألحقوا بالجيش ، وأصبحوا عساكر نظاميين ، وكانوا حزبًا كبيرا يقارب الحزب التركى بل ويزيد عليه فى بعض الأحيان ، وهذا الحزب الديلمى هو الذى وقف معارضا للبريدى حتى اضطره إلى الخروج من بغداد .

ومن الأسباب أيضا أن أبا عبد الله البريدى مع اشتهاره بالكرم لم يسلك سبيلا مستقيما ، بل أخذ يضع العراقيل فى سبيل الخليفة المتقى للوصول إلى مصالح شخصية ، فإن البريدى حين لم يخرج له الخليفة التقليد بمنصب أمير الأمراء أراد أن يحرجه ، فطالبه بالأموال للجند ، ولم يكن من واجب الوزير أن يوفر المال للجند وإنما ذلك من واجب أمير الأمراء الذى يجمع بين الإختصاصات الحربية وبين إختصاصات الوزير . فالعودة إلى النظام المدنى ولو لسبب عارض كانت تلزم الخليفة بالتزامات لا تقع عليه فى نظام إمرة الأمراء أو النظام العسكرى . وفهم الخليفة المتقى الهدف الذى يرمى إليه البريدى من هذه المطالبة ، فأخرج له ما طلب من

---

(١) الهمذانى : تكملة ٣٢٩/١١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٧٤/٨ ، ابن خلدون : العبر ٥٠١/٣ ، على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) الفخرى ص ٢٥٧ .

المال ، فصار الجند بعد ذلك لا يطالبون الخليفة بل يطلبونه من البريدى ، وهنا تبد وكياسه الخليفة المتقى ، فأصبح البريدى فريسة لنفس المكايد التى كان يدبرها للخليفة . كان البريدى يريد أن يتحكم فى الخليفة فتحكم فيه الخليفة والجند ، فلما اضطربت عليه الأمور فى بغداد تركها وعاد إلى واسط ومنها إلى البصرة (١).

كورتكين (٢) الديلمى يتولى الإمرة :

لما اضطربت الأمور على البريدى فى بغداد كما سبق كان كورتكين - تقريبا - هو القائد والعقل المدبر للثورة عليه ، فالتف حوله الديلم ، ورأس الأتراك عليهم « تكنيك » - أحد غلمان بجكم - وقصد الجميع - بمن انضم إليهم من أهل بغداد - دار البريدى وقاتلوه حتى اضطروه للخروج عن بغداد (٣) ، وبعد هروب البريدى تطلع « كورتكين » للإمرة ، ولكنه كان يخشى معارضة الأتراك بقيادة تكنيك ، ولذا أوعز إليه أن يجتمعا خير لهما من الفرقة ، فانخدع تكنيك وصار إليه ، فقبض عليه وحبسه (٤)، وقيل أغرقه (٥)، فأصبح طريقه إلى الإمرة ميسورا .

وبالفعل فإنه لما كان يوم الخميس الثالث من شوال (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) التقى « كورتكين » بالمتقى ، فقلده إمارة الأمراء ، وعقد له لواء وخلع عليه (٦) وقيل إن أبا إسحاق الإسكافى - الوزير - هو الذى

---

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٧٩ - ٣٨١ .

(٢) هو كورتكين بن الفارض الديلمى ، ويسمى أيضا « كورنكيج» . (مكسوية : تجارب الأمم ٢/ ١٧) . ويكنى بأبى الفوارس . (الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٤) .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٧ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٥٦ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٨ ، ٣٧٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٥٦ ، ابن خلدون: العبر ٣/ ٥٠٢ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص٢٠٤ ، مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ١٧ ، ١٨ .

أشار على الخليفة المتقى بإمرة كورتكين ، ليكفيه أمر الجيش ، وتكون معاملة الجند - أتركا وديلم - معه [1] . ولا يستبعد هذا ، خاصة وقد بدأت بوادر التشاحن - التى كانت قد هدأت إلى حد ما - تظهر بينهما من جديد لما قض كورتكين على تكنيك وانفرد بالإمرة .

وعلى العموم فوصول كورتكين إلى مركز- الإمرة - بكل صلاحياتها - يعنى أن الديلم بدأوا فى منافسة الترك منافسة شديدة فى السيطرة على الخلافة،حتى يمكن اعتباره تمهيدا جديا لغلبه الديلم نهائيا على مقاليد الأمور فى بغداد بوصول الديلم البويهيين إلى عاصمة الخلافة [2] ، كما سيأتى - إن شاء الله - فى خلافة المستكفى بالله (سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٩٤٥ م) .

وكانت إمارة كورتكين كلها ثورات وفتن ، فقد استغل الديلم إمارته وعاثوا فى بغداد فسادا ، فاستولوا على دور الناس عنوة وقهرا ، فتظلم العامة ورفعوا شكواهم إلى كورتكين فلم ينكر على جنده ما فعلوه ، فاجتمع الناس يوم الجمعة - السادس من شوال - وأعلنوا استيائهم من أفعال الديلم ،ولما لم يجدوا استجابة من كورتكين - قائدهم - منعوا الخطباء من إقامة الجمعة [3] ، بل وكسروا بعض المنابر [4] ، ربما فى بعض المساجد التى خالف أئمتها وأقام الجمعة . ودار بينهم وبين الديلم فى هذا اليوم - الجمعة ٦ شوال - قتال شديد ذهب ضحيته عدد كبير من الفريقين [5].

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٤ .

(٢) د/ إبراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٥٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٥ ، ابن كثير : البداية ٢٥٦/١١ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ١٨/٢ ، الهمذانى : تكملة ٣٢٩/١١ .

(٥) مسكوية تجارب الأمم ١٨/٢ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٥ ، ابن خلدون : العبر ٥٠٢/٣ .

ولم يكتف الديلم نبهب دور العامة والاستيلاء عليها ، بل وتعدوا على التجار ونهبوا ما قدروا عليه منهم[1] ، وطالبوهم بالأموال - الإتاوة - ووكلوا بجمعها رجلا يعرف « بعبدون المتضمن » ، ففتح على الناس أبوابا من البلاء عظيمة ، فكمن له بعض التمارين - وغيرهم - وقتلوه واحتزوا رأسه ، فاضطرب الديلم لذلك وحملوا السلاح وقصدوا التمارين فمنعهم كورتكين من ذلك - وكان هذا واجبا عليه من قبل حين اشتكى إليه العامة - ووجه إلى التمارين أن لا يعاودوا مثل هذا الأمر ، « فعد الناس هذا من أفضل أراء كورتكين »[2].

وحاول استغلال الأمور بهذه الصورة المضطربة فى بغداد كل من البريدى وابن رائق لطمع كل منهما فى الإمرة وبغداد ، فأما البريدى فإنه استغل استقدام كورتكين لابن أخته « أصبهان » - والى واسط - ليساعده فى التصدى لابن رائق الذى بدأ التحرك من الشام قاصداً بغداد ، واستولى على واسط ، وأمر بأن يخطب فيها لابن رائق[3] وهذا يدل فعلا على أن البريدى كان يضع يده دائما فى يد الأقوى ويعمل معه ، فقد عرف باضطراب الأمور فى بغداد على كورتكين وأنه إلى زوال ، وأقوى الناس على الساحة بعده ابن رائق ، ففضل أن يعمل معه فى بداية الأمر ، ولا مانع أن ينقلب عليه بعد ذلك إذا أتيحت له الفرصة .

وكان كورتكين لما استقدم ابن أخته أصبهان إلى بغداد قد أرسل بدلا منه لؤلؤا - غلام المتهشم - لولاية واسط ، فلما اقترب لؤلؤ وعلم باستيلاء البريدى عليها عاد أدراجه إلى بغداد فى ذى الحجة(سنة٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م)[4] وهكذا أصبح البريدى شوكة فى ظهر كل من يتولى

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ٣١٨/٦ .

(٢) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٦ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٥ ، مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٠ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

الإمرة بدءاً من إمرة ابن رائق الأولى (سنة ٣٢٤ هـ) إلى إمـرة كورتكين (سنة ٣٢٩ هـ) . وانحصر صراعه مع كل من تولى الإمرة حول ثلاثة مدن بغداد والبصرة وواسط ، فزاد البريدى الأمور اضطرابًا على الخليفة وعلى أمير الأمراء .

وأما محمد بن رائق فإنه بدأ فعلا فى التحرك من بلاد الشام نحو بغداد ، فلما نمى إلى كورتكين خبره دخل على المتقى لله ليستبين ما فى نفسه ، وقال له : « إن أمرتنى بحرب هذا الرجل حاربته ، وإن أمرتنى بطاعته أطعته ، وإن أمرتنى بأن أنصرف إلى المكان الذى ترسمنى به ، فقال له المتقى : بل حاربه ، وأنا معك فقد جاء محاربًا لأمرى » ، فخرج كورتكين بالديلم والجيش وأقام بنواحى عكبرا [١] وجاء ابن رائق بجيشه إليها أيضا ، ودار القتال بينهما أياما انتصر فيه كورتكين [٢] .

ولما رأى ابن رائق عدم قدرة جيشه على ملاقاة الديلم احتال فى الدخول إلى بغداد وحاول دخولها عن طريق الموصل ، ثم لحق به بعض جنده الذين كانوا قد انهزموا فى عكبرا [٣] ولما وصل ابن رائق الموصل حاد عن طريق ناصر الدولة الحمدانى ، ثم تراسلا واصطلحا على أن يدفع ابن حمدان مائة ألف دينار لابن رائق [٤] .

وقدم ابن رائق أمامه « ابن مقاتل » ليستأذن له الخليفة المتقى فأذن له [٥] ، ودخل بغداد من غربيها ، فلما علم كورتكين رجع بمن معه

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٠ ، ٢١ ، ابن الأثير : الكامل ٨ ، ٣٧٦ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٦ - ٢٠٨ ، مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٠، ٢١ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٣٧٦ .

(٤) الهمذانى : تكملة ٣٢٩/١١ ، ابن كثير : البداية ٢٥٦/١١ ، ابن خلدون : العبر ٥٠٢/٣ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٦ - ٢٠٨ ، الهمذانى : تكملة ٣٢٩/١١ ، ٣٣٠ .

وحاول دخول بغداد من شرقيها - من باب الشماسية [1] ، حتى يمكنه الوصول إلى دار الخليفة [2]، وكان فى غاية التهاون بابن رائق وأصحابه ، وكان يقول : « أين نزلت هذه القافلة الشامية » [3].

وكان كورتكين وهو قادم إلى دار الخليفة لا يشك لحظة أنه معه ، ولكنه صدم حين وجد أبوابها مغلقة فى وجهه ، فحاول الدخول من جهة الشط فرمى بالنشاب فرجع إلى جزيرة تجاه قصر عيسى وأقام بها . ثم وقع قتال شديد بين الفريقين انهزم فيه كورتكين ومن معه من الديلم ، وساعد العامة ابن رائق على كورتكين ، « وكشف الله عن الناس أمرًا عظيما مما أشرفوا عليه وخافوه » ، وهرب كورتكين واختفى [4] ، ولكن تمكن بعض جند ابن رائق من القبض عليه - قيل فى دور سليمان - وأوصلوه لابن رائق الذى عنفه ووبخه وسلمه بدوره إلى الخليفة المتقى ، فضرب وأخذ منه بعض المال الذى كان معه وحبس [5] فكانت إمرته شهرين وثلاثة وأربعين يوما [6].

ونادى لؤلؤ - صاحب الشرطة - فى الناس : يا معشر العامة إن أمير المؤمنين قد أبا حكم دماء الديلم وأموالهم ، فانقض الناس على الديلم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وطاردوهم حتى أجبروهم على عبور

---

(١) ابن كثير : البداية ٢٥٦/١١ ، ٢٥٧ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٠ ، ٢١ .

(٣) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ٣٧٦/٨ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٦ ، مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٠ ، ٢١ ، ابن الأثير : الكامل ٣٧٦/٨ ، ابن كثير : البداية ٢٥٦/١١ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٥٤ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ٢١٣ ، ابن الأثير : الكامل ٣٧٧/٨ ، د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٥٧ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٠ .

جسر النهروان ، وقبضوا على نحو ثلاثمائة منهم فحبسوا[١] وكان قد استأمن من الديلم نحو أربعمائة إلى ابن رائق فقتلهم ، ولم يسلم منهم سوى رجل واحد وقع بين القتلى[٢].

وهذا هو المتوقع بين ابن رائق ومن العامة أن ينتقموا من الديلم ، ابن رائق لأنهم إذا بقوا فى بغداد كانوا شوكة فى ظهرة نظراً للتنافر الشديد بين أتراكه وبين هؤلاء الديلم ، وأما العامة فانتقامهم من الديلم إجراء طبيعى لأن كل فعل له رد فعل ، فالديلم عند دخولهم بغداد أذاقوا أهلها الأمرين من القتل ونهب الدور والإستيلاء عليها والتعرض للتجار ، لكن الأمر الغير متوقع أن يأمر الخليفة باستباحة أموال ودماء الديلم كما جاء على لسانه بواسطة لؤلؤ صاحب الشرطة - مع أن كورتكين كان فى غاية السمع والطاعة للمتقى ، حتى أنه لما علم بتحرك ابن رائق من الشام نحو بغداد دخل على المتقى وأوضح له أنه سيمتثل لأمره أيا كان سواء قتال ابن رائق ، أو الطاعة له والتنازل عن الإمرة ، أو حتى الإنصراف نهائيا عن بغداد إلى أى جهة يحددها له الخليفة ، فلابد إذا من سبب قوى دفع المتقى لهذا الموقف المتشدد من الديلم ، وهو - من وجهة نظرى - أنه كان - تقريبا - شبه مسير ، فالغلبة أصبحت لابن رائق والأتراك ، وهؤلاء كما وضح - لن يتركوا الديلم ، فليس عليه إلا أن يسير فى التيار كما أراد ابن رائق وأتراكه .

ولم تستفد الخلافة ولا بغداد شيئا خلال إمرة كورتكين ، نظراً لقصرها - دون الثلاثة شهور - من جهة ، وللتنافر الذى أدى إلى التناحر الشديد بين الديلم وسكان بغداد من جهة أخرى . وهكذا كلما حلت

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٦ - ٢٠٨ ، مسكوية تجارب الأمم ٢/ ٢٠ ، ٢١ .

(٢) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٦ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٢ .

الخيانة محل الثقة بين الخليفة وأمير الأمراء وبين القادة ، وحل الإضطراب والخوف محل الأمن والسلام ، كلما زادت الحالة سوءاً ، وهو ما حدث - تقريبا - طوال سنة كاملة (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) .

إمرة محمد بن رائق الثانية (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) :

كان لتحكم الديلم - في إمرة كورتكين السابقة - في بغداد رد فعل لدى الأتراك الذين أحسوا ببداية زوال نفوذهم ، فنهضت العصبية التركية تبحث لنفسها عن رئيس قوى يستطيع أن يتحكم في الموقف ، فوقع اختيارهم على ابن رائق[(١)] ، وأدرك هذه الحقيقة على وجه الخصوص الأتراك البجكمية الذين كانوا قد لجأوا إلى الموصل - بعد مقتل بجكم - فلما لم يجدوا عند بن حمدان ما يريدون من التقدم ، ساروا نحو الشام والتقوا بابن رائق ، وكان فيهم من القواد توزون وخجنجج ونوشتكين وصيغون وغيرهم وأطمعوا ابن رائق في العودة إلى العراق[(٢)] .

وفي نفس الوقت كانت رسائل الخليفة المتقى تتواصل إلى ابن رائق يحثه على القدوم عليه لينقذه مما تعانيه بغداد - خلال إمرة كورتكين - ويوليه الإمرة[(٣)] وكما سبق جاء ابن رائق وقضى على كورتكين والديلم وأصبح له الكلمة في بغداد ، فالتقى بالمتقى يوم الأربعاء السادس والعشرين من ذى الحجة (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) ، فخلع عليه وقلده الإمرة ، وطوقه بطوق عظيم مكلل بالجوهر ، وسور بسوارين[(٤)] وبعد شهر من إمرته عزل ابن رائق الوزير أبا جعفر الكرخي وولى مكانه أحمد الكوفي[(٥)] .

---

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٨١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ط بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/ ٣٧٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل - ط بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/ ٣٧٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٥٦ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٢ ، الخضرى : محاضرات ٢/ ٤١٣ .

(٤) الصولى : أخبار الراضي ص ٢٠٩ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣١ ، مسكوية: تجارب الأمم ٢/ ٢٢ .

(٥) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٢ .

وما إن استقر ابن رائق فى إمرته الثانية ببغداد حتى أخرً أبو عبد الله البريدى خرج واسط - كعادته خصوصا مع ابن رائق - ، فخرج إليه ابن رائق بالجيش فى العاشر من المحرم (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م) ، فهرب البريديون إلى البصرة ، ثم سعى أبو عبد الله أحمد الكوفى - الوزير - بينهما فى الصلح على أن يضمنوا خراج واسط بستمائة ألف دينار سنويا[١] أما باقى السنة فيدفع معجـــلا ، وهو مائة وسبعين ألف دينار [٢] ، وقيل مائه وتسعين[٣] ، وقيل مائتى ألف[٤] ، والأقرب إلى الصواب الأول .

فقبل ابن رائق ورجـــع إلى بغداد ، وما إن وصلها حتى انقلب عليه الأتراك - فى الثانى عشر من ربيع الآخر(سنة ٣٣٠ هـ/سنة٩٤١م)[٥] لمطالبة ألف منهم بالأرزاق ، فلم يجبهم ابن رائق ومنعها عنهم[٦] ، وكان فى هؤلاء الثوار توزون ونوشتكين وغيرهما من القواد،فرحلوا فى العشر الأواخر من ربيع الآخر إلى أبى عبد الله البريدى بواسط فقوى بهم،وخشى ابن رائق أن يطمع هؤلاء الأتراك البريدى فى الإمرة ويزينوا له الزحف على بغداد ، لذا عمل ابن رائق على مداراته فكاتبه بالوزارة وأنفذ له الخلع والهدايا ، فقلبها البريدى ولكنه استخلف أبا عبد ابن شيرزاد نيابة عنه عليها ، وظل هو بواسط[٧] وواضح من قبول البريدى

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٣ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣١ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٩ ، ابن خلدون العبر ٣/ ٥٠٣ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٧ و الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٩ .

(٤) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٣ .

(٦) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٢٢ .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٣ ، ابن الأثير : الكـــامل ٨/ ٣٧٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٣ .

للوزارة على هذه الصورة ، أنه غر مقتنع بقيمتها - كما حدث منه فى إمرة بجكم (سنة ٣٢٧ هـ / سنة ٩٣٨ م) لذا أرسل ابن شيرزاد نيابه عنه ترضية لخاطر ابن رائق فيكف عن مطالبته بالمال المتبقى عليه ، أو على الأقل ليظهر انصياعه لمطلبه ودخوله فى طاعته مؤقتا ، لأنه كان يرى إلى غرض آخر سيأتى - إن شاء الله - بعد سطور ، وهو الإمرة .

وتكرار المسألة على هذا النحو يدل على أن صاحب البصرة وواسط قاسم مشترك فى كل سلطان يوجد فى العراق[١].

ولما كان أبو عبد الله البريدى يطمع فى الإمرة ، فقد عزم على الخروج إلى بغداد ، فلما علم ابن رائق أزال عنه الوزارة - الرسمية لا الفعلية - وأعاد أبا إسحاق القراريطى إليها[٢] ، وخرج ومعه الخليفة المتقى والجيش وبين أيديهم المصاحف المنشورة ، واستنفروا العامة ، ولعنوا على منابر بغداد[٣] .

وفى نفس الوقت كان البريدى قد قدم أخاه أبا الحسين فى جيش كبير نحو بغداد ، ويبدوا أنْ ابن رائق أحس بالخطر ، فعزم ، ومعه الخليفة على التحصن بدار الخلافة ، ونصبوا عليها المنجنيق والعرادات ، وسدوا أكثر أبوابها ، والثلم التى فى سورها ، وطرحوا حولها الحسك والحديد[٤] ويقال إنهم زيادة فى التحصين حفروا خندقاً حولها[٥] وأحاطوا جوانب بغداد بكثير من الجند والعامة للدفاع عنها[٦] ، واستدعى ابن رائق العيارين[٧] وأضافهم إليهم ، « فكان ذلك خطأ من رأيه

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٨١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٧٩ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٣ ، ٢٤ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣١ .

(٤) مسكوية : تجارب الامم ٢/ ٢٤ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣١

(٥) الصولى : أخبار الراضى ٢٢٣

(٦) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣١ .

(٧) العيارون : العيار من الرجال الذى يخلى نفسه هواها لا يردعها ولا يزجرها (المعجم الوسيط ٢/ ٦٦٣) .

عظيما »[1] لأنهم بدلا من المعونة أصبحوا مصدراً للفتن والإضطراب[2] وفعلا عم الفزع الناس ، ونهب بعضهم بعضا ليلا ونهارا[3] بسبب العيارين على وجه الخصوص ، وبعض العامة الذين يستغلون مثل هذه الظروف على وجه العموم .

وأمام هذا الوضع المضطرب خرج ابن رائق ومعه الخليفة المتقى إلى نهر ديالى ، وقدم أبو الحسين البريدى بجيشه ، فحاول الناس - دون قيادة، أشبه بالدفاع الشعبى - منعه من الدخول إلى بغداد ، وقاتلوه فى البر وفى دجلة[4] ، فازدادت الحالة فى بغداد سوءاً ، يقول ابن كثير[5] : «وتفاقم الحال جدا ، مع ما الناس فيه من الغلاء والوباء والفناء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

واستغل أبو الحسين البريدى هذا الوضع المضطرب ، فعبر نهر ديادلى- منتصف جمادى الآخرة (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م)[6] فاستأمن إليه قرامطة ابن رائق[7] مما زاد من تخرج موقفه . ودار بين الفريقين قتال شديد استمر حتى ظهر يوم الاثنين - منتصف جمادى الآخرة - أظهر فيه الديلم - الذين مع أبى الحسين - كثيرا من الشجاعة وفنون القتال وأوقعوا بالعامة ، وتمكنوا من دخول دار السلطان - من جهة الماء - وملكوها[8] فخرج المتقى وابنه - أبو منصور - فى نحو عشرين فارسا من

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٢٣ .
(٢) الهمذانى : تكملة ١١/٣٣١ .
(٣) ابن كثير : البداية ١١/٢٥٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/٥٠٣ .
(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٤ ، ابن خلدون : العبر ٣/٥٠٣ .
(٥) البداية ١١/٢٥٩ .
(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٤ ، ٢٥ .
(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٤ ، ٢٥ .
(٨) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٤ ، ٢٥ ، الهمذانى : تكملة ١١/٣٣١ .

باب الشماسية ، ثم لحق بهم ابن رائق ، وقرروا جميعا التوجه إلى الموصل [١] ليكونوا فى حماية الحمدانيين . واستتر الوزير أبو اسحاق القراريطى [٢] .

وملك أبو الحسين دار السلطان ، ووجه إلى المتقى بابن أبى داود الأوانى يحلف له : « أنه لا يريد إلا خدمته ، والإنتهاء إلى ما يريده ويأمر به » ، فلم يلتفت إلى ذلك وواصل السير إلى سامرا [٣] وبهذا انتهت إمرة ابن رائق الثانية ، التى استمرت حوالى ستة أشهر [٤] واقام الخليفة وابن رائق عند ناصر الدولة الحمدانى لينجدهما [٥] ، واستولى البريديون على إمرة الأمراء وبغداد للمرة الثانية [٦] مع ملاحظة عدم وجود خليفة - المتقى - ليخلع عليهم بالإمرة ، وكذلك يوضع فى الإعتبار أن الذى دخل بغداد هو أبو الحسين وليس أبو عبد الله ، مما يجعلنا نرى أنها ليست إمرة حقيقية ، وإنما هى أقرب ما تكون إلى مرحلة وقتية لرجل ساعدته الظروف على الإستيلاء على بغداد ، وسيخرج عنها سريعا كما سيأتى ، وأدرك هذه الحقيقة أبو عبد الله نفسه فلم يأت من واسط وظل بها تاركا بغداد لأخيه أبو الحسين .

حال بغداد :

وبعد أن استولى أبو الحسين على بغداد نزل فى دار مؤنس الخادم -

---

(١) المسعودى : التنبيه ص ٣٤٤ ، مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٥ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٠ ، اليافعى إمرآة الجنان ٢/ ٢٩٦ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٢٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٠ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٣ .

(٥) ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص ٨١ ، علي ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٧ .

(٦) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٨٢ .

التى كان يسكنها ابن رائق -[1] ، وغيره من أمراء الأمراء ، ولعل فى هذا ما يشير لتطلعه إلى الإمرة ، أو ليؤكد لأهل بغداد أن الإمرة أصبحت للبريديين . واستباح البريديون بغداد ، فقتلوا من وجدوه فى دار الخليفة من الحاشية ، ونهبوا دور الحريم[2] ، وبهــذا فعلوا ما لم يفعله أحد قبلهم ، « فقد كان الخلفاء يقتلون بسامرا ودورهم محفوظة مصونة »[3] ، ولعل دافعهم إلى هذا - بعد إعراضهم عن إرتكاب مثل هذه الأمور فى بداية دخولهم بغداد - عدم استجابة الخليفة المتقى لأبى الحسين بالرجوع ، وإصراره على الذهاب إلى الحمدانيين ، فلم يقلدهم الإمرة من ناحية ، ومن ناحية أخرى سيكون جبهة ضدهم مع الحمدانيين ، وهو ما حدث بعد ذلك .

واستمر النهب فى بغداد ليلا ونهارا ، والاعتداء على البيوت وإخراج أهلهــا منها[4] ، حتى عظم الأمر وغلت أســـعار الحنطة والشعير وأصناف الحبوب[5] ، حتى بلغ سعر السكر ثلاثمائة وستة عشر دينارا ، « وهذا شىء لم يعهد بالعراق »[6] وقيل ثلاثمائة دينار للسكر فقط[7] وفى آخر شعبان من هذه السنة (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م) - زاد البلاء على الناس ، فاستتر أكثر العمال لعظيم ما طولبوا به مما ليس فى أيديهم[8] .

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٢٤ ، الهمــذانى : تكمـــلة ١١/٣٣١ ، ابن كثير: البداية ١١/ ٢٦٠ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٢٥ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٥ ، ٢٦ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨١ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨١ ، اليافعى مرآة الجنان ٢/ ٢٩٦ .

(٧) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٣ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ ، الخضرى : محاضرات ٢/ ٤١٣ ، ٤١٤ .

وقيل إن البريديين أخرجوا كورتكين من حبسه فأرسله أبو الحسين إلى أخيه أبي عبد الله فكان آخر العهد به [١] ومما زاد الطين بلة أنه كان مع أبي الحسين جماعة من القرامطة فقاتلهم الأتراك وهزموهم ، ثم وقع القتال بين الديلم والعامة [٢] ، وكان مجموع من قتلوا خلال هذا الإضطراب حوالي عشرة الآف [٣] وعلى الجملة فقد كانت هذه الفترة شديدة جدا على بغداد وأهلها ، حتي قال المسعودى [٤] : « ومن الحوادث العظيمة التى كانت فى أيامه - المتقى لله - فى الملك - يقصد دخول البريديين بغداد (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١) - مما لم يجر مثله على أحد من خلفاء بنى العباس » .

وكالعادة استغل قرامطة البحرين هذا الإضطراب ، وورد رسولهم يطالب بالضريبة التى يأخذونها كل سنة لحفظ الحاج ، فأعطى منها عشرين ألف دينار [٥] وهذا دون أدنى شك كان يسعد القرامطة عامة الذين يريدون زوال الخلافة وحاضرتها .

وكذلك أدرك البيزنطيون هذا الضعف ، فطمعوا فى الإغارة على أطراف الدولة العباسية المجاورة لهم [٦] ففى ربيع الآخر (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م) [٧] ، وصل الروم قريبا من حلب فعاثوا فيها فسادا ونهبوا ما قدروا عليه [٨] ، وقتلوا أيضا [٩] ، وأسروا نحواً من خمسة الآف [١٠] ،

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٣ .

(٣) المسعودى : التنبيه ص ٣٤٤ .

(٤) التنبيه ص ٣٤٤ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٠٥ .

(٦) د/ حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ٢٣٥

(٧) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٩٢ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٩٢ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٩ .

(٩) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦١ .

(١٠) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٩ .

وقيل عشرة الآف[1] وهذا على العكس مما كان يحدث - غالبا - من قبل، فإنه لما كانت الخلافة قوية ، كان ملوك الروم هم الذين يرسلون بالهدايا القيمة ، ويستجدون الخلفاء للتوقيع على بعض معاهدات الصلح ، ويحلون لإخراج بعض الحملات الإسلامية عن بلادهم ، ويتذللون لإطلاق سراح أسراهم ، ولكن لما ضعفت الخلافة فى ظل الإمرة ، تغير الحال وأصبح ذمام المبادأة للروم فى بعض الفترات .

وهكذا كانت نهاية (سنة ٣٢٩ ـ سنة ٩٤٠ م) وبداية (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م) ، من أخطر ما تعرضت له بغداد فى ظل إمرة الأمراء، فقد تقلد الإمرة فى هذه الفترة ثلاثة (بجكم وكورتكين وابن رائق الثانية) ، ووضح الإضطراب والخلل الذى كان يقع فى بغداد عند نهاية أمير وتوليه آخر ، مما أضعف الخلافة والوزارة والإمرة - التى كان المعول عليها - وعاد كل هذا بأثره السلبى على حاضرة العالم الإسلامى .

الحمدانيون والإمرة :

كان الخليفة المتقى لما اضطربت عليه الأمور فى بغداد فى ظل إمرة محمد بن رائق الثانية قد عمل على الخروج إلى الحمدانيين - كما سبق - وبالفعل أرسل إلى ناصر الدولة - نائب الموصل - يستمده على البريديين[2] ، وإذا قبل يوليه الإمرة ، ويفوض إليه الملك والتدبير[3] . فاستجاب له ناصر الدولة وأرسل أخاه سيف الدولة[4] فى جيش كبير ، فلما كان بتكريت التقى بالخليفة المتقى وأمير أمرائه محمد ابن رائق ،

(١) اليافعى : مرآة الجنان ٢/٢٩٦ .

(٢) ابن كثير : البداية ١١/٢٠٦ ، ابن خلدون : العبر ٣/٥٠٣ .

(٣) المسعودى : مروج ٤/ ٣٤٠ .

(٤) أبو الحسن على بن أبى الهيجاء ، ولد (سنة ٣٠٣ هـ) بميافارقيس ، وهو أول من ملك حلب من الحمدانيين ، وكان كثير الإحسان ، كما كان يحب الشعر والشعراء ، حتى قيل : لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من الشعراء ، وأنفق جملة عظيمة من المال عطايا لما كان يستحسنه من الشعر ، وكان له =

فرجع بهما إلى أخيه ناصر الدولة ، وأظهر سيف الدولة الطاعة التامة للخليفة المتقى وتفانى فى خدمته [1] ، حتى أنه قدم إليه ومن معه كل ما يحتاجونه من المال والثياب والدواب [2] .

ولما وصلوا الموصل خرج ناصر الدولة إلى شرقيها ، ونزل المتقى وابن رائق فى غربيها ، وأرسل ناصر الدولة إلى المتقى بالمال والهدايا ، ولم يذهب إليه - فى غرب الموصل - خوفا من أن تكون هناك خديعة من ابن رائق للإيقاع به [3] ، وهذا لما كان بينهما من العداوة ، ومحاولة كل منهما الفتك بالآخر [4] ثم ترددت الرسل بين ابن رائق وناصر الدولة إلى أن توثق كل منه من الآخر ، وأخذت على ذلك العهود والمواثيق [5] .

وعليه أرسل المتقى ولده أبو منصور ومعه ابن رائق للسلام على ناصر الدولة ، فاستقبلهما استقبالا حسنا وأظهر السرور بقدومهما ، وأمر بنثر الذهب والفضة على رأس أبى منصور [6] ، وقيل بل نثر عليه الدراهم والدنانير [7] وربما كان الرأيان بمعنى واحد .

= جولات مع بعض شعراء عصره كالمتنبى والسرى الرفا وغيرهما . توفى فى الخامس والعشرين من صفر - بعلة عسر البول - بحلب (سنة ٣٥٦ هـ) ، ونقل إلى ميافارقين ودفن بها . وكان عمره عند وفاته ثلاث وخمسين سنة . (الهمذانى : تكملة - سويدان - بيروت - ٤١١/١١ - ٤١٣ ، ابن الأثير: الكامل - بيروت سنة ١٩٦٥ م - ٨/ ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان ٤٠١/٣ - ٤٠٥ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م - ٢٦٣/١١ ، ٢٦٤ ، الزركلى : الأعلام ٣٠٣/٤ ، ٣٠٤) .

(١) ابن الأثير : الكامل ٣٨٢/٨ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٥ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢٧/٢ .

(٣) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ .

(٤) سعيد الديوه : تاريخ الموصل ١١٤/١ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢٧/٢ .

(٦) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٢٧/٢ ، الهمذانى : تكملة ٣٣٢/١١ .

وعلى الجملة فقد أنفق بنو حمدان على الخليفة المتقى نفقة كبيرة ، يصفها المسعودى[1] بأنها : « نفقة واسعة عظيمة ، طول مقامه عندهم واجتيازه بهم ، يكثر وصفها ، ويعسر علينا فى التحصيل إيرادها ، بإكثار المخبرين لنا بتحديدها » . وطبيعى أن يبالغ المسعودى فى وصف هذه النفقة لتشيعه .

نهاية ابن رائق (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م) :

وظل أبو منصور - ابن المتقى - وابن رائق عند ناصر الدولة - فى شرق الموصل - ساعة[2] ، ثم انصرفا فركب أبو منصور ، ولما قدم الفرس لابن رائق ليركبه شدة ناصر الدولة من كمه وطلب منه الجلوس معه هذه الليلة ليتحدثا فى بعض شأنهما ، فاعتذر ابن رائق على أن يلبى طلبه فى ليلة أخرى ، فألح عليه ابن حمدان حتى استراب منه ابن رائق وهم بركوب فرسه ، فما كان من ابن حمدان إلا أن جذبه للمرة الثانية جذبة قوية خرقت كم يده ، وكانت رجله فى الركاب فشب الفرس فوقع وقام ليركب ثانية ، فصاح ابن حمدان بغلمانه وأمرهم بالقضاء عليه ، قائلا لهم : ويلكم لا يفوتكم . فتناولوه بسيوفهم فقتلوه[3] يوم الاثنين الثالث والعشرين من رجب (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م)[4] .

وأرسل ابن حمدان إلى الخليفة المتقى - فى غرب الموصل - يخبره أنه ما أقدم على قتل ابن رائق إلا لوقوفه على أنه كان يدبر لاغتياله - ابن حمدان - فجرى فى أمره ما جـرى ، فرد عليه المتقى يعرفه أنه الموثوق

---

(١) مروج الذهب ٣٤٢/٤ .

(٢) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ .

(٣) مسكوية: تجارب الأمم ٢٧/٢ ، ٢٨ ، الهمذانى: تكملة ٣٣٢/١١ ، ٣٣٣ ، ابن الأثير : الكامل ٣٨٢/٨ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ ، ابن خلدون : العبر ٥٠٣/٣ .

(٤) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ .

به ، ومن لا يشك فيه ، ويأمره بالقدوم عليه [1] وهكذا قتل ابن رائق غلبة على يد الحمدانيين بعد أن كان كل منهما أخذ العهود المؤكدة على الآخر ، مما يؤكد أن السياسى - على السلطة - لا يقر العهود مهما كانت مؤكدة ، ولا تحكمه أية ضوابط أخلاقية ، حتى بين أبناء البيت الواحد ، بل وبين الأب وولده ، فما بالنا بالغرباء والغرما ؟!

وتوجه ناصر الدولة إلى المتقى كما طلب ، فخلع عليه بالإمرة ولقبه « ناصر الدولة » ، فى مستهل شعبان (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١) [2] فأصبح ناصر الدولة أول عربى يتولى إمرة الإمرة فى بغداد [3] ، وكذلك على أخيــه أبى الحسين ولقبه « سيف الدولة » [4] وقيل بل لقبه بهذا اللقب بعد انتصاره على البريديين فى واسط [5] وهذا تعليل جيد له ما يؤكده ، فالعادة منح الألقاب وغيرها من الحوافز للقادة عقب انتصاراتهم المبهرة . وأمر أن تكتب أسماؤهم على الدنانير والدراهم [6] .

وهذان اللقبان - ناصر وسيف - لهما دلالتهما ، فإنهما يدلان على اعتراف الخلافة بالدور البارز الذى قام به الحمدانيون فى خدمة الدولة العباسية ، فالحسن هو الذى نصر الدولة على المتسلطين عليها ، كما أن أخاه علىّ هو الذى قاتل عنها فى العراق ، ثم هو الذى قاتل عنها طوال حياته فى الجبهة الثغرية [7] .

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٢ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٣ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٠ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٢٩٧ .

(٣) د/ الشكعة : سيف الدولة ص ٤٥ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٨ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٣ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٢٩٧ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٣٠ .

(٦) د/ الشكعة : سيف الدولة ص ٥٨ .

(٧) د/ إبراهيم الكردى : البويهيون ص ١٦٠ ، ١٦١ .

وكان غرض بنو حمدان من الإمرة الإحتفاظ ببغداد ، فقد كانوا يلون الجزيرة ويقومون بالغزو ضد الروم ، وكان يهمهم بطبيعة الحال أن تنتظم أمور العراق ، ليكون سنداً قويا وراء ظهرهم يعتمدون عليه ، واضطراب الأحوال فيه يعود عليهم بالضرر ، ولذلك كانوا يهتمون بأمور العراق اهتماما كبيرا ، وإن كانوا فى حقيقة الأمور يؤثرون وظيفتهم الثغرية لما تضفى عليهم من هيبة واحترام فى أعين الناس ، ولأنها تحيطهم بعطف المسلمين (١) .

ناصر الدولة الحمدانى فى بغداد :

بعد أن خلع المتقى على ناصر الدولة بالإمرة - فى مستهل شعبان (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م) - توجه الجميع - المتقى وناصر وسيف - إلى بغداد لإخراج أبى الحسين البريدى عنها ، خاصة وقد انضم إليهم كثير من أتراك ابن رائق - بعد مقتله - فقوى بهم الحمدانيون ، وما إن علم أبو الحسين البريدى بقدومهم حتى خرج عن بغداد إلى واسط (٢) ، لثلاثة أشهر وعشرين يوما من استيلائه عليها (٣) فدخلها المتقى وناصر الدولة - ومعهما الجيش - فى شوال (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م) ، وأعاد ناصر الدولة - أمير الأمراء - أبا إسحاق القراريطى - الذى كان قد استتر أثناء دخول البريديين بغـداد - إلى الوزارة (٤) ، وولى « توزون » - الديلمى - الشرطة (٥) ، فسكن الناس ، وعاد الأمر إلى بغداد بدرجة كبيرة .

ويصف ابن كثير مدى فرحة أهل بغداد بخروج البريديين وعودة

---

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٨٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٤ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٤ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٢٦ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٤ ، ابن خلدون: العبر ٣/ ٥٠٤ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٤ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٤ .

(٥) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٤ .

المتقى - ومعه الحمدانيين - : « ففرح المسلمون فرحا شديداً ... وتراجع أعيان الناس إلى بغداد بعد ما كانوا قد ترحلوا عنها »[1] ، ثم أعاد المتقى - بعد استقرار بغداد - أهله الذين كان قد أبقاهم فى سامرا[2] .

ويسجل الشاعر أبو فراس الحمدانى ما قام به الحمدانيون من إخراج البريديين عن بغداد ، وإرجاعهم الخليفة المتقى لحاضرة ملكه بقوله :

ففينا لدين الله عز ومنفعـــة وفينا لدين الله « سيف » و« ناصر »

همـــا وأمير المؤمنين مشـــرد أجاراه لما لم يجد من يجـــاور

ورداه حتى ملكـــاه ســـريره بعشرين ألفـــا بينها الموت ســـافر

وساسا أمور المســـلمين سياسة لها الله والإسلام والدين شاكر[3]

بعض إصلاحات ناصر الدولة :

كانت بغداد فى عهد أبى الحسين البريدى - وقبل تولى توزون شرطتها - قد ساءت حالتها جداً ، لذا فقد قام ناصر الدولة بعدة إصلاحات على درجة كبيرة من الأهمية فى هذا الوقت : منها الإهتمام بالأموال - عصب الإقتصاد والحياة اليومية للناس - فأصلح معيار - الدنيا وكان ناقصا - وضرب دنانير جديدة سماها الإبريزية ، فكانت تباع كل دينار منها بثلاثة عشر درهما ، وإنما كان يباع ما قبلها بعشرة[4] .

وأضاف إلى عبارة « محمد رسول الله » التى على الدينار عبارة « صلى الله عليه وسلم »[5] يقول الصولى مستحسنا هذا العمل من ابن

---

(١) البداية ١١/ ٢٦١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦١ .

(٣) د/ الشكعة : سيف الدولة ص ٤٧ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٣١ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣٤ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦١ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٣١ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٣٠ .

حمدان : « فكانت هذه عندى أجلُّ منقبة لآل حمدان ، ما كان لهم مثلها، تفرد بها ناصر الدولة »[1] .

وهدد الصيارف بإنزال العقاب بهم إذا لم يقلعوا عن التعامل بالربا ، ولكنهم لم يقلعوا بل وكانوا يريدون رباً ظاهر ، فأحضرهم وحذرهم - ثانية - وأحلفهم أن يكفوا عنه ، فاستجاب بعضهم ولم يستجب البعض الآخر ، « فتحسن قبيح أمرهم قليلاً »[2] .

وتعقب المفسدين ونكل بهم ، فأمن الناس شرهم[3] ، بعد أن كانت الدور تنهب ليلا ونهارا ، وفرض على الناس التقشف[4] ، وكانت النتيجة المباشرة لكل ما تقدم أن رخصت الأسعار - إلى حد ما - ، ففرح الناس بذلك[5] .

بل ونظر وفى الحدود أيضا ، فكانت تعرض عليه قصص أصحاب الجنايات فينظر فيها خوفا من أن يظلم أحد . وقيل كانت تعد عنده الأيدى والأرجل خوفا من أن يتهاون بعض أصحاب الشرطة فى عدم تنفيذ حد من حدود الله[6] .

ولم تقف إصلاحات ناصر الدولة عند هذا ، بل تطرقت إلى الناحية العمرانية ، فأمر أحمد بن على الكوفى بمباشرتها وموافاته بما تحتاجه من مال أو غيره[7] وكذلك حاول إصلاح النظام الإدارى ، فقد عزل الحاجب - بدراً الخرشى - لعدم قدرته وفهمه لطبيعة عمله ، وولى مكانه أبا بكر

---

(١) أخبار الراضى ص ٢٣١ .

(٢) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٣١ .

(٣) نفس المصدر السابق .

(٤) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٨٣ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٣٥ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٣٨ .

(٧) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٣١ .

بن خاقان . وصادر بعض الكتاب والصيارفة [١] وبهذا يكون ناصر الدولة الحمدانى أول أمير أمراء يقوم بإصلاحات متعددة فى بغداد ، لم يقم بها - أو يفكر فيها - من سبقوه فى الإمرة بداية بابن رائق (سنة ٣٢٤ هـ) ، ومروزا ببجكم وكورتكين إلى محمد بن رائق الثانية (سنة ٣٢٩ هـ) ولعل فى إصلاحاته هذه ما يؤكد ما سبق - من حرص الحمدانيين على أن تكون بغداد قوية لتصبح سندا وراء ظهورهم يعتمدون عليه .

ويبدو أن هذه الإصلاحات نالت القبول عند الخليفة المتقى ، حتى أنه عمل على توطيد صلته بالحمدانيين ، فزوج ابنه أبا منصور من « علوية » ابنة ناصر الدولة (سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ م) [٢] ، على صداق مقداره ألف ألف درهم [٣] وبذلك ارتفع مقام الأسرة الحمدانية إلى مقام سام سمح لهم بمصاهرة الخلفاء [٤] إلا أن ناصر الدولة قابل هذا بإحكام الخناق على الخليفة المتقى ، فضيق عليه فى نفقاته ، وكذلك نفقات أهل بيته ، وانتزع ضياعه وضياع والدته وضمهما إلى أملاكه ، ولم يبق له إلا أجزاء صغيرة فقط ، فكرهه الناس [٥] لتصرفه هذا مع الخليفة وأسرته .

علاقة الحمدانيين بالبريديين :

بعد أن استقر الحمدانيون فى بغداد عولوا على أخذ واسط من البريديين ، خاصة وقد بلغهم أن أبا الحسين البريدى قد سار من واسط يريد الرجوع إلى بغـــداد [٦] فاضطرب الناس ، وهرب وجوه أهل

---

(١) سعيد الديوه : تاريخ الموصل ١/ ١١٧ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٣٧ ، د/ أحمد رمضان : حضارة الدولة ص ٧٤ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٠٤ .

(٤) د/ الشكعة : سيف الدولة ص ٤٦ .

(٥) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٣٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٣٠ ، اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٣١٠ ، د/ أحمد رمضان : حضارة الدولة ص ٤٧ .

(٦) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٥ .

بغداد [1] فأقام ناصر الدولة بالمدائن [2] ، وسير أخاه سيف الدولة وابن عمه الحسين بن سعد بن حمدان فى جيش كبير لقتال البريدى ، فالتقى الفريقان بالكيل - تحت المدائن بفرسخين - يوم الأربعاء مستهل ذى الحجة (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م) [3] ، ودار بينهما القتال عدة أيام انهزم فيه سيف الدولة أمام البريديين وعاد إلى أخيه ناصر الدولة بالمدائن فرده للقتال وزوده بمن كان عنده من الجيش ، والتقى بأبى الحسين البريدى مرة ثانية تمكن فيها من هزيمته ، وقتل وأسر جماعة من أصحابه [4] ، فرجع أبو الحسين البريدى مهزوما إلى واسط [5] ، ولم يقدر سيف الدولة على مطاردته لما فى أصحابه من الوهن والجراح [6] - ومعهم الديلم والأتراك .

وعلى الرغم من أن توزون وخجخجج كانوا أحد الأسباب الرئيسية لأنتصار الحمدانيين على البريديين فى الكيل - (سنة ٣٣٠ هـ) - إلا أنهم عادوا وانقلبوا عليهم فى آخر شعبان (سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ م) [7] وكانت بوادر هذا الإنقلاب حين أخذ توزون أمر حجج يسيئان الأدب مع سيف الدولة - قائد جيوش الحمدانيين -، ويحاولان السيطرة ، ويطالبانه بالمال باستمرار [8] .

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٣٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٥ .

(٢) المدائن : جمع مدينة ، وسميت بذلك لأنها كانت سبع مدن ، كل واحدة منها إلى جانب الأخرى ، فجمعت فى مدينة واحدة ، وهي فى الجانب الغربى من دجلة ، (ابن عبد الحق : واصد الإطلاع ٣/١٢٤٣) . وقامت على أنقاض مدينة « طيسفون » القديمة ، (كى لسترنج : بلدان الخلافة ص ٤٢) .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٣٠ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣٣ .

(٤) منهم « يانس » غلامهم المشهور . (الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣٣) .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٣٠ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٤ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٨٥ .

(٧) مسكوية : تجارب ، الأمم ٢/ ٤٠ ، ٤١ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٩٧ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٦ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٩٤ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

وترجع أسباب انقلاب الديلم - ومعهم الأتراك - على الحمدانيين ، وإلى حسدهم لسيف الدولة - العربى الإنتصار على البريديين [1] ، وكذلك لأنهم شعب يصعب قيادته ، لما فى طبعة من الشدة والغلظة ، فمن الصعوبة استقراره على حالة واحدة ، ولذلك فإنهم إذا انقادوا للحمدانيين وقتا لن ينقادوا لهم الوقت الآخر . بجانب أن قادتهم - كتوزون مثلا - يرمون للفوز بالإمرة ، ففى الحمدانيين عائق أمام ما يرمون إليه ، وفى الإنقلاب عليهم إزالة هذا العائق - وهو ما سيأتى فى الفصل القادم إن شاء الله - وكذلك لمطالبتهم المستمرة للأموال الطائلة ، ومع هذا إذا أعطوها لم يقنعوا بها . فقد ذكر الهمذانى : أن ناصر الدولة دفع إليهم مرة خمسين ألف دينار وألفى ألف درهم ، ومع هذا لم يقنعوا بها [2] . أما إذا منع عنهم المال فتكون الطامة الكبرى والإنقلاب السريع .

ولما بلغ الخبر ناصر الدولة ببغداد خرج إلى باب الشماسية ، وحاول الخليفة المتقى أن يمنعه من الخروج ولكنه أصر عليه ، وعبر فى أكثر جيشه إلى شرق بغداد ليوهم الأتراك أنه يسير فى هذا الجانب ، ثم غير طريقة - فى قلة ممن يثق فيهم من أصحابه - إلى الجانب الغربى من بغداد [3] ، ومنه واصل سيره حتى الموصل .

وفى هذا الوقت كانت قد راجت إشاعة أن الخليفة المتقى راسل الترجمان - محمد بن ينال - فى القبض على ناصر الدولة والمجىء به إلى بغداد [4] ، فلما سمع العامة بهذه الإشاعة انقضوا على دار ناصر الدولة ونهبوها ، وعادت بغداد - كالعادة - إلى الفوضى ، فحاول أبو اسحاق

---

(١) د/ الكشعة : سيف الدولة ص ٦٠ .

(٢) تكملة ١١/٣٣٧ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٠ ، ٤١ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٣٩٧ ، ابن خلدون : العبر ٣/٥٠٦ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٤١ .

القراريطى - الوزير - مع الأخذ فى الإعتبار ضعف الوزارة فى هذا الوقت- ضبط أمورها فعمل ما قدر عليه .

وفي هذا الوقت كانت قد انعقدت الرياسة بواسط « لتوزون »[1] . وكان قد لجأ إليها مع خجنجح بعد هزيمة أبى الحسين البريدى أمام سيف الدولة .

وكانت إمارة ناصر الدولة ثلاثة عشر شهرا وثلاثة أيام[2] ، وقيل وخمسة أيام[3] .

وكان سيف الدولة قد رجع إلى بغداد بعد هزيمته لأبى الحسين البريدى بواسط ، فوجد ناصر الدولة قد خرج عنها ، فنزل بباب حرب وأرسل إلى الخليفة المتقى يطلب فيه المال ليعد به جيشه إعداداً جيداً يمكنه من صد توزون الذى خرج من واسط يريد العراق ، فأرسل إليه أربعمائة ألف درهم ، ففرقها فى أصحابه[4] ، ثم هرب عن بغداد كأخيه ناصر الدولة لما علم بقدوم توزون إليها ، ولعل فى دفع المتقى المال لسيف الدولة ليتمكن من مواجهة توزون ، ما يدل على أنه كان يرغب فى بقاء الحمدانيين فى الإمرة ، خاصة وقد حاول أن يمنع ناصر الدولة من الخروج عن بغداد من قبل ، على الرغم من أن الحمدانيين ضيقوا عليه فى نفقاته واستولوا على بعض ضياعه وضياع والدته - كما سبق ، ولعل هذا راجع إلى الإصلاحات المتعددة التى قام بها ناصر الدولة فى بغداد بجانب عروبة الحمدانيين التى يفضلى الخلفاء العباسيون على عجمية الأتراك والديلم .

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤١ ، ابن خلدون ٣/ ٥٠٦ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٩٧ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٤ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٤٢ ، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٣٩٨،ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٤ .

وعلى العموم كانت نتيجة فرار الحمدانيين أن عادت الفوض إلى بغداد ، فقد هرب خلق كثير منها إلى الشام ومصر [1] ، وغلت الأسعار ، وقل المعروض فى الأسواق من الأطعمة والملبوسات [2] ، والأدهى والأمر أن انتشر الرفض فى بغداد فى عهد الحمدانيين ، وكثر شتم وسب الصحابة - ﷺ أجمعين - ، مع تبرأ الخليفة المتقى من ذلك [3] فتمنى الناس عودة البريديين أو غيرهم [4] مع ما نالهم من الضرر والضرائب والغلاء ونهب دورهم ليلا ونهارا فى إمرة غير الحمدانيين ، ولكن يقبلون كل هذا على التشيع والرفض .

* * *

---

(١) اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٣١٠ .

(٢) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٣٧ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

« الفصل الرابع »

« توزون [1] وإِمرة الأمراء »

« الفصل الرابع »

« توزون [1] وإمرة الأمراء »

لما انتصر سيف الدولة على البريديين وكف عن ملاحقتهم إلى واسط وفى أثناء رجوعه إلى بغداد تخلى عنه توزون وخجنجج ، وعزما على الإستقلال ، فاتفقا على أن يلى توزون الإمارة فى واسط ، ويلى خجنجج قيادة الجيش [2] ، وتصاهرا [3] ، زيادة فى توثيق أوامر الصداقة والمحبة بينهما .

وفى هذا الوقت طمع أبو الحسين البريدى - الذى أصبح له تقريبا النفوذ على البريديين - فى استعادة واسط - وكان قد فرَّ عنها إلى البصرة - فعزم على الخروج إليها ، وأرسل عيسى بن نصر إلى توزون برسالة يهنئه فيها بالإمارة - التى لم يتقلدها حتى الآن ، ولكنه أصبح من أقوى المرشحين لها على الساحة -،ويحثه على التقدم إلى بغداد لإخراج الحمدانيين عنه،فأجابه توزون جوابا لطيفا، وامتنع عن تضمين واسط [4] ، قائلا له : « إذا استقرت الأمور - أى استولى على بغداد - تخاطبنا فى

(١) توزون ، ديلمى ، ويسميه ابن كثير « تورون » . (البداية ١١/ ٢٦٤) ، وقيل اسمه « طوسون » . (على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٨) . وهو أحد قادة الديلم الشجعان ، وعمل فى خدمة المتقى ، والحمدانيين ، ثم انقلب عليهم .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٢ ، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٣٩٧ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٩٧ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٢ ، ابن الأثير: الكامل ٨/ ٣٩٧ .

الضمان ، فأما وأنا بصورتى هذه ، وأنت تظن أنى مطلوب خائف من بنى حمدان فلا » [1] .

وهذا رد مقنع لأن الرجل مازال بعيدا عن بغداد ولم يلتق بالخليفة ليقلده الإمرة ، فهو نفسه فى حاجة إلى التقليد أولاً ، ثم يقلد غيره واسطا أو غيرها من البلاد بعد حصوله على صلاحيات الإمرة .

وفى الوقت الذى كان يستعد فيه توزون للتوجه إلى بغداد ساءت الظنون بينه وبين خجنجج - قائد جيشه - حتى أن توزون أتبع الرسول - عيسى بن نصر - جاسوسا ، فعاد إليه هذا الجاسوس وأخبره أن خجنجج اجتمع برسول البريدى وتخاليا طويلا ، وأن خجنجج يريد الأمان من البريدى ليتعاون معه ضد توزون - ولم ينتظر توزون بل خرج إليه على الفور فى مائة من خاصته [2] ، وقيل مائتين ممن يثق بهم ، فكبسه فى فراشه ليلة الثانى عشر من رمضان (سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ م) ، فلما أحس خجنجج بالإيقاع به حاول أن يلتقط سلاحه ليدافع به عن نفسه فلم يقدر وقبض عليه توزون [3] ، وسمله [4] وأرى أنه إذا كان خجنجج يريد التعاون مع البريدى ضد توزون أم لم يرد فإن توزون - دون شك - كان سيعمل على التخلص منه ، لأنه أحس أنه الوحيد الذى يمكن أن ينافسه على الإمرة فتذرع له بهذه الذريعة وتخلص منه .

وبالفعل ما إن تخلص توزون من خجنجج ، حتى خلف « كيخلغ » - أحد قواده - على واسط وتوجه مسرعا نحو بغداد [5] ، ففر عنها - كما سبق - الحمدانيون - ناصر الدولة أولاً ثم سيف الدولة ثانيا - إلى الموصل

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٢ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٣٩٨ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٢ .

(٥) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٦ .

- ودخلها يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان (سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ م) ، فتلقاه أعيان أهلهـا ، ودخلوا به على الخليفة المتقى فسلم عليه ، ثم أمر بإنزاله بدار مؤنس الخادم [١] ، وفى نزوله بها إشارة إلى أنه سيوليه الإمرة ، لأنها كانت دار ومقر أمير الأمراء .

وفى يوم الاثنين لست خلون من شوال استدعاه - فعلاً - الخليفة المتقى وخلع عليه ولقبه بأمير الأمراء [٢] وقيل كان السبب الذى دفع المتقى لتوليه توزون الإمرة ما أبداه من شجاعة فائقة فى طرد البريديين من البصرة وواسط [٣] والواضح أنه كان من أقوى القواد الموجودين على الساحة فى هذا الوقت ، الذى فرّ فيه الحمدانيون عن بغداد ، ولم يقدر البريدى على مواجهة توزون خجنجح ففر عن واسط إلى البصرة ، ثم تخلص توزون من خجنجح ، فأصبح أقرب الناس إلى الإمرة ، بجانب ما عرف عنه من الشجاعة والجرأة ، فرضخ له المتقى .

ويرى د/ حسن محمود ، د/ الشريف [٤] أن توزون كان من أهم الأمراء الذين تولوا الإمرة قبل العصر البويهى ، فقد استطاع أن يستولى على هذا المنصب من متنافسين قويين هما الحمدانيون والبريديون ، وبهذا أثبت أنه أقوى من ابن رائق ، وأثبت أيضا أنه أقوى من بجكم ، لذا كان توزون من أكبر شخصيات الدولة فى هذا الوقت .

وبتوليته الإمرة يلاحظ أن قوة الديلم أصبحت هى القوى المتحكمة فى مركز الخلافة ، لأن إمرة الأمراء استمرت فى يد الديلم حتى تسلمها بنو بويه (سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٩٤٥ م) - وهم من الديلم أيضا .

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٤٢ .
(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) د/ الفق : الدولة العباسية ص ٢٢٦ .
(٤) العالم الإسلامى ق ٢/ ٣٨٣ .

وتلاشى نفوذ الأتراك فى العراق ولم تقم لهم قائمة فيها حتى عهد السلاجقة - وهم من الترك - ولكن ليسوا من الطوائف التركية التى قدمت بغداد منذ عهد المعتصم (١) .

ومع بداية إمرة توزون ساءت حالة بغداد - كالعادة - ، فقد أمر بالقبض على عدد كبير من التجار وطالبهم بالمال (٢) ونهب الديلم - أتباع توزون - الدقيق من المتاجر ، حتى وقع القتال بينهم وبين العامة (٣) وندر وجود الفاكهة ببغداد ، « لأنهم أخذوها ظاهرا وباطنا » (٤) . فارتفعت الأسعار إرتفاعا فاحشًا ، وتوالت الفتن (٥) ، وأمام هذا الوضع المضطرب خرج كثير من تجار بغداد مع وفد الحاج إلى الشام ومصر (٦) .

العلاقة بين المتقى لله وتوزون :

بعد فترة وجيزة من إمرة توزون ساءت العلاقة بينه وبين الخليفة المتقى لله ، وذلك لأسباب : منها مساعدة المتقى لسيف الدولة الحمدانى لما كان ببغداد وطلب المال للتصدى لتوزون ، فقد دفع إليه المتقى أربعمائة ألف درهم (٧) ولكن سبق أن سيف الدولة لم ينتظر للقاء توزون وفرً عن بغداد لما علم باقتراب توزون منها .

فحمل هذه توزون للمتقى ، ولكن للحقيقة لم يظهر له شىء من النقمة عليه ، بل إن بعض بطانة المتقى هم الذين زينوا له الخروج عن بغداد ، وأساءوا الظنون بينه وبين أمير أمرائه توزون خوفا على أنفسهم

---

(١) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٨٣ .

(٢) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٤٣ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣٨ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٤٣ .

(٤) الصولى : المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(٥) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٤٠ .

(٦) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٣١.

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٣ ، ٤٤ ، ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص ٨١ ، ٨٢ .

ومصالحهم . فقد حدث أن « كيغلغ » لما خلفه توزون بواسط لم يقدر على التصدى لأبى الحسين البريدى فعاد إلى بغداد فعزم توزون على الخروج إلى واسط لتأديب البريديين ، وخلف ببغداد (محمد بن ينال الترجمان)[1] ثم تنكر توزون لمحمد هذا ، فنفر منه وارتاب فيه[2] .

وشارك الوزير أبو الحسين بن مقلة محمد بن ينال فى تحريض المتقى على توزون ، وذلك لأنه كان قد ضمن القرى المختصة بتوزون فى بغداد فخسر فيها جملة من الأموال فخاف أن يطالب بها ، فانقلب على توزون[3] ، وفى نفس الوقت كان ابن شيرزاد قد انضم إلى توزون مفارقا لأبى الحسين البريدى ، فقدمه توزون عنده ، فخافه ابن ينال وابن مقله ، وظنوا أن قدومه على توزون بإتفاق مع البريدى[4] ، للقبض عليهم والتخلص منهم .

وعلى الفور ذهبا - ابن مقلة وابن ينال - للمتقى وقالا له : « قد رأيت ما فعل معك البريدى بالأمس ، أخذ منك خمسمائة ألف دينار ، وأخرجت على الأخبار مثلها ، وقد ضمنك البريدى من توزون بخمسمائة ألف دينار أخرى ، وابن شيرزاد واصل إليك ليتسلمك ويخلعك ويسلمك للبريدى »[5] . فانزعج لذلك المتقى وعزم على الذهاب إلى الحمدانيين .

ويذكر الصولى[6] وهو مؤرخ معاصر - فى هذا المجال ، أن بعض الخدم حدثه أن بعض الرؤساء قال للمتقى لله : « يا سيدى خروجك إلى بنى حمدان أشد على توزون من ضرب عنقه ، وفى خروجك انحلال أمره

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٠١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٠١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٧ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٠١ .

(٦) أخبار الراضى ص ٢٤٧ .

وأعظم المكيدة له » . ويبدو أن هذا كلام ابن مقله للمتقى ، والدليل قول الخادم للصولى « أن بعض الرؤساء » ، وكان ابن مقلة هو الوزير في هذا الوقت .

ويؤكد الصولى [1] أنهم بهذه المشورة على المتقى بالخروج عن بغداد إلى الحمدانيين ما نصحوه ، وإنما خافوا على أنفسهم من توزون فخوفوا الخليفة منه ، ولو كان معه من ذوى نصحه من كان يعرف حقيقة الرأى ما تركه يخرج ، « وذلك أن توزون ما خالفه فى شىء أراده ، ومازال فى مراده ومحبوبه » .

ولما تمت سعاية ابن مقلة وابن ينال بين المتقــى لله وأمير أمرائه توزون ، اتفق وصول ابن شيرازاد إلى بغداد - من قبل توزون من واسط - فى الخامس من المحرم (سنة ٣٣١ هـ / ســنة ٩٤٢ م) فى ثلاثمائة فارس ، فلم يشك المتقى فى أنه ما جاء إلا للقبض عليه ، ومع هذا التقى به فى نفس اليوم الذى وصل فيه بغداد ، فحرضاه - ابن مقلة وابن ينال - على القبض عليه فلم يفعل [2] واستبد ابن شيرزاد بأمور بغداد دون الرجوع إلى المتقى فى شىء [3] .

المتقى عند الحمدانيين للمرة الثانية :

ولما استبد ابن شيرزاد ببغداد - مع وجود الخليفة المتقى فيها ، وساءت حالتها وكثر نهب الدور ليلا ونهارا من اللصوص ، وكثرت الفتن من كل جهة [4] ، قرر الخليفة المتقى الخروج عن بغداد والتوجه إلى بن حمدان أمراء الموصل .

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٤٧/٢ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٠٦/٨ ، ابن كثير : البداية ٢٦٧/١١ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٥ .

(٤) ابن كثير : البداية ٢٦٨/١١ .

وبالفعل راسل المتقى ناصر الدولة يطلب منه أن يسير إليه جيشا يصحبه من بغداد إلى الموصل ، فأرسل إليه ابن عمه أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان فى جيش كبير ،فلما دخل بغداد اختفى ابن شيرزاد، والتقى بالمتقى الذى خرج معه فى أهله وأعيان دولته إلى تكريت [١] وعقب خروجهم ظهر ابن شيرزاد من استتاره ، وظلم الناس وصادرهم ، وأرسل إلى توزون - بواسط يخبره بما حدث من المتقى [٢] وقدم ناصر الدولة على المتقى بتكريت فى الحادى والعشرين من ربيع الآخر (سنة ٣٣٢ هـ / سنة ٩٤٣ م) ، فأكرمه غاية الإكرام [٣] والحقيقة أن الحمدانيين فى هذه المرة لم يستطيعوا أن يعيدوا سلوكهم - تجاه المتقى ومن معه - كما حدث فى المرة الأولى [٤] .

ولما وصل إلى توزون خبر هروب الخليفة المتقى عن بغداد إلى الحمدانيين ، وتغيره عليه ، وعمله على التخلص منه ، سعى إلى مصالحة البريديين ، فاتفق مع أبى الحسين على عقد ضمان واسط - ستمائة ألف دينار سنويا - وزوجه إبنته [٥] ، وبهذا تفرغ لمواجهة الحمدانيين .

وتوجه توزون بالجيش إلى عكبرا ، وفيها التقى بسيف الدولة - ومعه الخليفة المتقى - فى حرب دامت ثلاثة أيام - الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، فى السابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ٣٣٢ هـ / سنة

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٨/٤٠٦ ، ابن خلدون : العبر ٣/٥٠٧ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٥ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/٤٨ ، ابن كثير : البداية ١١/٢٦٨ ، ابن خلدون: العبر ٣/٥٠٧ .

(٣) ابن الأثير: الكامل ٨/٤٠٧ ، ابن كثير : البداية ١١/٢٦٧ ، على ظريف : مختصر ص ٤٨ .

(٤) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الرسلامى ص ٣٨٤ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢/٤٨ ، الهمذانى : تكملة ١١/٣٤١ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٤٠٦ ، ٤٠٧ .

٩٤٣م) - تمكن فيها توزون من إلحاق الهزيمة بسيف الدولة والمتقى ، فنهب الأعراب سوادهما ، وبعد ذلك ملك توزون تكريت ، ولكن شغب عليه بعض الأتراك الذين معه ولحق بعضهم بناصر الدولة [١] ، فعول توزون على التقدم نحو الموصل لاستئصال شأفة الحمدانيين ، فتصدى له سيف الدولة والتقى به فى حَرْبَى [٢] - أول شعبان (سنة ٣٣٢ هـ / سنة ٩٤٣ م) - فتمكن توزون من هزيمته للمرة الثانية ، وولى سيف الدولة منهزما إلى داخل الموصل ، فتبعه توزون فخرج الحمدانيون والمتقى وسائر من معهم إلى نصيبين واستولى توزون على الموصل فاستخرج منها من أموال الحمدانيين - وغيرهم - مائة ألف دينار [٣] .

ومن الموصل راسل توزون الخليفة المتقى يدعوه للقدوم عليه ليذهب به إلى بغداد ، وأنه « عبده ، ولا خلاف عليه منه » [٤] ، فلم يصغ إليه المتقى ولا قبل منه ، لأنه لم يكن يثق به [٥] ، فأرسل توزون إلى ناصر الدولة فى أن يسير إليه الخليفة المتقى ، فكره الخليفة ذلك بعد ما فعله توزون بالموصل ، ورحل الحمدانيون والمتقى إلى الرقة [٦] آخر رمضان (سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م) [٧] .

---

(١) منهم « أرغش » ، وهو من أكبر قواده . « الصولى : أخبار الراضى ص ٢٥٦ » .

(٢) حَرْبَى : بليدة فى أعلى دجلة ، بين بغداد وتكريت ، كانت تنسج فيها الثياب القطنية الغليظة ، وتحمل إلى سائر البلاد . (ياقوت : معجم البلدان ٢/ ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

(٣) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، السعودى : مروج ٤/ ٣٤١ ، مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٨ ، ٤٩ ، الهمذانى: تكملة ١١/ ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٠٧ .

(٤) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٥٧ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٣٨ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٨ .

(٥) د/ حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ٣٣ .

(٦) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٥٧ ، مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٤٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥٠٧ .

(٧) المسعودى : مروج الذهب ٤/ ٣٤١ .

الصلح بين توزون والحمدانيين :

أراد توزون أمام تفاقم خطر بنى بويه أن يتفرغ لدرء خطرهم – وكانوا يتطلعون إلى بغداد [1] فقرر أن يدخل فى صلح مع الحمدانيين ، خاصة وقد حاول الخليفة المتقى تقريب وجهات النظر بينهم ، وذلك أن المتقى – المقيم بالرقة مع ناصر الدولة – أرسل إلى توزون برسالة مع أبى زكريا السوسى [2] ، فيها أنه : « قد أوحشتنى الظنون السيئة من البريديين، وعرفت أنك وهم يدا واحدة ، وقد عفا الله عما سلف ، فإن آثرت رضائى فصالح ناصر الدولة وارجع إلى الحضرة ، فإن الأمور تستقيم لك برضائى عنك » [3] . ولا يستبعد أن يكون هذا بتحريض من ناصر الدولة الذى استولى توزون على إمارته (الموصل) ، ولعل ما يؤكد هذا الإستنتاج اشتراط المتقى رجوع توزون إلى الحضرة – بغداد – وإذا رجع عنها ترك الموصل للحمدانيين على الضمان الذين يدفعونه عنها كالعادة .

وأوضح أبو زكريا للمتقى حين وجهه بهذه الرسالة إلى توزون ، «إنى أخافه على نفســـى » ، فقال له المتقى : « إذا قصدت الصلاح كُفيت » . فامتنع بإجابة المتقى وواصل سيره حتى الموصل ، فلما دخلها همَّ به الأتراك ، وارتاب منه توزون ، فأزال هذه الريبة بقوله له : أيها الأمير ، قد كنت أسغر بينك وبين ابن رائق ، فهل عرفتنى إلا مستقيما ؟ قال : صدقت . فقال : أنا رجل كبرت سنى وأرى طاعة الخليفة ، وخرجت معه احتسابا لا أطلب الدنيا ، وقد أنفذنى رسولا وأنتم أولادى ربيتكم ، وأرى الصلح .

---

(١) د/ أحمد رمضان : حضارة الدولة العباسية ص ٧٤ . .

(٢) وقيل كان معه أبو عبد الله بن أبى موسى الهاشمى . (الصولى : أخبار الراضى ص ٢٥٨ ، ابن الأثير : الكامل ٤٠٧/٨ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٤٩/٢ ، الهمذانى : تكملة ٣٤٢/١١ .

وكان يحضر هذا اللقاء (ابن شيرزاد) ، فأشار على توزون بقبول الصلح [1] .

وفى الوقت الذى كان فيه توزون يفكر فى قبول هذا الصلح أو رفضه، وردت الأخبار بقدوم معز الدولة البويهى إلى واسط ، فمال على الفور إلى مصالحة الحمدانيين [2] على أن تكون الأعمال من مدينة الموصل إلى آخر أعمال الشام لناصر الدولة ، ومن السن [3] إلى البصرة لتوزون ، وألا يعرض أحدهما للآخر [4] وألا يقبل الحمدانيون أحدا من جند توزون حين يفرون إليهم [5] وأن يدفعوا كل سنة ثلاثة الآف ألف وستمائة ألف درهم ضمانًا للموصل [6] ووقع هذا الصلح فى أول شوال(سنة ٣٣٢ هـ / سنة ٩٤٣ م) [7] ، ورجع توزون إلى بغداد ، وظل الخليفة المتقى مقيما عند الحمانيين بالموصل [8] .

ولما وقع الصلح بين توزون والحمدانيين وعاد إلى بغداد ظل بها حتى متصف ذى القعدة (سنة ٣٣٢ هـ / سنة ٩٤٣ م) [9] وفيه خرج للقاء معز الدولة الذى كان قد جاء لأخذ واسط بتحريض من أبى الحسين البريدى [10] ، فالقيا بقباب حميد ، ودار بينهما قتال استمر أحد عشر

---

(١) الهمذانى : تكملة ١١/٣٤٢ . (٢) نفس المصدر السابق .

(٣) السِّن : مدينة على دجلة فوق تكريت ، عند مصب الزاب الأسفل . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٢/٧٤٧) .

(٤) د/ ابراهيم الكردى : البويهيون ص ١٦٥ ، ١٦٦ ، د/ الشكعة : سيف الدولة ص ٤٧ . (٥) ابن الأثير : الكامل ٨/٤٤٦ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٢/٤٩ ، ٥٠ ، الهمذانى : تكملة ١١/٣٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٧) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٥٨ .

(٨) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٥٠ ، الهمذانى : تكملة ١١/٣٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٤٠٨ ، ابن كثير : البداية ١١/٢٦٧ ، ابن خلدون : العبر ٣/٥٠٧ .

(٩) مسكوية : تجارب الأمم ٢/٧٧ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٤٠٨ .

(١٠) الهمذانى : تكملة ١١/٣٤٣ ، ابن كثير : البداية ١١/٢٦٧ .

يوما ، بعده فضل توزون التأخر إلى نهر ديالى [١] ، ثم عبره واستولى على بعض زواريق معز الدولة المحملة بالسلاح والطعام وفيها الكثير من الأموال التى أتى بها معه [٢] للإستفادة بها للنفقة له ولجنده وللإحتفاظ بها لأنه لا يدرى ما يعرض له خلال عمليات القتال .

ومنع توزون جند معز الدولة - الديلم - من عبور النهر ، فشق ذلك على معز الدولة الذى قرر عبوره بنفسه لملاحقة توزون وجيشه ، فأرسل توزون بعض جنده وأمرهم أن يكمنوا له ، وما إن حاول معز الدولة العبور حتى خرجوا عليه بغتة وقاتلوه فانهزم أمامهم ومعه وزيره الصهيرى ، وأسر منهم أربعة عشر قائدا [٣] ،من جملتهم « ابن الأطروش» المعروف بالداعى العلوى [٤] ولحقوا جميعا بالسوس ، فى الرابع من ذى الحجة (سنة ٣٣٢ هـ / سنة ٩٤٣ م) [٥] .

وعاد توزون إلى واسط فملكها ثانية ، وفر أبو الحسين البريدى عنها إلى البصرة [٦] ومنها إلى الأهواز [٧] ، وبعد فترة قصيرة رجع توزون إلى بغداد لإصابته بمرض الصرع الذى كان يعتريه بعض الأحيان [٨] وفشل البويهيون فى أول محاولة - جادة - لإحتلال بغداد [٩] .

وخلال الفترة السـابقة - من عمر الإمرة - (من النصف الثانى من (سنة ٣٣١ هـ) ، وحتى توقيع الصلح بين توزون والحمدانيين فى شوال

---

(١) ابن الأثير : الكامل ٨/٤٠٨ ، ابن خلدون : العبر ٣/٥٠٨ .
(٢) الهمذانى : تكملة ١١/٣٤٤ .
(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/٧٧ ، ابن الأثير:الكامل ٨/٤٠٨ ، ابن خلدون : العبر ٣/٥٠٨ .
(٤) الهمذانى : تكملة ١١/٣٤٤ .
(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢/٧٧ ، ابن الأثير : الكامل ٨/٤٠٨ .
(٦) ابن خلدون : العبر ٣/٥٠٨ .
(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٢/٧٧ .
(٨) ابن كثير : البداية ١١/٢٦٧ .
(٩) د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٧٣ .

(سنة ٣٣٢ هـ) ، وما فيها من اضطراب داخلى على الإمرة ، بعض المدن بين توزون والحمدانيين والبريديين ، بل ومحاولة البويهيين استغلال هذا الإضطراب باحتلال بغداد بتحريض من البريديين ، تعرضت الدولة العباسية للخطر الخارجى أيضا ، فقد قدم الروم مرتين للإغارة على بلاد الجزيرة ، المرة الأولى (سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ م) ، وأغاروا على عدة مدن وهى (أرزن) [١] وميّافارقين [٢] ، ودارا [٣] ، فسبوا وقتلوا [٤] ، وأحرقوا [٥] ولما لم يتعرض لهم أحد أغزاهم هذا فتقدموا قريبا من نصيبين ودخلوها وفعلوا بها مثلما فعلوا بالمدن السابقة [٦] .

وقيل إن أهلها استغاثوا بناصر الدولة الحمدانى فلم يغثهم ، لأنه كان فى هذا الوقت مشغولاً بخيانة ابن عمه عبد الله له ، حيث اتفقا على الخروج إلى بغداد لإرجاع الخليفة المتقى إليها فأخلف موعده معه [٧] ولكن

(١) أرْزَن : من بلاد الجزيرة ، وهى بالقرب من خِلاط ، ولها قلعة حصينة ، وكانت من أعمر نواحى أرمينية . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ١/ ٥٥) كى لسترنج: بلدان الخلافة ص ١٤٤) .

(٢) ميّافارقين : من أشهر مدن ديار بكر فى الجزيرة وقيل ما بنى منها بالحجارة فهو من بناء أنو شروان ، وما بنى بالآخرة فهو من بناء أبرويز . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٣ /١٣٤١) ، وقيل إن ميافارقين العربية تحريف لإسم (ميفركت) الآرامى ، أو (موفركن) الأرض . ولها سور كبير بن بالحجر الأبيض ، وفى أعلاه شرفات . (كى لسترنج : بلدان الخلافة ص ١٤٣) .

(٣) دارا : بلد بالجزيرة فى لحف جبل ماردين ، بينها وبين نصيبين كان عندها معسكر دارا بن دارا ملك فارس لما لقى الإسكندر ، فقتله الإسكندر وتزوج ابنته ، وبنى فى موضع معسكره هذه المدينة وسماها باسمه . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٢/ ٥٠٤) .

(٤) الصولى: أخبار الراضى ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٣٠ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٥ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٣٠ .

(٦) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٤٦ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٣٥ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٥ .

(٧) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٤٦ .

الحقيقة أن الأمور كانت مستقرة له ، ولم يكن هناك أية بوادر من ابن عمه للإنقلاب عليه ، لذا فإن هذا أمر يدعوا إلى الغرابة ، لأن الحمدانيين الذين أخذوا على عاتقهم حماية الثغور والتصدى لهجمات الروم يتخلون عن إغاثة أهل نصيبين ، بحجة واهية وهى خيانة ابن عمه له ! ولعل السبب الحقيقى فى عدم استجابة ناصر الدولة لمساعدة أهل نصيبين يرجع إلى أنه فى هذه السنة (سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ م) كان مشغولاً بالصراع على الإمرة مع توزون - كما سبق - ومعظم الجيش مع أخيه سيف الدولة يحاول به دخول بغداد ، ومع هذا فالأولى التصدى للروم .
والمرة الثانية كانت فى السنة التالية مباشر (سنة ٣٣٢ هـ / سنة ٩٤٣ م) ، حيث استغل « الدُّمُستق » الخلاف الكبير بين المتقى لله وأمير أمرائه توزون ، وخروج المتقى على أثر هذا الخلاف إلى الحمدانيين ، وقدم فى ثمانين ألفا [١] ، وأغار على مدينة رأس عين [٢] ، واستباحها ثلاثة أيام ، ونهب ما فيها [٣] ، وأسر من أهلها قرابة الثلاثة الآف [٤] ، وقيل نحواً من خمسة عشر ألفا [٥] ويصور الصولى [٦] ما حدث لهذه المدينة بقوله : « . . . ووجدوا فيها قوافل مصعدة ومنحدرة ، فيها أمتعة لا يدرى قيمتها فأخذ كلها ، ونال المسلمين ما لم ينلهم مثله قط ، فلما أراد الرحيل - الدمستق - أحرق البلد » ، وخرج منها بعد ثلاثة أيام بعد أن قاتله الأعراب قتالاً شديداً وأجبروه على الخروج [٧] وهكذا كان الأعراب هم

---

(١) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٣٥ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤١٧ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٨ .

(٢) رأس عَيْن : مدينة كبيرة من مدن الجزيرة ، بين حرّان ودنيسر ، وفيها عيون كثيرة . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٢/ ٥٩٣ ، ٥٩٤) .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤١٧ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٨ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١٠ .

(٤) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٤٣ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٣٥ .

(٥) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٨ .

(٦) أخبار الراضى ص ٢٥١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤١٧ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٦٨ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١٠ .

الذين قاتلوه وأخرجوه ، وهذا لأن الدولة العباسية عامة قل اهتمامها بهذه المناطق لوجود عاصمتها فى بغداد ، على العكس من الدولة الأموية التى كانت تولى اهتماما كبيرا لهذه البلاد لقربها من عاصمتها دمشق .

وكذلك استغل القرامطة الإضطراب الواقع فى بغداد فى هذه السنة (سنة ٣٣٢ هـ / سنة ٩٤٣ م) فقد ورد رسولهم يطالب بمائة وخمسين ألف دينار لضمان سلامة الحاج ، ففرضها أبو جعفر بن شيرزاد - كاتب توزون - على عمال الكوفة ودفعها له ، فأصابهم عنت شديد بسبب ذلك [١] ثم أزال الله غمة القرامطة بوفاة أبى طاهر - سليمان بن أبى سعيد الحبابى الهجرى - يوم الإثنين السابع عشر من رمضان فى نفس السنة (٣٣٢ هـ سنة ٩٤٣ م) [٢] ، بمرض جدرى أهلكه [٣] يقول اليافعى [٤] معقبا على موته : « وأراح الله تعالى منه العباد والبلاد » . وفى شوال من هذه السنة أيضا توفى أبو عبد الله البريدى ، بحمى حادة مكث فيها سبعة أيام [٥] يقول ابن كثير [٦] : « فاستراح المسلمون من هذا البريدى ... ، كما استراحوا من الآخر - أبو طاهر .. » .

توزون ينهى خلافة المتقى (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤ م) :

سبق أن الخليفة المتقى بعد توقيع الصلح بين توزون والحمدانى رفض الرجوع مع توزون إلى بغداد وفضل البقاء عند الحمدانيين ، وظل مقيما عندهم من ربيع الآخر (سنة ٣٣٢ هـ) . إلى آخر السنة [٧] ثم ظهر له الضجر من بنى حمدان بمقامه عندهم [٨] ، فقد كان من رأى ناصر الدولة

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٦٤ - ٢٦٩ .

(٢) المسعودى : التنبيه ص ٣٣٨ .

(٣) اليافعى : مرآة الجنان ٢/٣١١ .

(٤) مرآة الجنان ٢/٣١١ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢/٨٥ ، ابن كثير : البداية ١١/٢٦٩ .

(٦) البداية : ١١/٢٦٩ .

(٧) ابن خلدون : العبر ٣/٥١٠ .

(٨) مسكوية : تجارب الأمم ٢/٦٧ ، ابن الأثير: الكامل ٨/٤١١ ، ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص ٨٢ ، ابن كثير : البداية ١١/٢٦٨ .

أن يرجع الخليفة إلى بغداد ، ويدفع هو لتوزون ما يريده من المال لضمان بلاده ، فخالفه المتقى لله فى هذا الرأى[1] .

وهذا هو المتوقع من الحمدانيين ، فقد كان ناصر الدولة يعول كثيرا على أن يساعده المتقى فى دخول بغداد واستعادة الإمرة ، ولكن قوة توزون حالت دون ذلك ، فلا فائدة من بقائه عندهم ، بل الأفضل إرجاعه إلى حاضرته لأن توزون لن يقبل بطول مكثه عندهم ، لأنه بالرغم من ضعف الخلافة فى ظل الإمرة إلا أن وقوف الخليفة بجانب أمير الأمراء قوة معنوية كبيرة له فى نظر العامة من الناس ، ففى إرجاعه يأمنون جانب توزون الذى انهزمت قواتهم - بقيادة سيف الدولة - أمامه مرتين .

وكذلك فى بقاء الخليفة المتقى عندهم ما يثير عليهم من يتطلعون إلى الإمرة كالبريديين والبويهيين ، لأنهم برعايتهم للمتقى وإنفاق المال عليه ، ما يوضح أنهم يريدون العودة إلى بغداد بواسطته .

ومن ناحية ثالثة لعلهم تضرروا من كثرة الأموال التى ينفقونها عليه وعلى أهله وحاشيته ، لأنهم لا يدرون متى سيرجع ، وقد تطول فترة بقائه عندهم ، وهم فى نفس الوقت يدفعون لتوزون - أمير الأمراء - ثلاثة ملايين وستمائة ألف درهم سنويا ضمانا للموصل ، وكانوا أيضا يقومون بالقتال فى الثغور الجزرية ضد الروم ، وهذا يحتاج إلى أموال ضخمة لإعداد الجيوش وتجهيزها للقتال .

ثم ماذا يتوقع من الحمدانيين الشيعة تجاه الخليفة العباسى السنىّ ، وقد انتفى الغرض من وجوده عندهم ؟! ففى رجوع المتقى إلى بغداد كما طلب منه ناصر الدولة ، راحة لهم من جميع الوجوه ، لذا أظهروا الضجر منه .

واضطر المتقى أمام موقف الحمدانيين هذا إلى مراسلة توزون فى

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٥٨ .

العودة إلى بغداد بشرط أن يتعهد بعدم التعرض له - خاصة وأن المتقى كان لا يثق به - ،وأرسل المتقى لهذا الغرض الحسن بن هارون وأبا عبد الله بن أبى موسى الهاشمى فدخلا بغداد والتقيا بتوزون واستوثقا منه وحلفاه للمتقى ، فأحضر توزون لليمين خلقا كثيراً « من القضاه والعدول ، والعباسيين ، والطالبيين ، ومشايخ الكتاب » ، وحلف بحضرتهم للمتقى، وكتب بذلك كتابا محكما وقعت فيه الشهادة من الجميع على توزون [١] ألا يغدر بالمتقى ، وأن يسمع له ويطيعه ، وينفذ جميع أوامره ونواهيه ، ويترك خلافه فيما أحب وأراد [٢] ، يقول اليافعى عن حلف توزون هذا وتعهده للمتقى : « وحلف توزون أيمانا صعبة للمتقى » [٣] ، ويرى د/ حسن محمود ، د/ الشريف أن ما وعد به توزون المتقى عبارة عن تحايل بالوعود الزائفة فقط [٤] .

وكان الخليفة المتقى فى نفس الوقت - الذى راسل فيه أمير الأمراء توزون لتأكيد العهد عليه - قد كتب إلى محمد بن الإخشيد - صاحب مصر - يستقدمه [٥] ، فقدم إليه فعلا ودخل حلب فخرج عنها أبو عبد الله سعيد بن حمدان [٦] ، ومن حلب توجه إلى المتقى بالرقة [٧] ، فالتقى به يوم الخميس فى منتصف المحرم (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤ م) [٨] فأكرمه

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٦٧ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤١١ ، ٤١٢ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١١ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ٤/ ٣٤٢ .

(٣) مرآة الجنان ٢/ ٣١٢ .

(٤) العالم الإسلامى ص ٣٨٤ .

(٥) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١٠ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤١٨ .

(٧) الرَّقَّة : مدينة مشهورة على الفرات من الجانب الشرقى ، بينها وبين حران ثلاثة أيام ، وهى من بلاد الجزيرة ، وفتحها عياض بن غنم (سنة ١٧ هـ) . (ياقوت : معجم البلدان ٣/ ٥٨ - ٦٠ ، ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٢/ ٦٢٦) .

(٨) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٦٧ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤١٨ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٠ .

المتقى وأظهر السرور بقدرمه ، ومن جانبه آخر أظهر محمد بن الأخشيد كل ما يدل على الإكبار والتقدير لشخص خليفة المسلمين المتقى لله ، حتى أنه وقف بين يديه وقوف الغلمان ،ومشى بين يديه والخليفة راكب [١] ، وقدم إليه مالاً كثيراً بلغ ثلاثمائة ألف دينار ونيف [٢] ، وأهدى إليه هدايا عظيمة فيها الغلمان والأثاث ،وضم إليه قائداً من قواده [٣] ولم تقتصر أموال وهدايا ابن الإخشيد علي المتقى لله ،بل تعدته إلى وزيره ابن مقلة، فقد منحه عشرين ألف دينار،ولم يدع كاتبا ولا حاجبا للمتقى إلا بره [٤].

ويبدو أن المتقى سر بإخلاص ابن الإخشيد وهداياه له ، فأقره على عمله فى الشام ومصر ثلاثين عاما . « والواقع أن هذا التقليد من قبل الخليفة لم يكن له شأن عملى كبير ، وإنما كان إقراراً للواقع إذ أن ابن الإخشيد كان قد أخذ البيعة لابنه - أنوجور - من كبار القواد قبل لقاء الخليفة » [٥] .

وحاول محمد بن الإخشيد إقناع الخليفة المتقى بأن يسير معه إلى مصر ليقيم خلافته هناك [٦] ، وقيل ليأمن على نفسه [٧] . وقال له : « يا أمير المؤمنين أنا عبدك وابن عبدك ، وقد عرفت الأتراك وفجورهم - وكذلك الديلم - فالله الله فى نفسك » [٨] . فلم يقبل منه المتقى وقال له: « كيف أقيم فى زاوية من الدنيا وأترك العراق متوسطة الدنيا وسرتها ،

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٦٨/٢ ، الهمذانى : تكملة ٣٤٧/١١ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٠ .

(٢) على بن ظافر : أخبار الدول ص ٢٤٣ .

(٣) المسعودى : مروج الذهب ٣٤١/٤ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٦٨/٢ .

(٥) د/ سيدة كاشف : مصر في عهد الإخشيديين ص ٩٤ .

(٦) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١٠ .

(٧) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٦ .

(٨) نفس المصدر السابق .

ومستقر الخلافة وينبوعها ؟ »[1] . فأشار عليه بالمقام فى مكانه - الرقة - ولا يرجع إلى بغداد ،وخوفه من توزون ووعوده ، فلم يقبل منه أيضا[2].

وقيل إن الإخشيد عرض أيضا على ابن مقلة وزير المتقى أن يسير معه إلى مصر ليحكمه في جميع بلاده فلم يجبه خوفا من توزون ، فكان ابن مقلة يقول بعد ذلك : « نصحنى الإخشيد فلم أقبل نصيحته »[3] .

وهكذا رفض الخليفة المتقى ما عرضه عليه محمد بن الإخشيد من الرحيل معه إلى مصر والشام أو البقاء فى الرقة . وتعلق د/ سيدة كاشف على رفض المتقى لله الذهاب إلى مصر والشام قائلة : « ولسنا ندرى لماذا استنجد الخليفة بالإخشيد ثم رفض أن يصحبه إلى مقر ولايته ؟ » . وتجيب على تساؤلها هذا بقولها : « والراجح عندنا أن الخليفة كان قد فقد ثقته فى القواد والزعماء ، وأصبح لا ينتظر أن يكرمه الإخشيد طويلا ، ففضل ألا يبعد عن حاضرة ملكه ، وأن يعمل على الصلح مع توزون أمير الأمراء »[4].

ولو أتيح للإخشيد أن ينجح فى جذب الخليفة إلى مصر لتغير إلى حد ما مستقبل الخلافة ، والواقع أن الإخشيد لم يكن أول وال عباسى فكر فى مثل هذا المشروع فقد سبقه ابن طولون حين دعا الخليفة المعتمد إلى اللجوء إلى مصر هربا من استبداد أخيه الموفق الذى كان له الأمر والنهى فى شئون الجيش والبلاد ، وكاد المعتمد يحقق حلم ابن طولون لولا أن قبض عليه عيون أخيه الموفق وأرجعوه إلى حاضرته شبه سجين ، وهكذا

---

(١) ابن شاكر : فوات الوفيات ١/ ١٧ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٦٨ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٤٧ ، على بن ظافر : أخبار الدول ص ٢٤٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤١٨ ، ٤١٩ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٠ .

(٤) مصر فى عهد الإخشيديين ص ٩٤ ، ٩٥ .

أخفق ابن طولون والإخشيد فى جعل مصر مركز الخلافة العباسية ، ولم يتم ذلك إلا على يد الظاهر بيبرس فى القرن السابع الهجرى ، الثالث عشر الميلادى [١] .

ورجع الإخشيد إلى مصر [٢] ، معتذرا للمتقى بخوفه على ولايته من خطر الفاطميين ، فأذن له [٣] ومن بعده قرر المتقى الرجوع - أيضا إلى بغداد مرة أخرى ، إذا كان يخشى أن يعين توزون خليفة غيره [٤] فحذره الحمدانيون - أيضا - كما حذره الإخشيد وأشاروا عليه ألا يذهب إلى بغداد ، وخوفوه من غدر توزون به ، فأبى إلا مخالفتهم والثقة بما ورد عليه من توزون [٥] .

وبالرغم من رفض المتقى هذا التحذير الأخير من الحمدانيين ، إلا أنه أحدث فى نفسه بعض الخوف من توزون ، فأرسل إليه بهيت [٦] القاضى الخرقى - أحمد بن عبد الله بن إسحاق - ليجدد تأكيد العهد عليه، وأرسل له بعض الهدايا [٧] ، فوصل الخرقى بغداد يوم الخميس الرابع من صفر (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤ م) [٨] والتقى بأمير الأمراء توزون فقدم إليه الهدايا ، وأبلغه أن المتقى لقبه بالمظفر ، ويطلب منه تأكيد العهد- مرة ثانية - ألا يغدر به ، فجمع توزون الفقهاء وجدده فى حضورهم [٩] . وقيل إن المتقى كان قد أرسل لتوزون - مع القاضى الخرقى - بخلع وطوق

---

(١) د/ سيدة كاشف : مصر فى عهد الإخشيديين ص ٩٥ .

(٢) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٦ .

(٣) د/ سيدة كاشف : مصر فى عهد الإخشيديين ص ٩٦ .

(٤) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٨٤ .

(٥) المسعودى: مروج الذهب٤/ ٣٤٢،على ظريف:مختصر تاريخ بغداد ص ٤٩ .

(٦) هيت : بلدة على الفرات فوق الأخبار ، ذات نخل كثير وخيرات واسعة ، وهى على جهة اكرية فى غرب الفرات . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٣/ ١٤٦٨) .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٧٠ ، على بن ظافر : تاريخ الدول ص ٢٤٣ .

(٨) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٧٩ .

(٩) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٤٧ ، على بن ظافر : تاريخ الدول ص ٢٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤١٩ ،

ليخلعها عليه إذا عفا عما حدث بينهما من أسباب الخلاف ، فلم يقبل توزون إلا بحضور الخليفة نفسه [١] .

ورجع الخرقى بتأكيد العهد من توزون للمتقى ، وأشار عليه بالمبادرة إلى بغداد [٢] ، فخرج المتقى من الرقة فى الرابع من المحرم [٣] ،فوصل بغداد آخره (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤) [٤] فتلقاه أبو جعفر بن شيرزاد أحسن لقاء ، وأقام له الأتراك ، وسار به حتى نهر عيسى [٥] ، ومنه إلى الضيعة المعروفة بالسندية على شاطىء هذا النهر ، وعندها التقى بأمير الأمراء توزون قبَّل توزون الأرض بين يديه ، وقال له : « لقد وفيت بيمينى لك ، والكلمة لك » [٦] ، وترجل له ومشى بين يديه ، والخليفة راكب ، فأقسم عليه المتقى أن يركب ففعل [٧] ، وقيل لم يفعل وأصر على أن يكون راجلا [٨] ، وهو الأقرب إلى الصواب ، لأن فيه مدى إظهار طاعته وتبجيله للمتقى ، فيأمن إليه تماما ، وهو ما يريده توزون الذى كان يحرص على ألا يدخل فى نفسه أى شىء يريبه منه .

ووصل به توزون إلى المضـــرب الذى نصب له على شط نهر عيسى [٩] ، وإلى هذا الوقت لم يظهر توزون للمتقى أيه بادرة من كلمة أو

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٧٩ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٦ . (٤) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١١ .

(٥) نهر عيسى : نسبة إلى عيسى بن على بن عبد الله الهاشمى بن عباس ، وأصله نهر الرُفَيل ، وإنما غلب عليه اسم نهر عيسى لما أجراه عيسى من البر تحت قصره ، وهو غربى بغداد ، ويأخذ من الفرات ويصب فى دجلة عند قصر عيسى بن على (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ٣/ ١٤١٤) .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤١٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١١ ، على ظريف : مختصر ص ٤٩ .

(٧) المسعودى : مروج الذهب ٤/ ٣٤٢ .

(٨) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٦ .

(٩) المسعودى : مروج الذهب ٤/ ٣٤٢ .

إشارة على التنكيل به . ولكن ما إن حط الركب رحاله عند هذا المضرب حتى أظهر توزون الوجه الآخر للخليفة المتقى ، فأمر غلمانه بالقبض عليه ، ونهب جميع ما كان معه ، وقبض أيضا على وزيره ابن مقلة ، وعلى قاضيه أحمد بن إسحاق [1] ، ثم أمر بسملة [2] ، فصاح المتقى وصاحت النساء والخدم لصياحه ، فأمر توزون بضرب الدبادب حول المضرب حتى لا يظهر صوته ، وأخذ منه البردة والقضيب والخاتم [3] ويعلق مسكوية على سمل توزون للمتقى بقوله : « وارتجت الدنيا بفعله هذا » [4] . وفى اليوم التالى دخل به بغداد مسمول العينين [5] ، وكان سمله وخلعه من الخلافة فى العشرين من صفر (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤ م) [6] وفعل توزون هذا بالخليفة يدل على مدى القسوة والوحشية ، وكذلك يوضح إلى أى حد وصلت الإستهانة بالخلفاء ، الذين ضاعت هيبتهم ومكانتهم منذ استيلاء الأتراك على بغـــداد ، وفى ظل إمرة الأمراء .

وكان المتقى قد قال بعد سمله :

كحلونا وما شكـــو	نا إليهم الرمـــــد
ثم عاثوا بنـــا ونحـ	ـن أسود وهم نقـد
كيف يغتـــر من أذا	نا وفى دستنا قعـد [7]

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) سمله : سمل العين فقأها بمسمار أو حديدة محماة . (المعجم الوسيط ٤٦٨/١) .

(٣) المسعـــودى : مروج الذهب ٣٤٢/٤ ، ابن الأثير : الكـــامل ٤١٩/٨ ، ابن كثير: البداية ١١/ ٢٧٠ ، اليافعى : مرآة الجنان ٣١٢/٢ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٦ .

(٤) تجارب الأمم ٧٢/٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٤١٩/٨ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٠ .

(٦) المسعودى : مروج ٣٤٤/٤ .

(٧) ابن شاكر : فوات الوفيات ١٨/١ .

ب بغداد وقال القاهر – كان قد حبس ثم أطلق وظل في بغداد حتى توفى (سنة ٣٣٩ هـ) ولما علم بسمل المتقى

صرت وإبراهيم شيخي عمى ... لابد للشيخين من مصدر

ما دام توزون له إمـــــرة ... وطاعة فالميل فى المجمر[1]

وأخرج المتقى إلى جزيرة مقابلة للسندية فسجن بها وظل في سجنه أربعـــا وعشرين سنة ، حتى توفي في شعبان (سنة ٣٥٧ هـ / سنة ٩٦٧ م)[2] وكانت خلافته ثلاث سنين ونصف[3] ، وقيل ثلاث سنين وعشرة أشهر وعشرين يوما[4] .

ويخطىء الصولى[5] المتقى لله فى عدة أمور هى :

أنه ترك دار مملكته – بغداد – وخرج عنها برأى محمد بن ينال – الترجمان – وأشباهه بغير سبب يوجب ذلك ، مع أن أمير الأمراء توزون كان مطيعا له غاية الطاعة والولاء .

ومنها تحريضه لناصر الدولة ابن حمدان على محاربة توزون مرة بعد مرة على كراهية من ابن حمدان للحرب . كل ذلك طمعا من المتقى فى إزالة توزون عن بغداد والإمرة .

ومنها أنه كاتب محمد بن الإخشيد يستنجد به على توزون ، « كل هذا هو فيه ظالم للأمير توزون » .

وكذلك قدومه على توزون ووضع يده في يده ، ظنا منه أن توزون حدث أعجمى نسى أخطاءه السابقة ، « والله لو فعل الرشيد هذا بالمأمون في حلمه وعقله ، وهو ابن له ما احتمله ؟! »

---

(١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٦ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) ابن خلدون : العبر ٣/٥١١

(٤) المسعودى : التنبيه ص ٣٤٤ .

(٥) أخبار الراضى ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

وخلال سمل المتقي والرجوع به إلى بغداد اضطربت – كالعادة – أيما اضطراب ، فقد كثرت الغرامات على الناس ، وكبست البيوت ليلا ونهارا ، حتى أن البيت الواحد كان يدخله جملة من اللصوص بالسيوف والنشاب ، وزادت الأسعار ، فشغب الناس لزيادتها وتكلموا في هذا ، ومنعوا الإمام في الجانب الغربي من بغداد من الصلاة حتى انصرف أكثر الناس ، ثم صلى الإمام بمن بقى صلاة خفيفة [1]

ويصور على بن ظافر [2] هذا الغلاء بقوله : « وكان في أيامه غلاء شديد وشدة حتى بلغ الكر – مكيال يساوى خمسة وعشرون رطلاً – من الحنطة اثنا عشر دينارا ، وخرج الحرقة الحريم من مقر الرصافة ينادون الجوع الجوع » .

وعلى الجملة يصور ابن خلدون [3] حال الدولة العباسية في خلافة المتقى لله بقوله : « وقد تقدم لنا أنه لم يكن بقي في تصريف الخليفة إلا أعمال الأهواز والبصرة وواسط والجزيرة والموصل لبني حمدان

واستولى معز الدولة على الأهواز ، ثم على واسط ، وبقيت البصرة بيد أبى عبد الله البريدى ، واستولى على بغداد مع المتقى بجكم ، ثم ابن البريدى ، ثم توزتكين – كورتكين – الديلمى ، ثم ابن رائق ثانية ، ثم ابن البريدي ثانية ، ثم حمدان ، ثم توزون – توزون – ، يختلفون على المتقى واحداً بعد واحد وهو مغلب لهم والحل والعقد والإبرام والنقض بأيديهم ، ووزير الخليفة عامل من عمالهم متصرف تحت أحكامهم » .

وليس هناك تصوير أحسن مما وصف به ابن خلدون هذه الفترة من عمر الإمرة فى ظل خلافة المتقى لله (سنة ٣٢٩ – سنة ٣٣٣ هـ) فالأعمال تستقطع عملاً بعد عمل ، والأمراء ينزعون إلى الاستقلال

---

(١) الصولى : أخبار الراضى ص ٢٧٦ ، ٢٧٨
(٢) أخبار الدول المنقطعة ص ٢٤٢ .
(٣) العبر ٣/ ٥١٠ .

بأعمالهم ، والسبب فى هذا ضعف الخلافة التى يتحكم فيها أمراء الأمراء الذين تعاقب حكمهم على فترات قصيرة متقاربة ، لم تمكن أحدًا منهم من الامتداد إلى العناية بأية إصلاحات ، وإذا ما حاول أحدهم الإصلاح وبدأه فعلا - كابن حمدان - يخلع بعد قليل ، أو تقوم الثورة عليه ، خاصة حين يقع الصراع بين الأتراك والديلم ، حتى الوزراء الذين يعول عليهم - بحكم وظيفتهم فى مساعدة الخليفة كانوا مثله سلبوا جميع سلطاتهم فى ظل الإمرة ، مما كان له أثره السلبى على الخلافة والوزارة ، وبالتالى على الدولة العباسية بوجه عام .

توزون والإمرة فى خلافة المستكفى :

لما سمل توزون المتقى لله وخلعه استدعى أبا القاسم عبد الله بن المكتفى وبايعه ولقب المستكفى بالله [1] وذلك فى العشرة الأواخر من صفر (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤ م) [2] فرد عليه المستكفى بأن طوقه وسوره [3] ووضع على رأسه التاج المرصع بالجواهر [4] ،وجلس توزون بين يدى المستكفى على كرشى ، فأمره على إمرته ، وفوض إليه شئون تصريف الدولة [5] ، ولم يكن للمستكفى منذ بداية خلافته حول ولا قوة ، وإنما كان رمزًا لوحدة الدولة وظل يحكم على طريقة أمير الأمراء [6] .

وهكذا كما عزل توزون الخليفة المتقى استطاع أن يختار خليفة غيره يكون طوع يديه ، وهو المستكفى ، ومن هذا يتضح مقدار ما وصل إليه توزون من قوة ، ومقدار ما وصلت إليه الخلافة من ضعف [7] وزيادة من

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٣٤٢/٤ ، ابن كثير : البداية ٢٧١/١١ ، الخضرى: محاضرات - طبعة المكتبة التجارية سنة ١٩٧٠ م - ٣٧١/٢ .

(٢) ابن كثير : البداية ٢٧١/١١ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٣٣٩/٦ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ٣٣٩/٦ .

(٥) الهمذانى : تكملة ٣٤٩/١١ ، ابن الجوزى : المنتظم ٣٣٩/٦ .

(٦) د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٦٨ .

(٧) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الإسلامى ص ٣٨٤ .

توزون فى إحكام قبضته على الخليفة المستكفى ، ضم إليه غلاما تركيا من غلمانه يقف بين يديه [1] .

ولا شك أن الذى دفع توزون إلى ضم هذا الغلام إلى المستكفى هو الوقوف على أسرار الخليفة ، وما يجرى فى دار الخلافة من أمور [2] .

ولما أصبح المستكفى تحت سيطرة توزون ، فقد أشار عليه بالخروج إلى الموصل لتأديب ناصر الدولة الذى أخر المال المقرر عليه ضمانا لبلاده ، واستقبل غلمانا هربوا من توزون وجعلهم فى خدمته ، وكان من شروط الصلح السابق بينهما ألا يقبل ناصر الدولة أحد من جند توزون ، فوافق الخليفة . ولما خرجا من بغداد - المستكفى وتوزون - فى رجب (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤ م) - ترددت الرسل فى الصلح بين الطرفين ، واجتهد ابن شيرزاد فى توقيع صلح جديد بين توزون وناصر الدولة ، على أن يعجل ناصر الدولة دفع المتأخر عليه من المال ، فتم الصلح على هذا الشرط ، ورجعا المستكفى وتوزون إلى بغداد [3] .

وكان أحمد بن بويه وهو بالأهواز يراقب كل ما يجرى فى بغداد ، ويتحرى الأخبار عن الحوادث التى تقع فيها ، فاغتنم فرصة نكبة الخليفة المتقى لله على يد توزون وتقـــدم بجيشــه لأخذ واسط ، فى آخر رجب (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤ م) [4] فلما سمع به توزون خرج إليه ومعه الخليفة المستكفى - أيضا - فلما علم ابن بويه باقترابهما من واسط خرج عنها فى السادس من رمضان من نفس السنة - ووصل الخليفة وتوزون إلى

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٤/ ٣٥٧ .

(٢) د/ حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ٣٥ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٢ ، د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٧٣ .

واسط ، فأرسل إليهما أبو القاسم ابن عبد الله البريدى يسألهما واسط على أن يدفع ضمانها السنوى فوافقاه وسلماها إليه ، وعادا إلى بغداد فدخلاها فى الثامن من شوال (سنة ٣٣٣ هـ / سنة ٩٤٤ م) [١] .

نهاية توزون :

وهكذا أصبحت السلطات الفعلية كلها فى يد أمير الأمراء توزون ، غير أنه لم يتمتع بالإمرة طويلا [٢] ، فقد توفى فى الثانى عشر من المحرم (سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٩٤٥ م) ، فى داره ببغداد [٣] ، وكانت إمرته سنتين وأربعة أشهر وسبعة وعشرين يوم [٤] ، وقيل سبعة عشر يوما [٥] .

وبتحليل إمرة توزون يتضح أنها كانت كلها خلاف بينه وبين المتقى لله لانعدام الثقة بينهما ، وترتب على هذا الخلاف خروج خليفة المسلمين المتقى عن حاضرة ملكه إلى الحمدانيين ، والذين حاول أن يحرضهم على توزون ، ولما ظهر له الضجر منهم يمم وجهه شطر الشام ومصر واستنجد بمحمد بن الإخشيد فلم يقدم إليه أية مساعدة حقيقية تساعده على الرجوع إلى بغداد ، وكل ما قدر عليه أن قدم له حفنة من الأموال ، وحذره من توزون .

وكما كانت إمرة توزون خلاف بينه وبين المتقى،كانت أيضا صراعا مريرًا بينه وبين الحمدانيين والبويهيين من أجل السيطرة على بغداد والإمرة ، ووضح سلفًا أكثر من مرة نتيجة هذا الصراع من الاضطراب الشديد فى بغداد ، والذى يؤدى إلى الفوضى العارمة ، مما يشجع على ظهور اللصوص الذين ينبهون ويقتلون ، مما يجعل بغداد فى الداخل

(١) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٢ .
(٢) د/ إبراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٦٨ .
(٣) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٢ .
(٤) نفس المصدر السابق .
(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨١ .

كالمرجل ، وفى نفس الوقت كان يستغل هذا الاضطراب الأعداء فى الخارج كالروم والقرامطة .

وفى إمرة توزون زاد نفوذ الديلم فى حاضرة الدولة العباسية ، واستغل هؤلاء الديلم إمرة سيدهم توزون ، وامتدت أيديهم إلى نهب كل ما وصلت إليه ، بل واقتدته إلى البطش بالناس ، فكثرت الشكوى منهم ولا أحد يسمع ، ولما لم يردعهم سيدهم توزون - إلا متأخرا - اضطر كثير من سكان بغداد - خاصة التجار وأصحاب الأموال - إلى الرحيل إلى الشام ومصر .

كما اتضح أن معاهدات الصلح التى كانت توقع فى هذه الفترة كانت وقتية فقط لإنهاء حالة التوتر ، وبعد انتهاءها ومع أول فرصة لنقضها كانت تنقض على الفور ، وهذا أحدث من الحمدانيين مع توزون ، فقد صالحوه مرة لما انتصر عليهم ، ثم نقضوا هذا الصلح لما اضطربت الأمور أثناء سمل المتقى ، فخرج إليهم توزون بالخليفة الجديد - المستكفى - فخافوه ووقعوا معه صلحا جديداً .

ولكن أسوأ ما فى إمرة توزون على الإطلاق ، قدومه على سمل خليفة المسلمين وخلعه وحبسه ، حيث أضاع البقية الباقية من الهيبة والتقدير لخلفاء هذا العصر .

* * *

« الفصل الخامس »

« الإِمرة بين ابن شيرزاد والبويهيين »

« الفصل الخامس »

« الإمرة بين ابن شيرزاد والبويهيين »

إمرة ابن شيرزاد[1] :

لما توفى توزون فى الثانى عشر من المحرم (سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٩٤٤ م) ، كان كاتبه ابن شيرزاد غائبا بهيت لتخليص بعض أموالها[2] ويبدوا أن ابن شيرزاد فى البداية لم يكن راغبا فى الإمرة ، بدليل أنه لما بلغه خبر موت توزون عزم على عقد الإمارة لناصر الدولة الحمدانى ؛ فلما علم جند توزون اضطربوا عليه وقرروا أن يولوه الرئاسة عليهم[3] بدلا من صاحبهم توزون ·

ويرى الذهبى والسيوطى أن ابن شيرزاد هو الذى طمع فى الإمرة وقام بتحليف الجند لنفسه عقب وفاة توزون مباشرة[4] وهذا رأى له وجاهته فالإمرة فى هذا الوقت كانت مطمعا من كبار القواد من الأتراك والديلم على السواء ، فلن يفوت ابن شيرزاد هذه الفرصة - الذهبية - التى واتته أن تمر بسهولة ·

---

(١) محمد بن يحيى بن شـــيرزاد ، وزير بجكم · كان فى أول أمره عند البريديين ، ولكن تغير عليهم وفرّ عنهم إلى واسط (سنة ٣٣١ هـ / سنة ٩٤٢ م) ، فجدوا فى طلبه فلم يلحقوا به ، لأنه كان قد لحق بالأمير توزون ، وأصبح من خاصته وكتابه (الصولى : أخبار الراضى ص ٢٤٤) ·

(٢) الهمذانى : تكملة ٣٥٢/١١ ، ابن الأثير : الكامل ٤٤٨/٨ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٢ ·

(٣) ابن الأثير : الكامل ٤٤٨/٨ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٢ ، ابن خلدون : العبر ٥١١/٣ ·

(٤) سير أعلام النبلاء ١١٢/١٥ ، تاريخ الخلفاء ص ٣٩٧ ·

وعليه فقد خرج - بمن معه من الجند - عن هيت وواصل سيره حتى نزل بباب حرب[1] مستهل صفر[2] فأرسل إليه المستكفى بالله بخلع وثياب بيض وطعام فاخر[3] فقبل ابن شيرزاد كل هذا ، ووجه إلى المستكفى بالله ليحلف له يمينا تسكن نفسه إليها ، فأجابه إلى ذلك[4] ، وحلف له فى حضور القضاة والعدول والجند ، فدخل إليه ابن شيرزاد من معسكره - بباب حرب - فولاه الإمرة[5] ، فى الثانى من صفر (سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٩٤٥ م)[6] ثم سأله إعادة اليمين بحضرة وجوه الأتراك والديلم ، فشق عليه ذلك ، ثم حلف له[7] .

وهنا يظهر أمرًا جديدا ، فبعد أن كان القواد والأمراء والوزراء يحلفون للخليفة أصبح الخليفة هو الذى يحلف لهم[8] ، ولعل الذى دفع ابن شيرزاد على أن يستحلف المستكفى بالله مرتين شكه فى إخلاصه له ، وهذه كانت سمة من سمات هذا العصر ، فقدان الثقة بين الخليفة وأهله وأقاربه ، وبينه وبين القواد والأمراء والوزراء ، وبين الوزراء والأمراء ، وهكذا مما فتح المجال للسعاية والنفاق .

ولم تكن حال بغداد فى عهده بأحسن حالاً مما كانت عليه فى عهد

---

(١) باب حَرب : محلة ببغداد ، نسبة إلى حرب بن عبد الملك ، أحد قواد أبى جعفر المنصور ، وهى التى يقال لها الحربية ، بالقرب من مقبرة الإمام أحمد بن حنبل (ياقوت : معجم البلدان ١/ ٣٠٧ ، ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ١/ ٣٨٩ ، ٣٩٠) .

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٨ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١١ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٢ .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٢ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٨ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٢ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١١ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٢ .

(٧) نفس المصدر السابق .

(٨) على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٤٩ .

من سبقوه فى الإمرة ، ففى بداية إمرته زاد أزراق جنده زيادة كبيرة ، فقلت الأموال التى بين يديه [١] ، فلما لم يجد فى بيت المال ما يدفعه لهم قسط الأموال على الرؤساء والكتاب والتجار فاضطربت بغداد [٢] ، فظهر اللصوص ، وكبسوا الدور [٣] ، وكان إذا ظفر السكان بلص قتله العامة قبل أن يصل إلى الوالى ، [٤] من شدة غيظهم .

وفى إمرته أيضا زادت الضرائب المتعددة على الناس [٥] ، وكان فى بغداد ساعيان يعرفان بهاروت وماروت يسعيان إليه بمن عنده قوت لأولاده فيأمر بأخذه قسرا[٦] وكانت النتيجة أن بغداد أصبحت شبه محاصرة ، وانقطع جلب المواد إليها [٧] ، فهرب الناس عامة والتجار خاصة عنها بسبب ما لاقوه فيها من عنت ومشقة تفوق الوصف [٨] وتقاعد الناس عن الأعمال والزراعة ، فزادت الأسعار جدا ، وقطعت الطرق [٩] ، فضاعت هيبة الحكومة - الخلافة والوزارة والإمرة - ، وعجزت الشرطة عن الضرب على أيدى المفسدين واللصوص[١٠]، ففقد الأمن وحل محله الخوف والفزع ، فكيف يرجى لبغداد وتوابعها التقدم فى ظل نظام الإمرة ؟!

وأمام هذا الوضع المادى المتدهور وحاجة ابن شيرزاد إلى المال ، اضطر لمراسلة ناصر الدولة الحمدانى يطلب منه المال مقابل أن يتنازل له عن

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٨ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٣ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٤٤٨ ، على ظريف : مختصر ص ٥٠ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٩ .

(٤) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٤ .

(٥) المصدر السابق ٢/ ٨٣ .

(٦) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٢ .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٩ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٢ .

(٨) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١١ .

(٩) على ظريف : مختصر ص ٥٠

(١٠) د/ حسن ابراهيم : تاريخ الإسلام ٣/ ٣٥

الإمرة . [1] وأرسل لهذا الغرض رسوله أبا عبد الله محمد بن أبى موسى الهاشمى [2] فأرسل إليه ابن حمدان خمسمائة ألف درهم وطعاما كثيراً ، ففرقها ابن شيرزاد فى جنده فلم تؤثر [3] ، فنقض عهده مع ابن حمدان ولم يتنازل له عن الإمرة [4] .

ومما زاد الطين بلة على ابن شيرزاد فى هذا الوقت المضطـرب ، أن « ينال كوشة » - عامله على واسط - انقلب عليه ، وكاتب معز الدولة البويهى - يستقدمه إلى بغداد [5] وأما « اليشكرى » - عامله على تكريت - فقد صار إلى ناصر الدولة - الحمدانى - بالموصل وأخبره بحال بغداد ، وأطعمه - تقريبا - فى الإمرة ، فكافأه ناصر الدولة بأن أقره على عمله فى تكريت [6] . وبناءً على ما سبق ، ولما ضاق الأمر بالناس فى بغداد ، وسئموا تجبر الأتراك والديلم وظلمهم وغدرهم بالخلفاء وتضييقهم عليهم ، استغاثوا سراً بمعز الدولة - مع أنه من الديلم - الذى قرر التوجه إلى بغداد ، مغتنما هذه الفرصة لتأسيس الدولة البويهية بها [7] .

البويهيون والإمرة :

فى أثناء الفوضى السابقة الناتجة عن نظام الإمرة ، وتحكم الأتراك والديلم تقدم علىّ بن بويه يريد الأهواز والعراق ، بعد أن تمت سيطرته على معظم بلاد فارس، ونجح أخوه أحمد معز الدولة فى دخول الأهواز ،

---

(1) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٢ .

(2) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٩ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١١

(3) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٩ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٢ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١١ .

(4) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٣

(5) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٣ ، ابن الأثير : الكمل ٨/ ٤٤٩ .

(6) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٩ .

(7) على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٥٠ ، د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٦٦ .

ثم تمكن من الاستيلاء على واسط [1] وكان الخبر قد ورد بدخول ينال كوشة فى طاعة أحمد بن بويه، الذى تحرك فعلا من الأهواز يريد بغداد ، فاضطرب الأتراك والديلم وأخرجوا مضاربهم إلى المصلى ، وتقدم أحمد بن بويه ونزل باجسرى [2] فزاد الإضطراب ببغداد ، واستتر ابن شيرزاد ، وكذلك الخليفة المستكفى [3] .

وقيل بل خرج إليه ابن شيرزاد بمن معه من الجيش والتقى الفريقان ، وبعد معارك ضارية بينهما انهزم ابن شيرزاد وفرّ بمن معه إلى الموصل [4] ، والرأى الأول هو الراجح - الإستتار - لأن الأحداث التى ستأتى بعد قليل - تؤكده . وكذلك كانت هذه عادة الذى يشعر من الأمراء والوزراء بملاحقته ومحاولة القبض عليه ، كان يعمل على الإستتار ببغداد وقد حدث هذا من ابن رائق من قبل ، وكانت إمرة ابن شيرزاد ثلاثة أشهر وعشرين يوما [5] وقيل وخمسة أيام [6] .

ولما استتر ابن شيرزاد سار بعض الأتراك إلى الموصل ، فظهر الخليفة المستكفى من استتاره ، واجتمع بأبى محمد الحسن بن محمد المهلبى - صاحب معز الدولة - فأظهر المستكفى السرور بقدوم معز الدولة ، وأعلمه إنما استتر من الأتراك ليتفرقوا فيحصل الأمر لمعز الدولة دون قتال [7] .

وجدد المهلبى البيعة للمستكفى عن معز الدولة وأخويه عماد وركن

---

(١) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١٢ ، د/ محمد حلمى : الخلافة ص ١٦٨ .

(٢) باجِسرا : معناها فى العربية « بيت الجسر » . (كى لسترنج : بلبلدان الخلافة ص ٣٤) . وهى بلدة فى شرقى بغداد ، بينها وبين حلوان ، وهى عامرة ونزهة كبيرة . (ابن عبد الحق : مراصد الإطلاع ١/ ١٤٧) .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٤ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٠ .

(٤) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١٢ ، على ظريف : مختصر ص ٥١ .

(٥) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٤ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٩ .

(٦) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٣ .

(٧) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٥ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٤٩ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

الدولة [1] فسر الخليفة المستكفى وأرسل إليهم بالألطاف والفاكهة وأنواع الطعام [2] .

ولما كان يوم السبت الحادى عشر من جمادى الآخرة (سنة ٣٣٤ هـ/ سنة ٩٤٥ م) نزل معز الدولة فى معسكره بباب الشماسية ، وبعد ساعات دخل إلى الخليفة المستكفى ، ووقف بين يديه طويلا ، وحلف كل منهما للآخر على الوفاء وعدم الغدر [3] ، وأن يؤمن معز الدولة ابن شيرزاد [4] - إذا ظهر من إستتاره - فقبل معز الدولة ، فألبسه المستكفى الخلع وطوقه وعقد له لواء ، وجعله أميراً للأمراء [5] ، ولقب « معز الدولة » ، وعلىّ « عماد الدولة » ، والحسن « ركن الدولة » [6] ، وأمر أن تضرب ألقابهم على الدنانير والدراهم [7] ، ويذكر اسم - معز الدولة - فى الخطبة [8] .

وبعد ذلك طلب معز الدولة من المستكفى أن يأذن لابن شيرزاد بالظهور ، لأنه يريد أن يتخذه كاتبا له فأجابه المستكفى ، وظهر ابن شيرزاد والتقى بمعز الدولة ، فولاه الخراج وجباية الأموال [9] ، ونزل معز الدولة دار مؤنس الخادم - مسكن أمير الأمراء - وسكنها [10] .

(١) ابن خلدون : العبر ٣/ ٥١٢ . (٢) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٠ .

(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٠ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٣ . (٤) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٣ .

(٥) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٣ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٠ .

(٦) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٥ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٣ .

(٧) مسكوية : تجارب ٢/ ٨٥ ، ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٠ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٥/ ١١٢ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٣ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٧ . (٨) د/ حسن الباشا : الفنون الإسلامية ١/ ١٨٩ .

(٩) الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٤ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥٠ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٣ .

(١٠) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٥ ، الهمذانى : تكملة ١١/ ٣٥٤ .

وظل لقب أمير الأمراء متوارثا فى بنى بويه الذين تلقبوا جميعا بهذا اللقب فيما عدا عماد الدولة . غير أن هذا اللقب لم يلبث أن فقد أهميته كاسم وظيفة ، وأصبح مجرد لقب فخرى منذ (سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م) [١] أما بالنسبة لأصحاب معز الدولة من الديلم - وبعض الأتراك - فقد نزلوا فى دور الناس واستولوا عليها ، فلحقهم من ذلك شدة بالغة ، وصار هذا مفروضا عليهم بعد ذلك [٢] ، وأول من فعله معز الدولة ومن معه من الديلم ، ولم يعرف أن أحدًا أقر هذا الأمر من قبل معز الدولة [٣] ، وهو أيضا أول من أظهر السعادة ببغداد [٤] .

ونتيجة للخوف والفزع الذى تملك سكان بغداد من نزول الديلم - وبعض الأتراك - فى دورهم ، فقد عمت الفوضى واضطربت بغداد ، وتداعت إلى الخراب من شدة القحط والفتن والجور [٥] ، واشتد الغلاء حتى أكل الناس الميتة والكلاب [٦] ، من شدة الجوع .

والأدهى والأمر أن معز الدولة بعد أن استولى على بغداد بدأ يقطع قواده ومواليه القرى كأرزاق عوضا عن المرتبات النقدية ، وبذلك بدأ نظام الإقطاع - الإسلامى - الذى استقر بعد ذلك فى عهد السلاجقة ، وكان لهذا النظام مساوئ خطيرة فى عهد بنى بوية ، إذ أخذ كل مقطع يعنى بما تحت يده فقط ، ومن ثم عجز صغار المقطعين عن توفير ما يلزم لإقطاعهم من مياة الرى ، نظرًا إلى أن تحقيق ذلك يتوقف على مد القنوات إلى أراضيهم وصيانتها ، مما لا يتأتى إلا عن طريق سلطة مركزية قادرة [٧] ،

---

(١) د/ حسن الباشا : الفنون الإسلامية ١/ ١٩٠ .

(٢) مسكوية : تجارب الأمم ٢/ ٨٥ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥٠ ، ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٣ .

(٣) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٠ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥٠ .

(٤) السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٧ .

(٥) اليافعى : مرآة الجنان ٢/ ٣١٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٦٥ .

(٧) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/ ٤٥٦ .

ومن هنا تلف معظم ما كان بأيدى العامة وصغار الملاك من الأراضى ، وذلك لإهمال الرى وعدم تطهير القنوات ، بالإضافة إلى فداحة الضرائب ، وتغير المتقفعين ، وكثرة المصادرات .

ومن جهة أخرى عجز عمال الخراج عن أن يحصلوا من القواد وذوى العصبية الديلمية على المستحق عليهم من الضرائب لتهربهم من الدفع اعتمادا على قوة نفوذهم ، وكان من جراء ذلك أن ارتفعت عن اقطاعات هؤلاء القادة أيدى العمال وبطلت الدواوين ، كما كان يحدث أحيانًا أن يتهاون بعض ذوى النفوذ فى العناية بإقطاعه حتى يخرج فيرده ويطلب غيره وهكذا ، وإزاء ذلك شدد معز الدولة على قواده والمقربين إليه على أن يعنوا ويؤدوا المستحق عليهم من الأموال ، ومع ذلك كانت الجبايات تقرر على هؤلاء حسب اقتراحاتهم ، ولم يكن أصحاب الدواوين يجرؤون على مراجعتهم أو محاسبتهم ، وبذلك نقصت أموال الدولة ، مما اضطر معز الدولة أن يلجأ إلى المكوس والمصادرات [١] .

وتنبه معز الدولة لهذا الخطر شدة تحكم وتفوق العنصر الديلمى فى كل شىء فخشى انفرادهم بالسلطة الحربية ، لذا فقد قرب إليه الأتراك وضمهم إلى جيشه ، وسارت سياسته على الموازنة بين الديلم والأتراك [٢]، مما قلل من خطر الديلم وكسر شوكتهم إلى حد ما .

البويهيون والخلافة :

كان الخليفة العباسى حتى نهاية عصر نفوذ الأتراك يتمتع ببعض الإمتيازات والحقوق التى ورثها منذ قيام الدولة العباسية (سنة ١٣٢ هـ / سنة ٧٤٩ م) ، وكانت تلك الامتيازات رمزًا لسيادة الخلفاء العباسيين السياسية والدينية ، وتشمل حق الخليفة فى تعيين وزير يعاونه فى إدارة

---

(١) د/ حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٠ .

شئون البلاد وإقامة الخطبة بإسمه المساجد ، ونقش اسمه على السكة ، وضرب الطبول أمام داره في أوقات الصلوات الخمسة ، والإحتفاظ بضياعه السلطانية ، كما كان من حقه تعيين الأمراء والقضاة والعدول وأصحاب الحسبة ونقباء الأشراف وأمراء الحج وخطباء المساجد ، وفتح الألقاب [١] وغير ذلك .

وظل يحتفظ ببعض هذه الحقوق فى عصر الإمرة ولكن بدخول البويهيين بغداد (سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٩٤٥ م) ، بدأ دور جديد فى تاريخ الخلافة العباسية لم يكن للخلفاء فيه أى عمل فى إدارة الدولة ، إذ رغبوا بأنفسهم عن مجرد التفكير فى محاولة القيام بعمل جدى يعيدون به للخلافة شيئا من مكانتها [٢] ولم يبق للخليفة شىء إلا المظهر الخارجى فهو الذى يقلد الأمير البويهى سلطانه ويعطيه العهد . وكل ما كان يفعله الأمير البويهى أن يتظاهر بإحترامه للخليفة . كان هذا أمام الشعب الذى تعود على احترام الخلافة العباسية ، أما إذا أراد البويهيون أن يزيلوا خليفة سلطوا عليه ديالمتهم يتصرفون معه ، كما فعلوا بالمستكفى [٣] كما سيأتى بعد قليل - إن شاء الله .

ونستعرض الآن أقوال بعض المؤرخين عن سيطرة البويهيين على الخلافة ، يقول اليافعى معلقا على إمرة الدولة : « واستوثقت المملكة لمعز الدولة » [٤] .

ويقول ابن خلدون [٥] : « ثم جاء معز الدولة إلى بغداد وصرف الخليفة فى حكمه ، واختص باسم السلطان .... فبقيت أخبار الدولة

---

(١) د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٧٨ .
(٢) د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٦٦ .
(٣) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة العباسية ص ١٩١ .
(٤) مرآة الجنان ٢/٣١٣ .
(٥) العبر ٣/٥١٢ .

تؤثر عنهم ، وإن كان فيها ما يختص بالسلطان فقليل ، فلذلك صارت أخبار هؤلاء الخلفاء منذ المستكفى - الذى دخل البويهيون بغداد فى عصره - مندرجة فى أخبار بنى بوية والسلجوقية من بعدهم ، لعطلهم عن التصرف إلا قليلاً يختص بالخلفاء ، والدليل على ذلك خلع المستكفى وتولية المطيع » .

ويقول ابن الأثير [١] : « وازداد أمر الخلافة إدباراً ، ولم يبق لهم - الخلفاء - من الأمر شيء البتة ، وقد كانوا يراجعون ويؤخذ أمرهم فيما يفعل ، والحرمة قائمة بعض الشيء ، فلما كان أيام معز الدولة زال ذلك جميعه بحيث لم يبق له وزير وإنما كان له كاتب يدبر إقطاعاته وإخراجاته لا غير ، وصارت الوزراة لمعز الدولة يستوزر لنفسه من يريد » .

ويقول الشيخ الخضرى [٢] : « وهذا اليوم - تاريخ دخول البويهيين بغداد للإمرة - هو تاريخ الدور الثانى للخلافة العباسية ، وهو تاريخ سقوط السلطان الحقيقى من أيديهم ، وصيروه الخليفة منهم رئيسا دينيًا لا أمر له ولا نهى ولا وزير » .

وواضح من أقوال المؤرخين ضياع النفوذ الفعلى الباقى للخلفاء العباسيين فى ظل الحكم البويهى ، حتى أنهم قرروا مرتبات محددة للخلفاء كل يوم ، فرتب معز الدولة للخليفة المستكفى بالله كل يوم خمسة الآف درهم لنفقاته [٣] ، وكانت دون كفايته [٤] ، ومع ذلك كانت ربما تأخرت عنه [٥] ، فأقرت له مع ذلك ضياع سلمت إليه تولاها أبو أحمد الشيرازى كاتبه [٦] .

---

(١) الكامل ٨/ ٤٥٢ .

(٢) محاضرات الأمم الإسلامية ٢/ ٤٢٤ .

(٣) ابن كثير : البداية ١١/ ٢٧٣ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ص ٣٩٧ .

(٤) ابن الساعى : مختصر أخبار الخلفاء ص ٨٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥٠ (٦) نفس المصدر السابق .

ولم يكتف البويهيون بهذا ، بل كانوا يعزلون الخلفاء ويسملونهم ويولون غيرهم كما حدث للمستكفى بالله ، الذى اختلف المؤرخون ، حول أسباب قبض معز الدولة عليه وسمله وخلعه من الخلافة :

قيل فى سبب هذا ، أن « علماً » قهرمانة المستكفى بالله أقامت وليمة عظيمة حضرها جماعة من قواد الديلم ، فاتهمها معز الدولة أنها فعلت ذلك لتأخذ عليهم البيعة للمستكفى بالله ، وأن ينقضوا رئاسة - إمرة - معز الدولة ، فساء ظنه لذلك [1] وإن صحت هذه الرواية فهى توضح إلى أى مدى كان الشك وسوء الظن بين الخلفاء والأمراء وعامة القواد . كما يستنتج منها أيضا أن ضعف الخلفاء كان سببا لتحكم النساء فى بعض الأمر كعلم وإقامتها هذه الوليمة ودعوتها لعدد كبير من قواد الديلم ، مما كان سببا فى التنكيل بالخليفة المستكفى بالله .

وقيل بسبب الوحشة التى كانت بينهما ، وزادها علم معز الدولة بأن المستكفى يسعى فى إعادة حقوق الخلافة المغصوبة [2] ، فى ظل نظام الإمرة .

وقيل أيضا فى سبب ذلك أن الخليفة المستكفى قبض على الشافعى رئيس الشيعة ، فشفع فيه (إصفهدوست) - قائد الجند فى بغداد - إلى الخليفة ، فلم يقبل شفاعته فساءه ذلك ، وذهب إلى معز الدولة وقال له : راسلنى الخليفة فى أن ألقاه متنكرا للنظر فى أمر تنحيتك ، فازداد سوء ظن معز الدولة بالخليفة [3] .

وأخيراً قيل : إن مرد هذا راجع إلى أن الحرب لما طالت بين الحسين بن عبد الله بن حمدان (سنة ٣٣٤ هـ) - لما كان معز الدولة بصدد

---

(١) مسكوية : تجارب الأمم ٨٦/٢ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٥ / ١١٢ .
(٢) على ظريف : مختصر تاريخ بغداد ص ٥٢ .
(٣) مسكوية : تجارب الأمم ٨٦/٢ ، الذهبى : سير أعلام النبلاء ١١٢/١٥ ، ١١٣ ، د/ إبراهيم الكردى : البويهيون ص ١٨٠ .

الإستيلاء على بغداد وكان فى الجانب الشرقى من بغداد ومعه الأتراك - وبين أحمد بن بويه الديلمى فى الجانب الغربى ومعه المستكفى بالله ، اتهم معز الدولة الخليفة المستكفى بممالئة بنى حمدان ومكاتبتهم بأخباره ، وإطلاعهم على أسراره (١).

والحقيقة أن محصل هذه الأراء الأربعة أن الخليفة المستكفى بالله كان يريد التخلص من سيطرة البويهيين ، سواء بالتحالف مع الحمدانيين أو غيرهم ، وهذا شىء طبيعى لأنه أحس أنه مسلوب الإرادة فى حاضرة ملكة ، ولكن البويهيين الذين جاءوا للسيطرة الكاملة على بغداد لن يسمحوا له بهذا ، لأنه يتعارض مع ما يرمون إليه من السيطرة على الخلافة وحاضرتها ، لذا عول معز الدولة على التخلص منه .

وعليه فإنه لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من جمادى الآخرة(٢) ، وقيل فى الثانى والعشرين (سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٩٤٥ م) (٣) توجه معز الدولة إلى دار الخلافة (٤) ، متظاهرا بالطاعة (٥) ، ودخل على المستكفى وسلم عليه وقبل الأرض بين يديه ، فأمر له المستكفى بكرسى فأحضر وجلس إلى جواره ، ثم تقدم نحو المستكفى ، رجلان من الديلم ومدا أيديهما إليه ، فظن أنهما يريدان تقبيل يده فناولهما إياها ، فجذباه جذبة شديدة أوقعته من على سريره ولفا عمامته على عنقه لخنقه (٦) ، وقيل وضعاها فى فمه (٧) وجراه أمام الحضور ، فقام معز الدولة ،

---

(١) المسعودى : مروج الذهب ٤/ ٣٧١ .

(٢) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٢ .

(٣) ابن خلدون : العبر ٣/ ٨٦ .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٢ .

(٥) د/ محمد حلمى : الخلافة والدولة ص ١٧١ .

(٦) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥١ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٨٦ ، ٨٧ .

(٧) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥١ .

واضطرب الناس ودخل الديلم دور الحريم [1] ، وقبض بعضهم على القهرمانة - علم - [2] وسيق المستكفى إلى دار معز الدولة راجلا فاعتقل بها ، ونهبت داره حتى لم يبق فيها شىء ، وسُمل [3] ، وتم خلعه من الخلافة [4] فكانت خلافته سنة وأربعة أشهر ويومين [5] وتوفى فى حبسه ليلة الجمعة السادس عشر من ربيع الآخر (سنة ٣٣٨ هـ / سنة ٩٤٩ م) [6] وأحضر الفضل بن المقتدر فبويع ولقب المطيع لله [7] .

ويظهر أن مؤامرة خلعه كانت معدة قبل هذا الوقت (جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ هـ) ، وقبل دخول معز الدولة بغداد . فقد ذكر أنه أثناء إقامة الفضل عند معز الدولة لما هرب إليه سراً خوفا من المتكفى الذى أراد القبض عليه اتفقا على ذلك . بل إن الفضل كان قد انتقل إلى معز الدولة . عندما دخل بغداد - واستتر عنده ، وأغراه بخلع المستكفى [8] .

---

(١) ابن لجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥١ .

(٢) الذهبى : سير أعلام النبلاء ١٥/ ١١٣ ، ابن خلدون : العبر ٣/ ٨٦ .

(٣) وبذلك أصبح ثلاثة خلفاء مسمولين وهم المستكفى والذى قبله - المتقى - والقاهر ، وانتهى معظم خلفاء هذا العصر نهاية قريبة الشبه من نهاية المستكفى ، إذا نجد أن المطيع يرغم على التنازل عن الخلافة ، ويعقبه الطائع الذى يولى عضد الدولة ما وراء بابه ، وأخيرا يخلع قهرا . ولم يقف بنو بويه عند حد سلب الخلفاء نفوذهم العام بل إنهم كانوا يتدخلون فى شئونهم ، ومن أمثلة ذلك ما كان من أمر الخليفة القائم الذى كثيرا - ما كان يتذمر من (جلال الدولة) بسبب تدخله فى شئونه الخاصة ، (د. حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٩٣) . وكان الذى سمل المستكفى المطيع انتقاما لأخيه المتقى (ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥١ ، د. ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٨٠) .

(٤) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥١ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٣ .

(٦) على بن ظافر : أخبار الدول المنقطعة ص ٢٤٥ .

(٧) ابن الجوزى : المنتظم ٦/ ٣٤٣ ، ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥١ .

(٨) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/ ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ابن كثير : البداية - المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ - ١١/ ٢١٢ ، د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٨٠ ، ١٨١ .

وكان السبب فى امتهان البويهيين للخلافة هكذا ، أنهم كانوا يتشيعون [١] ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها - من العلويين - ، فلم يكن عندهم باعث دينى يحثهم على طاعة الخلفاء ، حتى فكر معز الدولة فى إخراج الخلافة عن العباسيين والبيعة للمعز لدين الله الفاطمى أو لغيره من العلويين ، لولا أثناه عن عزمه هذا بعض خواصه [٢] ، قائلا له : « إنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا » [٣] ، فأعرض عما كان قد عزم عليه ، وأبقى الخلافة لبنى العباس وانفرد هو بالسلطان [٤] .

ويضيف د/ العش أسبابا أخرى فى إعراض معز الدولة عن تحويل الخلافة إلى البيت العلوى ، منها أن أهل العراق كان قد قبلوا بالخلافة العباسية واعتادوا عليها وأصبحت قطعة من حياتهم - هكذا كلامه - وللخلفاء العباسيين قوة بالسنية المنتشرة فى العراق . وعليه فإن رفع هذا

---

(١) كان البويهيون يتشيعون على المذهب الزيدى الذى نشأوا فى كنفه (د/ العش: تاريخ عصر الخلافة ص ١٨٧ ، د/ ابراهيم الكردى : البويهيون ص ١٧٨) . وكان دخول هذا المذهب بلادهم على يد الحسن بن زيد - الملقب بالداعى الكبير - ثم تمكن الناصر الأطروس من تأسيس الدولة فى بلاد الديلم (سنة ٢٥٠ - سنة ٢٧٠ هـ (د/أحمد صبحى : الزيدية ص ٢١٢ - ٢١٤) . وينسب أصحاب هذا المذهب إلى الإمام زيد بن على زين العابدين ، وساقت الزيدية الإقامة إلى كل فاطمى عدل خرج بالسيف ، إذا الخروج أهم مبادئهم ، وبالتالى آثروا زيدا على أخيه الأكبر محمد الباقر ، ومن بعد زيد أبنه يحيى ، ثم سلسلة الأئمة الخارجين بالسيف ، ومن فرقهم الصالحية - (أصحاب الحسن بن صالح) ، والسليمانية - (أصحاب سليمان بن جرير) - والجارودية - (أصحاب أبى الجارود) ، (د/ أحمد صبحى : الزيدية ص ٥٠ ، ٥١ ، ١٠١ - ١٠٧).

(٢) ابن الأثير : الكامل ٨/ ٤٥٢ . (٣) ابن الأثير : الكامل - بيروت سنة ١٩٦٦ م - ٨/ ٤٥٢ ، الخضرى : محاضرات ٢/ ٤٢٤ .

المنصب من السنية وتنصيب خليفة علـوى لا يمكن أن يلقى رضاء العراقيين ، بل لعله يسىء إلى حكم بنى بويه كل الإساءة ، لذا لجأ معز الدولة إلى ما فيه عافيته ومصلحته ، فأقر الحكم العباسى (١) .

وكذلك ينبه د/ العش إلى أمر له أهميته ويرى أن المؤرخين لم يشيروا إليه - وهو أن الشيعة فى العراق الذين قد يسعى بنو بويه إلى إرضائهم كانوا شيعة إمامية لا زيدية ، وهذا يعنى أن بنى بويه لا يكسبون مكسبًا كبيرًا إذا أتوا بإمام زيدى ، إذ يكاد يكون الأمر واحد عند شيعة العراق عندما يكون الخليفة عباسيا أو زيديا (٢) لذا فقد أبقى البويهيون على الخلافة العباسية لاعتبارات سياسية فقط (٣) .

ومع ما تقدم من امتهان البويهيين للخلفاء العباسيين ، فقد ظل الخلفاء العباسيون فى هذا العصر محتفظين ببعض مراسيم الخلافة الشكلية فقط من الجلوس على سرير الخلافة، وذكر الإسم فى الخطبة على المنابر ، وضربه على السكة ، والختم به على الرسائل والصكوك ، ومن الجلوس للوفود ، مع مشاركة البويهيين له فيها .

كما حافظ بنو بويه على الدولة العباسية بمذهبها السنى وصمودها إزاء الأخطار الشيعية ، ذلك أن وجود بنى بويه المتشيعين فى السلطة ، واستبدادهم بأمور الخلافة العباسية أدى إلى الإبقاء على هذه الخلافة التى كانوا يحكمون باسمها وفى ظلها (٤) .

وكذلك يرى بعض المؤرخين المحدثين أن استبداد البويهيين بالسلطة

---

(١) تاريخ عصر الخلافة ص ١٨٨ .

(٢) د/ العش : تاريخ عصر الخلافة ص ١٨٨ .

(٣) د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٧٩ ، د/ أحمد صبحى : الزيدية ص ٢٣٢ .

(٤) د/ حسن الباشا : دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ص ٩٤ ، ٩٨ .

بعد تقلدهم منصب إمرة الأمراء ، كان له أحسن الأثر فى استقرار أمر الخلفاء العباسيين ، فبعد (سنة ٣٣٤ هـ) لم يعودوا يعزلون بسرعة كما كان الحال فى العصر السابق ، وعلى سبيل المثال الخليفة المطيع الذى تولى بعد المستكفى ظل فى الخلافة تسعة وعشرين عاما (سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٣٦٣ هـ)[١] .

وكذلك يرى البعض أن من إيجابيات البويهيين - بعد استيلائهم على بغداد والإمرة - إنتهاء الصراع الذى كان قائما بين الخلفاء وبين المتغلبين على شئون الخلافة ، لما فقدت الخلافة فعاليتها طوال هذا العصر[٢] كل هذا لا ينكر ، ولكن السبب فيه استبداد البويهيين بالسلطة الحقيقية .

ولم تكن حال بغداد فى عهد البويهيين بأحسن مما كانت عليه فى عهد غيرهم من أمراء الأمراء ، ففى إمرة معز الدولة (سنة ٣٣٤ - سنة ٣٥٦ هـ) ساءت حالة الخلافة وبغداد جدا ، ففى بداية إمرته (سنة ٣٣٤ هـ / سنة ٩٤٥ م) شغب الجند عليه وأسمعوه ما يكره ، فضمن لهم أرزاقهم فى مدة وجيزة حددها لهم ، واضطر فى سبيل هذا التضمين إلى ضبط الناس وأخذ أموالهم بغير وجه حق ، مما أرهق كاهلهم وجعلهم يتمنون اللحظة التى يخرج فيها البويهيون عن بلادهم .

وكذلك أقطع معز الدولة قواده وأصحابه الإقطاعات الواسعة - كما سبق - ولم يؤد هؤلاء ما عليهم من المال المقرر هذا من جانب ، ومن جانب آخر انصرف هؤلاء المقطعين عن الأهتمام بإقطاعاتهم وتركوها لصغار القادة وبعض خواصهم ، مما جرَّ إلى البوار والخراب ، فكان نظام الإقطاع أول أسباب الفساد بالعراق ، لأنه أضعف همة الفلاحين الذين يقومون بزراعة الأرض وإصلاحها وتنميتها .

---

(١) د/ ابراهيم الكردى : البويهيون والخلافة ص ١٨١ .

(٢) د/ حسن محمود ، د/ الشريف : العالم الرسلامى ص ٣٨٤ .

وكان للاختلاف العنصرى بين الجند من الأتراك والديلم أثره فى زيادة التدهور السريع لبغداد ·- وتوابعها - فى إمرة ابن بوية ، فغالبا ما كان الصراع بينهما يؤدى إلى توقف حركة التجارة ، وهذا إجراء طبيعى لخوف التجار وأصحاب الأموال والثروات على ما بأيديهم من جراء هذه الفتن والإضطرابات ·

وقد كادت هذه المنازعات - بين الأتراك والديلم تؤدى إلى خلع معز الدولة بيد الديلم أنفسهم (سنة ٣٣٥ هـ / سنة ٩٤٦ م) ، لأنهم رأوا أنه قدم عليهم غلمانه الأتراك ، وأطلق أيديهم فى واسط والبصرة والأدهى والأمر أنه بالرغم من حفاظ البويهيين على الدولة العباسية بمذهبها السنى ، إلا أنه وجدت فى إمرة معز الدولة بعض المحاولات الجادة من الشيعة للنيل من الصحابة ﷺ أجمعين - ، ومن معاوية بن أبى سفيان على وجه الخصوص ، وهذا كان متوقعا أن يحدث من البويهيين الشيعة - فى ظل الحكم البويهى ، وبالتالى لن يسكت سكان بغداد من أهل السنة - خاصة- على هذا وبهذا الانقسام العرقى والدينى صارت بغداد وبلاد فارس ميدانا للإضطرابات المتكررة ، ومن المعلوم أن جميع العداوات يمكن تلافيها ويهون أمرها عدا ما منشؤه الدين ، فإن ناره تشتد وتتوهج خاصة إذا وجدت من يحركها ، ولا أشد من قوة السلطان فى تحريكها ، ولا يخفى أثر هذه الخلافات الدينية على العامة من الناس من صعوبة الإلتقاء عند نقطة للإتفاق بين فرقتين مختلفتين فى المذهب ، وترى كل منهما أنها على الحق ! [١]

ناهيك عن الخلاف المرير بين معز الدولة وناصر الدولة الحمدانى ، فقد كان الرجلان يتنازعان السلطان ، وكل يريد الإغارة والسيطرة على ما بيد الآخر ، واستمر الصراع بينهمـــا منذ السنة الأولى لإمرة معز الدولة

---

(١) الخضرى : محاضرات - ط المكتبة التجارية سنة ١٩٧٠ م - ٢/ ٣٨٠ - ٣٨٦·

(سنة ٣٣٤ هـ) ، مرة يصطلحا ومرة ينقض ناصر الدولة الصلح ، حتى اضطر معز الدولة إلى مصالحته نهائيا (سنة ٣٤٨ هـ) ، لانشغاله ببعض الثورات الداخلية ، ولقلة المال الذى بين يديه [1] .

* * *

---

(١) ابن الأثير : الكامل ط بيروت سنة ١٩٦٦ م ٨/٣٥٣ - ٣٥٥ ، الخضرى : محاضرات - ط المكتبة التجارية سنة ١٩٧٠ م - ٢/ ٣٨٥ - ٣٨٦ .

« الخــــاتمة »

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فإنه بعد دراسة « إمرة الأمراء فى العصر العباسى الثانى » فى بغداد (سنة ٣٢٤ - سنة ٣٣٤ هـ) عوامل ظهورها ، ونظامها ، وولاتها ، وحال بغداد فى عهدها ، نخلص إلى النتائج التالية :

أولاً :

أن منصب أمير الأمراء كان قبل (سنة ٣٢٤ هـ / سنة ٩٣٥ م) لقبا فخريا ، ولكن منذ هذه السنة أصبح وظيفة رسمية ، يتولى صاحبها جميع السلطات المدنية والحربية فى الدولة العباسية ، وكان الخليفة الراضى بالله قد اضطر إلى إقرار هذا المنصب بسبب التدهور الشديد - فى ظل النفوذ التركى - فى شتى مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والإدارية والعسكرية فى الدولة العباسية وكان أول من تولى هذا المنصب رسميا - « محمد بن رائق » ، والى واسط والبصرة .

ثانيا :

أن الخلافة العباسية عولت على نظام الإمرة لإنقاذها من الضعف والإمتهان الشديد فى ظل نفوذ الأتراك - أيضا - ، ولكن حدث العكس ، فقد زادت الخلافة ضعفا وأصبح الخليفة العباسى دمية فى يد أمير الأمراء يحركها كيف يشاء ، لأن جميع السلطات - عدا الخطبة والسكة - أصبحت بيد أمير الأمراء ، بل وبعض الأمراء شارك الخلفاء فيهما كمعز الدولة . ونفس الأمراء حدث بالنسبة للوزارة . فلم تستفد الخلافة ولا الوزارة ولا جهات الدولة الأخرى شيئًا من هذا النظام .

ثالثا :

أن هذا المنصب عرض الدولة العباسية للكثير من الاضطرابات والفوضى ، وخاصة فى الفترة الانتقالية عند نهاية إمرة أمير وتولية آخر بدلاً منه ، واستغل أعداء الدولة هذا الاضطراب أحسن استغلال ، كالقرامطة الذين فرضوا على الدولة العباسية إتاوة سنوية - مائة وعشرون ألف دينار - حتى لا يعرضوا الحجيج للخطر فرضخ لمطلبهم هذا الخليفة العباسى وأمير أمرائه ، ناهيك عن عبثهم ببعض المدن كالبصرة والكوفة وغيرهما ، وكذلك الحال بالنسبة للروم فقد أحسنوا استغلال فترات الاضطراب فى الدولة العباسية فى ظل نظام الإمرة ، وأغاروا على عدة مدن ، منها على سبيل المثال أرزن ، وميافارقين ، ورأس عين وغيرها ، وقتلوا وأسروا ونهبوا ما قدروا عليه ، لولا أن تصدى لهم بعض الأعراب وقاتلوهم .

رابعا :

كان البريديون أكثر الناس تطلعا إلى الإمرة - وخاصة أبو عبد الله البريدى - ، فقد حاولوا التقدم من واسط والبصرة إلى بغداد أكثر من مرة ، ومرة تولوا الإمرة على أنها وزارة (سنة ٣٢٩ هـ) ، ومرة أخرى تولوها بدون تقليد من الخليفة المتقى الذى كان قد فَرَّ إلى الحمدانيين بالموصل (سنة ٣٣٠ هـ) كما كان أبو عبد الله البريدى متقلبا ، يخضع للأقوى ويعاهده ويعمل تحت ظله بما يحقق مصلحته الشخصية ، فإذا ما نال غرضه نقض عهده وانقلب على من عاهده من الأمراء ، وتكرر هذا منه مع ابن رائق وبجكم وكورتكين ، وكان صراعه مع أمراء الأمراء محصوراً حول ثلاثة مدن ، وهى واسط والبصرة وبغداد .

خامسا :

أنه بالنظر إلى من تولوا الإمرة يتضح أنها كانت مقصورة على الأتراك والديلم ، ولم يتولاها غير عربى واحد وهو الحسن الحمدانى (

سنة ٣٣٠ - سنة ٣٣١ هـ) ، ولا يستبعد أن تكون ثورات الديلم والأتراك على الحمدانيين بسبب عروبتهم ، مما اضطر ناصر الدولة إلى ترك بغداد والرجوع إلى إمارته بالموصل بعد ثلاثة عشر شهرا من إمرته ·

سادسا :

ظهر أنه مع بداية كل إمرة كان يخرج صاحبها - ومعه الخليفة - لقتال الذين منعوا مال الضمان المقرر عليهم ، وحدث هذا أكثر من مرة فى بداية إمرة محمد بن رائق وكذلك بجكم وتوزون ولم يكن هذا بسبب حرص أمير الأمراء على أموال الدولة ، بقدر ما كانت حاجته إلى هذا المال لإنفاقه على جنده سواء كانوا من الأتراك أو الديلم ، والذين كانوا لا يكفون عن مطالبه قائدهم بالمال ، وإلا انقلبوا عليهم ·

سابعا :

كانت نهاية (سنة ٣٢٩ هـ / سنة ٩٤٠ م) ، وبداية (سنة ٣٣٠ هـ / سنة ٩٤١ م) ، من أخطر الفترات التى تعرضت لها بغداد فى ظل الإمرة ، فقد تقلد الإمرة فى هذه الشهور القليلية ثلاثة وهم بجكم وكورتكين وابن رائق الثانية - وما أكثر الإضطراب الذى وقع فى بغداد خلال إمرتهم ، من الغلاء ، والجوع ، وانتشار اللصوص ونهبهم ما تصل إليه إيديهم من أموال ومتاع ، وكثرة الضرائب المتعددة والمرهقة ، مما جعل بغداد فى هذه الفترة تغلى « كالمرجل » ·

ثامنا :

كان ناصر الدولة الحمدانى هو الوحيد من أمراء الأمراء الذى قام بإصلاحات متعددة خلال إمرته ، شملت النظام المالى ، والأمنى ، والعمرانى ، والنظر فى الحدود والشرعية ، وكان دافعه إلى هذا أن تكون بغداد سندًا قويًا وراء ظهر الحمدانيين ، يعتمدون عليه فى حروبهم الثغرية·

تاسعا :

أنه على الرغم من الإصلاحات الإيجابية السابقة - للحمدانيين فى بغداد ، إلا أنه وجدت سلبية كبيرة فى عهدهم ، ألا وهى انتشار « الرفض » ، فقد كثر سب وشتم الصحابة - ﷺ أجمعين - خلال إمرتهم وتبرأ الخليفة المتقى من فعلهم هذا . وكذلك الحال بالنسبة للبويهيين فقد وجدت بعض المحاولات للنيل من صحابة رسول الله ﷺ - وخاصة معاوية بن أبى سفيان ، مما وسع الفجوة بين الحمدانيين والبويهيين الذين يتشيعون على المذهب الزيدى - من جهة ، وبين أهل السنة الموجودين فى بغداد - وعلى رأسهم الخلافة من جهة أخرى ، ولا يخف أثر هذه الخلافات المذهبية فى إضعاف الدول ، والتعجيل بزوالها ، فتمنى الناس خروجهم - الحمدانيون والبويهيون -عن بغداد سريعا .

عاشرا :

كانت دار مؤنس الخادم - أول من تلقب بلقب أمير أمراء - مؤشرا إلى من ستئول إليه الإمرة ، وعليه فإن الخليفة العباسى كان إذا أمر بإنزال قائد - تركى أو ديلمى - فيها ، كان الجميع يعرفون أنه فى أقرب وقت سيستدعيه الخليفة ويقلده الإمرة ، وقد سكنها بالفعل معظم الأمراء - السبعة - الذين تولوا الإمرة ، ولعل أوضح دليل على هذا ما فعله أبو الحسين البريدى حين دخل بغداد وفر عنها المتقى ولم يقلده الإمرة (سنة ٣٣٠ هـ) فقد نزل بتلك الدار ليؤكد لسكان بغداد أنه أمير الأمراء .

حادى عشر :

كان عصر إمرة الأمراء (سنة ٣٢٤ - سنة ٣٣٤ هـ) - إمتداداً لعصر نفوذ الأتراك ، فكما سيطر الأتراك على الخلافة والوزارة سيطر أمراء الأمراء عليهما أيضا ، بل وصل نفوذ بعض الأمراء إلى درجة أنه كان يستطيع بأدنى سهولة خلع خليفة وتنصيب آخر بدلاً منه ، كما فعل توزون

بالمتقى (سنة ٣٣٣ هـ) . حين سمله وعزله وأقر المستكفى بدلا منه ، وكما فعل معز الدولة بالمستكفى (سنة ٣٣٤ هـ) وولى بدلا منه المطيع .

ثانى عشر :

أن أمير الأمراء إذا كان تركيا - كابن رائق وبجكم - استغل الأتراك إمرته ، وعاثوا فى بغداد فسادًا ، ونهبوا ما قدروا عليه ، مستغلين صلتهم بأمير الأمراء ، وكذلك الحال إذا كان ديلميا ، ولكن كان الديلم أكثر فسادا فى بغداد من الأتراك ، وهذا وضح جدا فى إمرة كورتكين وتوزون ومعز الدولة ، مما أدى إلى هجرة بعض السكان عن بغداد إلى الشام ومصر ، وخاصة التجار وأصحاب رؤس الأموال .

ثالث عشر :

ضعفت قيمة العهود والمواثيق خلال عصر الإمرة ، وهذا ظهر جليا فى حلف توزون مرتين للخليفة المتقى أن لا يغدر به إذا قدم عليه وفارق الحمدانيين ، ومع هذا ما إن وصل المتقى بغداد حتى غدر به وعذبه وسجنه وخلعه بجانبه الكثير من المعاهدات التى كانت تعقد بين أمير الأمراء والمناوئين له - كالبريديين والحمدانيين - كانت هذه المعاهدات تنقض بعد ساعات أو أيام من توقيعها ، لأنها وقعت وفى النية نقضها .

رابع عشر :

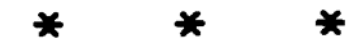
بدخول البويهيين بغداد (سنة ٣٣٤ هـ) - تلاشى تماما نفوذ الخلفاء العباسيين ، وأصبحوا مجرد رؤساء دينيين فقد ، وحددت لهم مرتبات يومية محددة -خمسة الآف درهم - كما ألغوا منصب الوزير الخاص بشئون الخليفة ، وأصبح - الوزير - مجرد كاتب لضياعه فقط .

وهكذا كان نظام الإمرة سلبيا بالنسبة للخلافة على وجه الخصوص وللدولة العباسية على وجه العموم ، ومن إيجابياته القليلة الإبقاء على الخلافة العباسية ، فبالرغم من قوة نفوذ الأتراك والديلم - الشيعة - إلا

أنه لم يفكر أحد فى إلغائها ، والمرة الوحيدة التى حاول فيها معز الدولة نقلها إلى أحد أئمة الشيعة الزيدية ، حذره البعض من مغبة هذا الأمر فلم يقدم عليه · وكذلك الإبقاء على التقدير - الظاهرى فقد - لشخص خليفة المسلمين باستثناء الفترات التى تعرض فيها المتقى والمستكفى للامتهان ·

وكذلك كان للإصلاحات الحمدانية أثرها الطيب على بغداد وسكانها ، وخاصة فى الناحتين الأمنية والمالية ، ولكن للأسف لم تطل فترة إمرتهم · وكذلك ظل الحمدانيون يؤدون واجب التصدى - بالرغم من تشيعهم - للروم فى بلاد الجزيرة ·

وكذلك من الإيجابيات أن ظلت بغداد - على الرغم مما أصابها من فتن وإضطرابات - متماسكة ، بل وكانت مطمعا من البريديين والحمدانيين وأخيراً البويهيين ·



« المصادر والمراجع »

د/ إبراهيم الكردى :

١ - البويهيون والخلافة العباسية - ط (١) سنة ١٩٨٢ م - دار العروبة للنشر والتوزيع - الكويت .

د/ أبو زيد شلبى :

٢ - تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى - ط (٣) سنة ١٩٦٤ م - مكتبة وهبة - مصر .

ابن الأثير (على بن محمد بن عبد الكرم) :

٣ - الكامل فى التاريخ - دار صادر - بيروت - ط سنة ١٩٦٥ ، سنة ١٩٦٦ ، ١٩٨٢ م .

د/ أحمد أمين :

٤ - ظهر الإسلام - ط (٤) سنة ١٩٦٦ م - النهضة المصرية .

د/ أحمد رمضان :

٥ - حضارة الدولة العباسية - الجهاز المركزى للكتب الجامعية - مصر سنة ١٩٧٨ م .

د/ أحمد صبحى :

٦ - الزيدية - منشأة المعارف - الأسكندرية - سنة ١٩٨٠ م .

بروكلمان (كارل) :

٧ - تاريخ الشعوب الإسلامية - ترجمة : نبيه فارس ، ومنير البعلبكى - دار العلم للملايين - بيروت ط (١) سنة ١٩٨٤ م .

البلاذرى (أحمد بن يحيى) ت سنة ٢٧٩ هـ :

٨ - فتوح البلدان - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٨٣ م .

جرجى زيدان :

٩ - تاريخ التمدن الإسلامى - مؤسسة دار الهلال سنة ١٩٦٨ م .

الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) ت سنة ٣٣١ هـ :

١٠ - الوزراء والكتاب - ط (١) سنة ١٩٨٣ م - مطبعة دار الصاوى - مصر .
ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن على) ت سنة ٥٩٧ هـ :
١١ - المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم - ط (١) سنة ١٣٥٧ هـ - دار المعارف العثمانية - الدكن .
د/ حامد غنيم :
١٢ - عصر الدول الإقليمية - ط (١) سنة ١٩٧٠ م - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة .
د/ حسب الله (محمد أحمد) :
١٣ - وزارة بنو وهب فى العصر العباسى الثانى - مطابع سجل العرب - ط (١) سنة ١٩٨٤ م .
د/ حسن إبراهيم :
١٤ - تاريخ الإسلام السياسى - النهضة المصرية ط(٣)سنة١٩٧٣م .
د/ حسن إبراهيم ، د/ على إبراهيم :
١٥ - النظم الإسلامية - النهضة المصرية ط.(٤) سنة ١٩٧٠ م .
د/ حسن الباشا :
١٦ - الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار - النهضة العربية - مصر سنة ١٩٧٨ م .
١٧ - دراسات فى تاريخ الدولة العباسية - النهضة العربية - مصر سنة ١٩٧٥ م .
١٨ - الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية - النهضة العربية - مصر سنة ١٩٦٥ م .
د/ حسن على :
١٩ - دراسات فى التاريخ العباسى - مكتبة الشباب - جامعة القاهرة .
د/ حسن محمود ، د/ أحمد الشريف :
٢٠ - العالم الإسلامى فى العصر العباسى - دار الفكر العربى ط (١) سنة ١٩٦٦ م .

الخضرى (محمد) :
٢١ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية - دار إحياء الكتب العربية- مصر - ط (٢) سنة ١٩٢١ م ، المكتبة التجارية - مصر سنة ١٩٧٧ م .
د / الخطيب (محمد عبد القادر) :
٢٢ - دراسة تحليلية فى تاريخ الدويلات الإسلامية - مطبعة الجبلاوى - مصر ط (١) سنة ١٩٨٥ م .
ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت سنة ٨٠٨ هـ :
٢٣ - العبر وديوان المبتدأ أو الخبر - دار الكتب العلمية - بيروت سنة ١٩٩٢ م .
٢٤ - المقدمة - مكتبة شفرون - بدون .
ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد) ت سنة ٦٨١ هـ :
٢٥ - وفيات الأعيان دار صادر - بيروت سنة ١٩٧٨ م .
الدنيورى (أبو حنيفة أحمد بن داود) ت سنة ٢٨٢ هـ :
٢٦ - الأخبار الطوال - دار إحياء الكتب العربية - ط (١) سنة ١٩٦٠ م . .
الذهبى (شمس الدين محمد بن أحمد) ت سنة ٧٤٨ هـ :
٢٧ - سير أعلام النبلاء - مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢) سنة ١٩٨٢ م .
الزركلى (خير الدين) :
٢٨ - الأعلام - دار العلم للملايين - بيروت ط (٥) سنة ١٩٨٠ م .
د/ زيادة (محمد مصطفى) :
٢٩ - تاريخ الدولة العباسية والإسلام - دار الطباعة الحديثة - مصر سنة ١٩٣٤ م .
ابن الساعى (على بن أنجب) ت سنة ٦٧٤ هـ :
٣٠ - مختصر أخبار الخلفاء - المطبعة الأميرية - بولاق - مصر ط (١) سنة ١٣٠٩ هـ .
سعيد الديوه :
٣١ - تاريخ الموصل - المجمع العلمى العراقى سنة ١٩٨٢ م .

د/ سيدة كاشف :
٣٢ - مصر فى عهد الإخشيديين - النهضة العربية - مصر ط (٢) سنة ١٩٧٠ م .
سيديو :
٣٣ - خلاصة تاريخ العرب - مطبعة محمد أفندى مصطفى - مصر ط (١) سنة ١٣٠٩ هـ .
السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) ت سنة ٩١١ هـ :
٣٤ - تاريخ الخلفاء - المكتبة التجارية مصر ط (٤) سنة ١٩٦٩ م ، دار الفكر - بيروت - بدون .
ابن شاكر (محمد) ت سنة ٧٦٤ هـ :
٣٥ - فوات الوفيات - دار صادر - بيروت - بدون .
د/ الشكعة (مصطفى) :
٣٦ - سيف الدولة الحمدانى - مكتبة المتنبى - القاهرة ط (٢) سنة ١٩٧٧ م .
د/ صبحى (الصالح) :
٣٧ - النظم الإسلامة نشأتها وتطورها - دار العلم للملايين - بيروت - ط (٢) سنة ١٩٦٨ م .
الصولى (أبو بكر محمد بن يحيى) ت سنة ٣٣٥ هـ :
٣٨ - أخبار الراضى بالله والمتقى لله - مطبعة الصاوى - مصر سنة ١٩٣٥ م .
ابن طباطبا (محمد بن على) ت سنة ٧٠٩ هـ :
٣٩ - الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية - مطبعة الموسوعات - مصر سنة ١٣١٧ هـ .
الطبرى (محمد بن جرير) ت سنة ٣١١ هـ :
٤٠ - تاريخ الأمم والملوك - دار سويدان - بيروت - بدون .
ابن عبد الحق (صفى الدين عبد المؤمن) ت سنة ٧٣٩ هـ :
٤١ - مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع - تحقيق - على محمد البجاوى - دار إحياء الكتب العربية - مصر ط(١) سنة ١٩٥٤ م .

د/ العش (يوسف) :
٤٢ - تاريخ عصر الخلافة العباسية - دار الفكر - دمشق ط (١) سنة ١٩٨١ م ·
على بن ظافر (جمال الدين أبو المحاسن) ت سنة ٦١٣ هـ :
٤٣ - أخبار الدول المنقطعة - تحقيق محمد بن مسفر الزهرانى - مكتبة دار المدينة المنورة سنة ١٩٨٨ م ·
على ظريف :
٤٤ - مختصر تاريخ بغداد - مطبعة الفرات - بغداد سنة ١٩٢٦ م·
د/ فاروق عمر :
٤٥ - التاريخ الإسلامى وفكر القرن العشرين - مؤسسة المطبوعات العربية بيروت ط (١) سنة ١٩٨٠ م ·
فازيليف :
٤٦ - العرب والروم - ترجمة د/ محمد عبد الهادى شعيرة - دار الفكر العربى سنة ١٩٣٤ م ·
د/ الفقى (عصام الدين عبد الرؤف) :
٤٧ - الدولة العباسية - مكتبة نهضة الشرق - مصر سنة ١٩٨٥ م·
ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل) ت سنة ٧٧٤ هـ :
٤٨ - البداية والنهاية - دار الغد العربى - مصر ط (١) سنة ١٩٩١ م ، دار الفكر - مصر سنة ١٩٣٣ م ، المعارف - بيروت سنة ١٩٧٧ م ·
كى لسترنج :
٤٩ - بلدان الخلافة الشرقية - تعريب بشير فرنسيس وكوركيس عواد - مؤسسة الرسالة - بيروت ط (٢) سنة ١٩٨٥ م ·
د/ اللميلم (عبد العزيز محمد) :
٥٠ - نفوذ الأتراك فى الخلافة العباسية - مكتبة كلية الشريعة - السعودية - الأحساء - بدون ·
الماوردى (أبو الحسن على بن محمد) ت سنة ٤٥٠ هـ :
٥١ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية - مكتبة الحلبى - مصر ط (٣) سنة ١٩٧٣ م ·

٥٢ - قوانين الوزارة - تحقيق د/ فؤاد عبد المنعم ،د/ محمد سليمان داود - مؤسسة شباب الجامعة - الأسكندرية - ط (٢) سنة ١٩٨٢ م .

د/ محمد جمال الدين :

٥٣ - النفوذ الفاطمي فى جزيرة العرب - دار الفكر العربى - ط (٤) سنة ١٩٦٤ م .

د/ محمد حلمى :

٥٤ - الخلافة والدولة فى العصر العباسى - مكتبة الشباب - مصر سنة ١٩٨٣ م .

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين) ت سنة ٣٤٦ هـ :

٥٥ - التنبيه والإشراف - دار صعب - بيروت - بدون .

٥٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر - المكتبة العصرية - بيروت سنة ١٩٨٧ م ، دار الأندلس - بيروت - بدون .

مسكوية (أبو على أحمد بن محمد) ت سنة ٤٢١ هـ :

٥٧ - تجارب الأمم - دار الكتاب الإسلامى - القاهرة - بدون .

د/ نادية صقر :

٥٨ - مطلع العصر العباسى الثانى - الاتجاهات السياسية والحضارية فى خلافة المتوكل على الله - دار الشروق - جدة - ط(١) سنة ١٩٨٣ م.

الهمذانى (محمد بن عبد الملك) ت سنة ٥٢١ هـ :

٥٩ - تكملة تاريخ الطبرى - دار المعارف - مصر - ط (٢) سنة ١٩٨٢ م - ، دار سويدان - بيروت - بدون .

اليافعى (أبو محمد عبد الله بن أسعد) ت سنة ٧٦٨ هـ :

٦٠ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان - دائرة المعارف النظامية - الدكن - ط (١) سنة ١٣٣٨ هـ .

ياقوت (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله) ت سنة ٦٢٦ هـ :

٦١ - معجم البلدان - دار إحياء التراث العربى - بيروت - بدون .

* * *

فهرس الكتـــاب

الصفحة

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الإمرة بين ابن شيرزاد والبويهيين

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٩٩٦/٤٧٩١

الترقيم الدولى : 977-19-0656-9

